## مَوْسُوعَة

# الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

## الكتاب العاشر




2019 1440

تأليف
علي باپير

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقّحة

دار الحكمة
لندن




# هذا الكتاب

هو الكتاب العاشر من موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله) والتي يسر الله الوهاب الكريم لي تأليفها في ضوء أنوار كتابه المبارك، في غضون (22) شهراً، التي أمضيتها في سجن: (كروبر الأمريكي) من: (2003/7/10 الى: 2005/4/28م).

وخصّصنا هذا الكتاب العاشرَ كُلّه، بالحديث عن: (إلتزام المجتمع بدين الله تعالى) في مجالات:

1. الفكر.
2. شعائر التعبُد.
3. الآداب.

وذلك تحت ثلاثة عناوين رئيسة:

* إستقاء التصورات والقيم والموازين، من معين دين الله الحق وحده.
* إقامة شعائر الدين، كما حَدّدتْها السنة النَبويّة، واجتناب الإنحرافات الشركية والبدْعيّة.
* التعامل وفق الآداب الشرعية، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وشريعته

وجليٌّ أنه لا يَتمكّنُ المجتمعُ من الإلتزام بدين الله القيم وشريعة السمحاء، ما لم يحقّقْ أفرادُهُ: (المعرفةَ الصحيحة بالوجود خالقاً عز وجل وخلْقاً) و(الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) وبالتالي: (الإهتداء بهدى الله) في ذات أنفسهم، ولهذا قدّمنا الحديث عن هذه الأمور، في الكتب السابقة، (1 - 9) من هذه الموسوعة.



**DAR ALHIKMA**
*Publishing and Distribution*

88 Chalton Street
London NW1 1HJ
Tel: 44 (0) 20 7383 4037

Email: hikma_uk@yahoo.co.uk
Web site: www.hikma.co.uk

**ISBN**
978 1 78481 086 3



مَوْسُوْعَةُ

الإسلام كما يتجلى
في كتاب الله

الكتاب العاشر

# إظهار الدين الحق، أو إلتزام المجتمع بدين الله تعالى فكراً وشعائر وآداباً

تأليف
علي باپير

دار الحكمة




إظهار الدين الحق، أو إلتزام
المجتمع بدين الله تعالى
فكراً وشعائر وآداباً



بسم الله الرحمن الرحيم
لە تۆڕە كۆمەڵایەتییەكان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
عەلی باپیر/AliBapir
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
PDF
عەلی باپیر/AliBapir
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
كوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەكتەبی ئەمیر

موسوعة: الإسلام كما يتجلى في كتاب الله

# الكتاب العاشر

# إظهار الدين الحق، أو إلتزام المجتمع بدين الله تعالى فكراً وشعائر وآداباً

تأليف
علي باپير

**الطبعة الثانية**

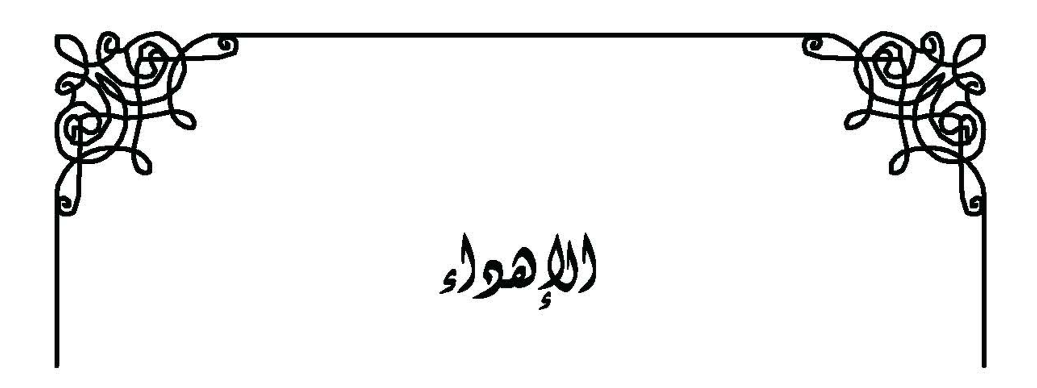
**١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م**




بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية].
له تۆڕه كۆمەڵایەتییەكان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
Google Play
App Store
www.alibapir.net
English - عربي - كوردی
ڕاگەیاندنی مەكتەبی ئەمیر



لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
AliBapir / عەلی باپیر
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



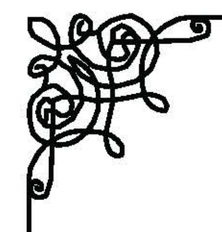
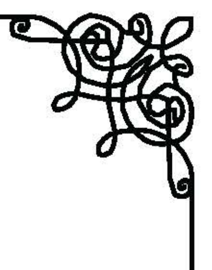
# الإهداء

إِلى الذين يبتغون فقه الإسلام بعمقٍ وشمولٍ، كما في كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم ﷺ لِيُجَسِّدوه في حياتهم الشخصية والأُسرية والعامة، ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.





لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر

# مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على النبيِّ البشير النذير، محمد وآله الكرام «صحباً وأزواجاً وقرابة» الذين هم جديرون بكل تكريم وتقدير.

وبعد، فقد ارتأينا إعادة طبع هذه الموسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، بعد طبعتها الأولى، (**في صورة كتاب في ثمانية مجلدات «موزَّع على أربعة أبواب وسبعة عشر فصلا»**) في سلسلة كتب مجموعها: اثنا عشر كتاباً، كل كتاب يحتوي على موضوع رئيسي.

والنتيجة:

أصبح توزيع مواضيع الكتاب على الكتب الإثني عشر، في هذه الموسوعة، على الشكل الثاني:

الباب الأول بفصوله الأربعة، والمعنون: (**الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق والخلق**) بقي كما هو، وصار:

الكتاب الأول، في هذه الموسوعة.

الباب الثاني بفصوله الستة، والمعنون: (**الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**) تحول في هذه الموسوعة الى سبعة كتب، كل كتاب مُخصَّصٌ لبحث موضوع أساس من مواضيع الإيمان، وذلك بعد أن جعلنا الفصل الخامس: (**الإيمان برسل الله وأنبيائه**) فصلين، ففي الأول

منهما: بحثنا موضوع الإيمان بالرسل والأنبياء «عليهم السلام» عموماً، وفي الثاني منهما، تحدَّثنا عن خاتم النبيين «ﷺ» خصوصاً، فصار الباب الثاني في هذه الموسوعة بهذه الصورة:

الكتاب الثاني: مفهوم الإيمان والكفر...

الكتاب الثالث: الإيمان بالله سبحانه وتعالى...

الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة وبالجن.

الكتاب الخامس: الإيمان بكتب الله سبحانه وتعالى.

الكتاب السادس: الإيمان برسل الله وأنبيائه «عليهم الصلاة والسلام».

الكتاب السابع: خاتم النبيين محمد «ﷺ».

الكتاب الثامن: الإيمان باليوم الآخر.

الباب الثالث بفصوله الثلاثة، والمعنون: **(الإسلام: إلتزام جادّ بالشريعة على الصعيدين الفردي والجماعي)** تحول في هذه الموسوعة الى ثلاثة كتب، بالصورة التالية:

الكتاب التاسع: الإهتداء بهدى الله تعالى..

الكتاب العاشر: إلتزامُ المجتمع بدين الله تعالى...

الكتاب الحادي عشر: تطبيق المجتمع للشريعة...

الباب الرابع بفصوله الأربعة، والمعنون: **(الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم)** بقي على حالِهِ، وصار الكتاب الثاني عشر والأخير، في هذه الموسوعة بالشكل التالي:

الكتاب الثاني عشر: الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس، وتعامل صحيح معهم.

وقد راعينا في ترتيب هذه الكتب الإثني عشر «في ثلاثة وستين (٦٣) فصلاً» التسلسل المنطقي المتدرج: إذ الإنسان يحتاج قبل كل شيءٍ، المعرفة

بهذا الوجود، ومحلِّهِ هو في إعرابهِ، فجاء الكتاب الأول: بعنوان: (الإسلام: معرفةٌ صحيحة بالخالق والخلق) تلبيةً لهذا المطلبِ الفطريِّ الأول.

ثم تُنتِجُ المعرفةُ الصحيحة بالوجود ـ طالما التزم صاحِبُها بمقتضياتها المنطقية ـ الإيمان بالله الخالق الرب المالك، وببقية أركان الإيمان الخمسة، فجاءت الكتب: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن، تحت عنوان: (الإسلام: إيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) تحقيقاً لهذا المقصد العظيم، وبياناً لتلك الحقائق الكبرى، التي وضعَ فيها كتاب الله الحكيم النقاط على الحروف، ولم يُحْوِجْنا في إدراكها الى غيره.

ثم ان الإيمان الصحيح بالله تبارك وتعالى، وببقيَّةِ أركان الإيمان الأساسية، يدفعنا الى الإلتزام بدين الله القيِّم، وشريعته الحكيمة، فجاءت الكتب: التاسع والعاشر والحادي عشر، تحت العنوان العام: (الإسلام: إلتزامٌ جادٌّ بالشريعة على صعيدي: الفرد والمجتمع) لتوضيح كيفية التزام الفرد والمجتمع والدولة بالشريعة السّمحاء، بهذه العناوين الثلاثة، للكتب الثلاثة:

١ ـ الإهتداء بهدى الله، أو الإلتزام الفردي بشريعة الله تعالى.

٢ ـ إظهار الدين الحق، أو التزام المجتمع بدين الله تعالى: فكراً وشعائرُ وآداباً.

٣ ـ تطبيق المجتمع للشريعة في جميع جوانب الحياة.

ثم أخيراً: بعد المعرفة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والإلتزام الجاد بالشريعة، بإمكان المسلمين: أفراداً ومجتمعاً ودولةً، أن يتعاملوا مع الناس: المسلمين وغير المسلمين، على أساس النظرة السّديدة إليهم، بصورة شرعية صحيحة، بعيدة عن الإفراط والتفريط، وبيان هذا الموضوع تكفّل به الكتاب الأخير، الثاني عشر، والذي جاء بعنوان: (الإسلام نظرة سديدة تجاه الناس، وتعاملٌ صحيح معهم).

وفي المُحَصِّلة: بيّنا من خلال هذه الموسوعة ـ بِكُتُبِها الإثني عشر ـ تجلية كتاب الله الحكيم المبارك للإسلام:

١ ـ معرفةً صحيحة بالوجود (الخالق والخلق).

٢ ـ وإيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٣ ـ والتزاماً بالشريعة على المستويات الثلاثة: فرداً ومجتمعاً ودولةً.

٤ ـ وتعاملاً صحيحاً مع الناس، على أساس نظرة سديدة تجاههم.

والهدف الأساس من هذا العمل «طبع هذه الموسوعة بهذه الصورة» هو تسهيل وصولها الى القراء، وتيسير حصولهم على أي موضوع يرغبون فيه منها.

وجديرٌ بالذكر أننا أبقينا «في هذه الطبعة» على أكثرية الإحالات الى الأبواب والفصول والمباحث والمطالب، على حالها الذي كانت عليها في الطبعة الأولى.

وكذلك أبقينا على كل من هذه العناوين الثلاثة:

١ ـ (مُبَشِّرة حول هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ الى: (مُبَشِّرةٌ حول هذه الموسوعة).

٢ ـ (قصة تأليف هذا الكتاب) بعد أن غيَّرناهُ الى: **(قصّة تأليف هذه الموسوعة)** والتي شرحنا فيها: كيفية الشروع بهذا العمل في السجن الأمريكي، وكيفية انبثاق خطة الكتاب في خطوطها العريضة، من آيات سورة الفاتحة السبع المباركات، وسبب تقسيمه الى أربعة أبواب في سبعة عشر فصلاً.

٣ ـ (المقدمة) والتي غيَّرناها الى: (مقدمة هذه الموسوعة).

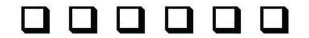
وسَنُنْدرِجُها في بداية الكتاب الأول من هذه الموسوعة، لارتباطها بكل الكتب الأخرى المضمَّنة لها، ونكتفي بهذا عن تكرار إدراجها في بداية الكتب الأخرى.

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يَسُدَّ بهذا الجهد، ثغراتٍ كثيرة، في فهم كثير من المسلمين لدينهم القيِّم، وأرجو أن تَحْظى هذه الموسوعة، بأن تكون لبنة في بناء صرح المشروع الإسلامي المنشود.

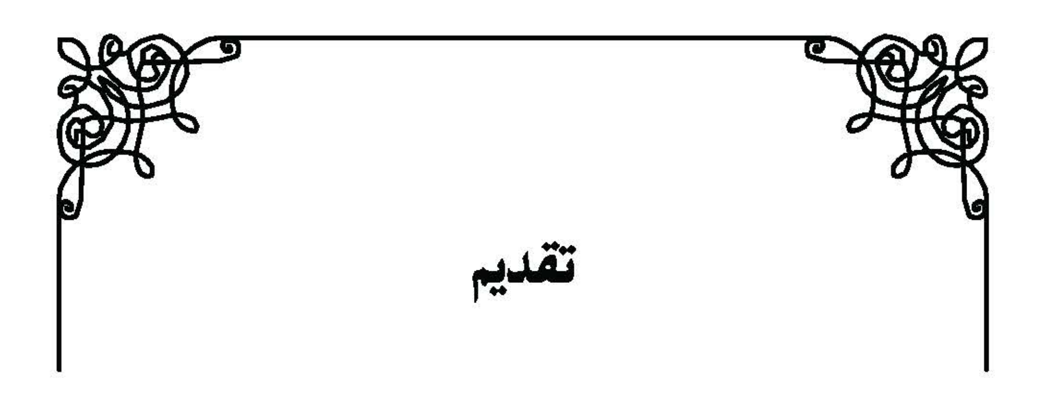
وآمل ألّا يَبْخَل عليَّ القرّاء الكرام، بملاحظاتهم وتنبيهاتهم، وأشكرهم جزيل الشكر مسبقاً.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

**١/ رجب ١٤٣٦ هـ**
**٢٠ نيسان ٢٠١٥م**
**أربيل /كوردستان ــ العراق**




لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
AliBapir/عەلی باپیر
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



# تقديم

إن الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدهُ وَرَسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

**أمّا بَعْدُ:** فإن أَصْدَقَ الحَديث كَلامُ الله، وَخَيْرَ الْهَدِي هدْي محَمَّد، وَشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكل ضَلاَلَةٍ فِي النَّار.

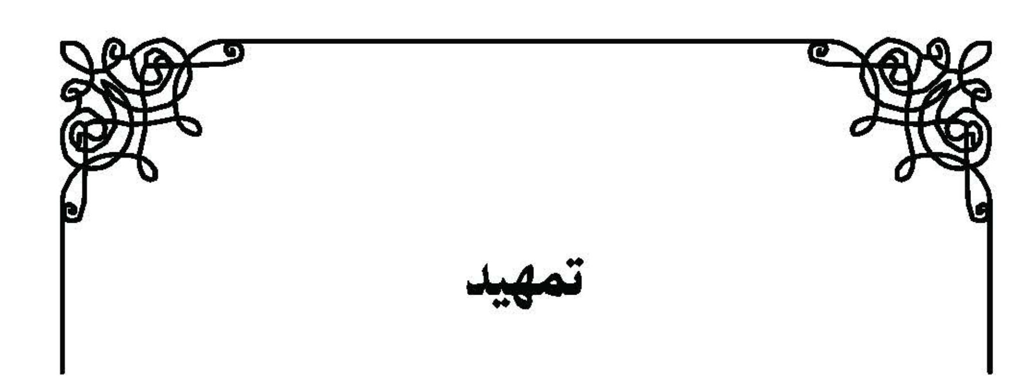
موضوع هذا الكتاب العاشر «من هذه الموسوعة» هو الحديث عن كيفية تمثّل المجتمع المسلم لدين الله الحق وتطبيقه لشريعته، وإظهاره لها في حياته، بِغَضِّ النظر عن كونه مُمَكناً له في الأرض، ومالكاً لزمام السلطة الشرعية، أم لا.

أي إن هذه النواحي التي يجري الحديث عنها في هذا الكتاب، والتي يُجَسِّدُها المجتمع المسلم في حياته، وترتبط بالجوانب الثلاثة الأساسية: الفكرية، والروحية، والإجتماعية، لايتوقف تمثلها من قبل المجتمع المسلم، على وجود السلطة السياسية، بل بإمكان المجتمع المكوَّن من أفراد مسلمين، تمثَّلوا الإسلام والشريعة في ذات أنفسهم، أن يلتزموا الإسلام من هذه النواحي الثلاث، أي: الفكرية، والمعنوية، والإِجتماعية.

ثم كما أن تَمثُّل أفرادٍ مسلمين للإسلام في أنفسهم، بالمفهوم الذي وضّحناهُ في الكتاب التاسع، يُمَهِّد الطريق للمجتمع الإلتزام بالشريعة، فكرياً وروحياً واجتماعياً، كذلك التزامُ المجتمع المسلم، في هذه الجوانب الثلاثة بالإسلام وشريعته، يجعل تطبيق المجتمع للشريعة في كافة جوانب حياته، شيئاً طبيعياً ميسوراً.

٥/رجب/١٤٣٦ هـ
٢٤/نيسان/٢٠١٥م
أربيل





# تمهيد

في الكتاب السابق التاسع وضَّحنا مفهوم اهتداء الإنسان كفرد بهدى الله تعالى والتزامه بشريعته، وفي هذا الكتاب العاشر، نحاول بإذن الله وتوفيقه تسليط الضوء على الشق الثاني من المهمة الكبرى التي أُرسل بها رسولُ الله وخاتم الأنبياء (محمد) ﷺ، وأناط الله به وبأمته تحقيقها، وهي إظهار دين الله الحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة].

وواضح أن دين الله الحق لا يظهر على الأديان كلها، ما لم تُطَبَّق شريعته الحكيمة العادلة من خلال مجتمع إسلامي، يقوم بتمثّل دين الله في كافة نواحي حياته المختلفة، وذلك بعد أن اهتدى أفراده بهداية الله، والتزموا بشريعته في خاصة أنفسهم، مجتمع يقف على قدميه ويملك أمر نفسه، كما قال تعالى في وصف رسول الله ﷺ وأصحابه المكوِّنين للمجتمع الإسلامي الأول، مُشَبِّهاً إياه بالشجرة القائمة على ساقها، الراسخة جذورها في الأرض، باسقة الأغصان، وارفة الظِّلال، غزيرة الثمر: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ...﴾ [الفتح: ٢٩].

هذا وكما أن اهتداء الفرد المسلم بِهُدى الله في خاصَّة نفسه، والتزامه بشريعته، كما بيَّناه في الكتاب السابق، ليس شيئاً مندوباً إليه، بل هو شرط لاعتباره مؤمناً مسلماً، كذلك التزام المجتمع المسلم بشريعة الله، وتنظيم

كافة شؤون حياته وإدارتها بها، وفقاً لدين الله وأحكامه الحكيمة، ليس نافلة ولا تطوعاً، بل هو أيضاً شرط لازم لاعتباره مجتمعاً[1] إسلامياً، سائراً على منهاج رسول الله وسنته التي سار عليها وترك أمته عليها، قائلا لها: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلّا هَالِكٌ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه برقم: (٤٣)، وَأَحْمَد برقم: (١٧٧٠٠)، وَالحَاكِمُ برقم: (٣٣٠) وَصَحَّحَهُ الألباني برقم: (٩٣٧)، ولكن بما أن تطبيق شريعة الله تعالى والإلتزام بها، لا يتأتّى لمجتمعٍ ما، إلّا أن يكون قد اهتدى أَفرادهُ في خاصة أنفسهم، بهداية الله المباركة، ـ كما بيَّنّاهُ في الكتاب التاسع من هذه الموسوعة ـ، وأن يكون قد التزم بمجموعِهِ دين الله الحق في الجوانب: الفكرية والروحية والخلقية والإجتماعية، لِذا جعلنا هذا الكتاب العاشر: «**إظهار دين الله الحق، أو التزام المجتمع بدين الله تعالى: فكراً وشعائر وآداباً**» مقدِّمة وتمهيداً للكتاب الحادي عشر الذي خصَّصناه لبحث: «**تطبيق المجتمع لشريعة الله في جميع جوانب الحياة**».

ولا يَخفى على أحدٍ، أنّنا راعينا في ترتيب هذه الكتب الثلاثة الخاصة بكيفية الإلتزام بالشريعة، التسلسل المنطقي المتدرِّج، إذ لا يتمكن المجتمع المسلم من تطبيق شريعة الله الحكيمة في كافة جوانب حياته، إلّا بعد التزامه بدين الله: فكراً وسلوكاً وشعائر وآداباً اجتماعية، كما وأنه لا يَتسنّى له الإلتزام بدين الله الحق، كمنهاج: فكري، سلوكي، روحي، إجتماعي، إلّا إذا كان أفراده مهتدين بهداية الله تعالى في خاصة أنفسهم، مجسِّدين إيّاها:

---

(١) إن اعتبار مجتمع ما إسلامياً أو غير إسلامي، شيء، والحكم على الأفراد بالإسلام أو بالكفر شيء آخر، إذْ قد يكون أفراد مجتمع ما، مسلمين بسبب اهتدائِهم الفردي والتزامهم بشريعة الله، ولكن لا يعتبر مجتمعهم إسلامياً، من جرّاء عدم تطبيقهم شريعة الله في شؤون العامة وجوانب حياتهم المختلفة، ثم إنّنا نحتاج للحكم على أفراد مُنتَسِبين للإسلام بالكفر ـ بسبب انحرافات لهم ـ إلى إعمال قاعدة: (ثبوت الشروط وانتفاءُ الموانع)، وإيضاح هذه المسألة يحتاج إلى بسط لا يسعه هذا المقام، وقد شرحنا قاعدة: (ثبوت الشروط وانتفاء الموانع) في الفصل الثالث من الكتاب الثاني من هذه الموسوعة، بِإيجاز.

إيماناً وعبادة وتقوىً وتزكية وخلقاً، هذا وسنفصِّل هذا الكتاب العاشر، في هذه الفصول الثلاثة:

الفصل الأول: استقاء التصورات والقيم والموازين، من معين دين الله الحق وحده.

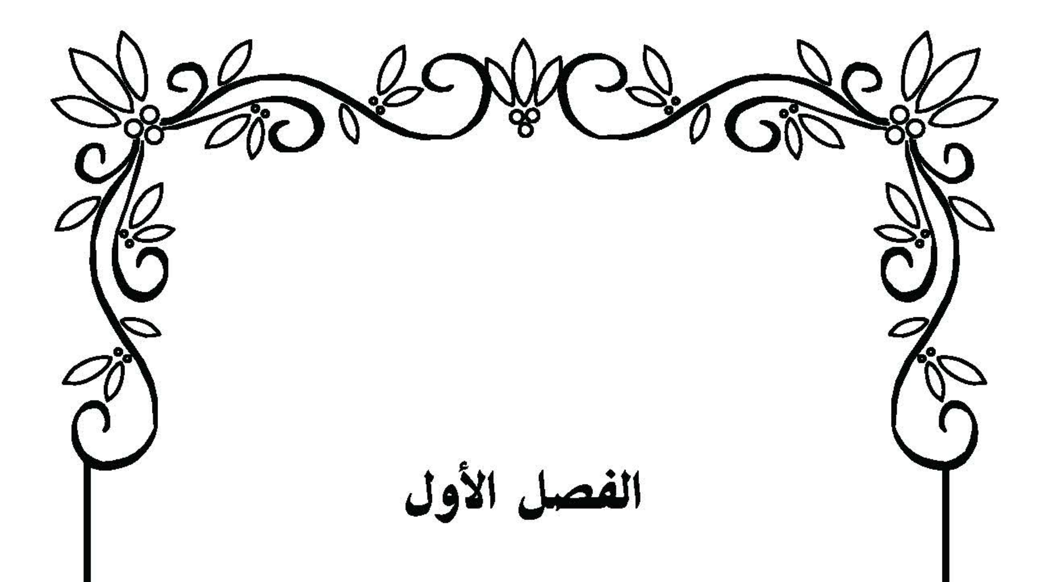
الفصل الثاني: إقامة شعائر الدين، كما حدَّدتها السنة، واجتناب الإِنحرافات الشركية والبدعية.

الفصل الثالث: التعامل وفق الآداب الشرعية، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.






له تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
AliBapir / عەلی باپیر
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر



# الفصل الأول

## استقاء التصورات والقيم والموازين من معين دين الله الحق وحده


لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
English - عربي - کوردی
راگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر




سنوضح هذا الفصل في ثلاثة مباحث، حيث نُخَصِّص لكل من (التصورات) و(القيم) و(الموازين) مبحثاً على حِدة، ولكن قبل الشروع بالحديث عن كل مبحث على حِدة، أودّ أن أُنبِّه على أهمية هذا الموضوع: (توحيد مصدر تلقي التصورات والقيم والموازين، في الينبوع الصافي الوحيد لدين الله، وهو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ) في تكوين المجتمع الإسلامي، فأقول:

إن حصر أخذ التصورات والقيم والموازين، في معين دين الله الصافي، هو حَجَر الزاوية في تكوين المجتمع الإسلامي، والخطوة الأولى في مسيرة نشأته، وهو أول مظهر وأبرز معلم، في التزامه بشريعة الله تبارك وتعالى، وأَيُّما مجتمع قرّر أن يجعل من نفسه مجتمعاً إسلامياً، وأن يعيش بوحي من إيمانه، كما أمره الله تعالى وكما يرضاه له، لا بدّ من أن يبدأ من هذه النقطة الأولى، إذا ما أراد أن يكون تحوّله نحو دين الله تحوّلا حقيقياً جذرياً عميقاً، يمسُّ أعماق وجوده وأغواره، وليس تحوّلاً ظاهرياً شكلياً سطحياً.

وذلك لأن تغيير ما بالأنفس، هو أساس تغيير الواقع والحالة العامة لأيّ مجتمع، كما قال تبارك وتعالى في الآية (١١) من سورة الرّعد: ﴿إِنَّ

ﱡﭐ ﭐﱡ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﱠ [الرعد]، وان أول ما ينبغي تغييره وإصلاحه في أناس مسلمين قرّروا أن يكونوا مجتمعاً إسلامياً ـ طبعاً بعد اهتدائهم الفردي ـ هو تصوراته وقيمه وموازينه.

ونقصد بالتصورات: نظرات المجتمع ورؤاه تجاه القضايا المعرفية الأساسية.

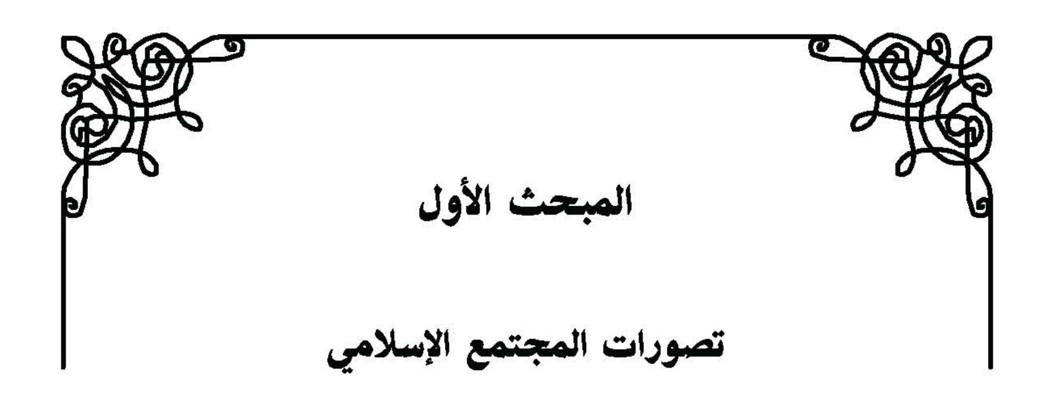
كما ونقصد بالقيم: الأصول والأسس التي يبني عليها المجتمع كيانَهُ، وتُضْبِحُ لُحْمَته وسُداهُ، ويجعلها قمّة يسعى ويصبو للوصول إليها، والإرتفاع بنفسه إلى مستواها.

ونقصد بالموازين: المقاييس والمعايير التي يقيسُ بها المجتمعُ الأفعالَ والأفكار والأشياء والأشخاص.

ومن الواضح أن كلاً من التصورات والقيم والموازين، التي أَتحفَنا بها كتابُ الله وسنةُ رسول الله ﷺ، كثيرة، ومن الصّعب جِداً حصرها وضبطها، ولهذا اكتفينا لكل منها باختيار ما نَحْسَبهُ أنّه هي أهمها وأبرزها، وجديرٌ بالذكر أنه وَردَ وسَيَرِدُ في ثنايا المباحث الأخرى من هذا الكتاب، ذكر كثير من التصوّرات والقيم والموازين، وقد يحدث تكرار في هذا المجال، لِذِكر بعضها، بسبب اقتضاء طبيعة المباحث لذلك.

❋ ❋ ❋





# المبحث الأول

## تصورات المجتمع الإسلامي

واكتفينا في هذا المجال، بالأمثلة السبعة الآتية، والتي سنبحثها في المطالب السبعة الآتية:

١. **الحياة والموت.**

٢. **الدنيا والآخرة.**

٣. **العقل والعلم.**

٤. **الغِنى والفقر.**

٥. **التقدُّم والتأخُّر.**

٦. **الإِنتماءُ للشعب والوَلاء للأمة.**

٧. **السعادة والشقاء.**

## المطلب الأول:
## الحياة والموت

ينظر المجتمع الإسلامي إلى الحياة والموت، كظاهرتين متعاقبتين، مثلهما مثل الليل والنهار، وهما تحدثان كباقي الظواهر والمخلوقات بمشيئة الله الحكيم سبحانه وتعالى، الذي قضى بهما على الجن والإنس للإبتلاءِ، ثم أخذ الجزاء، كما قال تعالى:

أ. ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك].

ب. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ [الكهف].

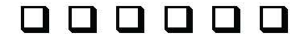
ج. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

د. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾ [الأنعام].

وبناءً على هذا:

فهذا الوجود كله له ارتباط وثيق بحياتنا الدنيوية هذه، وما تَتَمخَّض نه ويَعْقبُها من نتائج، وحياتنا هذه لا تُحْسَبُ الفرصة الوحيدة للحياة فقط، بل هي ليست سوى فترة امتحان وابتلاء، وان الحياة الحقيقية الدائمة ستبدأ بعدها، بناءً على النتيجة التي تتمخَّض عنها، شراً كانت أو خيراً، وسَنُلقي

مزيداً من الضوء على هذه المسألة في المطلب التالي، وقد خصصنا الفصل الرابع من الكتاب الأول كله، لبحث هذا الموضوع، لذا اكتفينا هنا بهذه الإشارة الموجزة.





## المطلب الثاني:
## الدنيا والآخرة

الدنيا ينظر إليها باعتبارين: أمّا من حيث أنها هي الفرصة الوحيدة التي منحها الله لنا، ليبتلينا فيها، ومن حيث أنها قاعة امتحان واختبار، فما أعظم خطْبُها، وما أخطَر شَأنُها! كيف ومصائرنا معقودة بمشيئة الله بها خيراً أو شراً، جنّة أبدية، أو ناراً سرمديّة، وفي هذا المجال يقول سبحانه وتعالى:

أ - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام].

ب - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وأما باعتبارها محلاً للراحة والتمتّع، وتحقيق السعادة وبلوغ الأماني، وبالقياس إلى الآخرة، وما أعدَّ الله فيها لأهل الإيمان والتقوى من النعيم المقيم، فهي شيء تافه، أشبه بلعب الأطفال التي يلعبون بها ساعة ويلهون، ثم يتركونها ويُهملونها، وفي هذا المجال يقول تعالى:

أ - ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ﴾ [محمد: ٣٦].

ب - ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

ج - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وقال رسول الله ﷺ بهذا الصدد: **«وَالله مَا الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إلّا مِثْلُ مَا يَجعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٢٨٥٨).

هذا بالنسبة للدنيا والحياة المؤقتة فيها، وأما الآخرة فهي نهاية مطاف الحياة، ومستقرّ الخلق، وهي في نتيجتها النهائية: جنّة خالدة أبداً، أو جهنّم خالدة أبداً، كما قال تعالى بهذا الصّدد:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

ولهذا حذّرنا الله الكريم الرحيم سبحانه وتعالى مراراً وتكراراً في كتابه الحكيم، من الإغترار والإنخداع بالحياة الدنيا، واحتضانها والإهتمام الزائد - عمّا حدّده الشرع - بها، على حساب الآخرة، كما قال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

إذ هذه الحياة القصيرة المؤقتة المملوءة بالمنغّصات والمشاكل والمتاعب، ليس في وسعها أكثر من أن تكون - كما أراد لها الله الحكيم بحانه وتعالى - فترة ابتلاء فحسب، ولهذا فالتكالب عليها عِلاوة[1] على أنه يَجُرُّ لِصاحبه ولغيره - انْ ظفر بها مدة قصيرة - كثيراً من الشرور والمفاسد،

---

(١) العِلاوة بالكسر: ما عُلِّق على البعير بَعْدَ حِمْلِهِ. المصباح المنير، ص٢٢١.

بالإضافة إلى هذا، يكون على حساب الحياة الأبدية الأخروية، بل ولربّما يؤدي إلى حرمان صاحبه منها!

ولكن ههنا يجب التنبيه على حقيقة مهمة، كثيراً ما تؤدي الغفلة عنها إلى مفاسد جمة وعواقب وخيمة، وهي:

كما أَنَّ الإغترار بمباهج حياة الدنيا الفانية، والإنجرار وراء شهواتها، خطأٌ مرفوضٌ في دين الله تعالى، كذلك إهمال الحياة الدنيا واعتزالها وتركها لأهل الكفر والظلم والفساد، وإخلاء الميدان لهم، ينفردون بخيراتها وبالأمر والنهي فيها، خطأ فادح ومرفوض أيضاً، وانْ سُوِّل لبعض أهل التصوّف المتأثرين برهبنة النصارى، وبعض الطوائف الأخرى من الأمم الكافرة، أن الأمر ليس كذلك!

ولا أرى حاجة الى أن نذهب بعيداً للإستدلال على صحة ما قلنا، إذْ هذه الحقيقة جلية لنا نحن أهل الإسلام المنتمين لخاتم الأنبياء (محمد) ﷺ، ولكتاب الله الأخير، الذي هو كتاب الله الوحيد المحفوظ من التغيير والتحريف، جلاء الشمس في رابعة النهار، وان حياة وسيرة رسول الله ﷺ، وأصحابه وخلفائه الراشدين، المملوءة بالأعمال والنشاطات والإهتمامات الدنيوية المختلفة، من أسرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وقضائية وجهادية وإدارية، لبرهان ساطع على صحة ما قلنا، وكيف لا! وهل أنزل الله الحكيم كتبه وأرسل رسله، إلّا لإصلاح الحياة الدنيا، بإقامة القسط وازالة الظلم والفساد! كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد].

ومما لا شك فيه أن اهتمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدنيا الناس وحياتهم، وسعيهم لجعلها مستقيمة نظيفة لائقة بالإنسان ومرضية لله تعالى، هو الذي جعل الطواغيت أمثال فرعون ونمرود وأبي جهل وأضرابهم، يعلنون حرباً شعواء لا هوادة فيها على الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، ودعوتهم التوحيدية التحريرية، ولو أن رسل الله العظام أمثال: نوح وهود

وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وأنبياءه الكرام عليهم الصلاة والسلام، قنعوا بما قنع به كثير من المتزيِّين بزي أهل العلم والمشيخة، من حياة خانعة في ظل حكم جاهلي، والتَّعيُّش على فتات موائد الطواغيت، لكانت قصصهم غير التي قصَّها الله علينا في كتابه المبين، ولا أتصور أن يبلغ الجهل وسوء الأدب بأحد من أولئك، أَن يدّعي أنه أكثر حكمة وحنكة من الأنبياء الكرام، وأن هذا هو سبب انسجامه هو وتصالحه مع طواغيت زمانه، وعدم انسجام الأنبياء الكرام، مع الملأ المستكبرين والطواغيت المسرفين المترفين، على حساب المستضعفين في زمانهم!!

ومن الأدلة التي تُثْبِتُ أن الدنيا في كتاب الله الحكيم، ينظر إليها من هذين الجانبين بهاتين النظرتين المختلفتين، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

هذا وقد ذمَّ سبحانه وتعالى الذين يحصرون اهتمامهم كلّه في الدنيا وينسون الآخرة، حيث لا يكون الإفراط في الإهتمام بالدنيا، إلا على حساب الآخرة، ويُقرِّر سبحانه أنَّ هؤلاء لا حَظ لهم في الآخرة: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، ولكن يمدح الذين يسألون الله تعالى كلاً من حسنتي الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ومن ثم يعوذون بالله من عذاب النّار ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ويقرّر أن هؤلاء لهم حظاً ونصيباً في الآخرة، بقدر كسبهم وجهدهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾.

وكلمة (الحسنة) كلمة جامعة وشاملة لكل ما هو خير ونافع وصالح، وقد فَسَّر بعضُ العلماء (حسنة الدنيا) بالصّحة، أو الرزق الحلال، أو الزوج الصالحة، أو الأولاد الصالحين... إلخ، ولكن الحقيقة هي أن كلمة الحسنة شاملة لكل ما هو خير ومصلحة، ولكل ما فيه صلاح الإنسان في حياته الدنيا، ولكن قبل كل شيء: الإيمان والطاعة، إذ نعمة الإيمان

والهداية هي أعظم النعم، بل النعم الأخرى كلها تنقلب نقماً بدونها!، وكذلك حسنة الآخرة تشمل كل خير.

والملاحظ أن الله تعالى قدَّم حسنة الدنيا على حسنة الآخرة، والحكمة في ذلك: أن الدنيا مُقَدَّمة على الآخرة زماناً، وحسنة الآخرة، ليست سوى ثمرة ونتيجة للحسنة التي يُوَفَّقُ العبد لاكتسابها في حياته الدنيوية.

وكذلك من الأدلة على ما قلنا، قوله تعالى على لسان قوم قارون الناصحين له: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

وتتضمّن نصيحة قوم قارون لقارون، أُموراً خَمْسَةً، تبيِّن لنا كيفية النظرة الصحيحة إلى الدنيا والتعامل الصحيح معها ـ في منظار دين الله ـ، وهي:

**أولاً**: لا تُسَرَّ بالدنيا ومتاعها غاية السرور (الفرح هو غاية السرور) إذْ هي لا تستأهل ذلك، ولهذا لا يحب الله تعالى الفرحين بالحياة الدنيا، لأن فرحهم بها، يدل على أنهم يُعَظِّمونها جداً، ويجعلونها أبعد مُناهم: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

**ثانياً**: اجعل ما آتاك الله من متاع الدنيا، وسيلة لنيل الآخرة، وثواب الله فيها: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧]، إذاً: فالدنيا ومتاعها ما دامت تجعل وسيلة لكسب ثواب الآخرة، ونيل رضوان الله فهي لا غُبار عليها، بل ومطلوبة أيضاً، إذْ لا يمكن تحقيق الغايات من دون الأخذ بأسبابها ووسائلها.

**ثالثاً**: ولا تُهمِلْ ولا تَنس حَظَّك الذي لا بدَّ منه لإمرارِ المعاش، من متاع الحياة الدنيا: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] وهذا التعبير يفهم منه أن الإهتمام الأكبر، يجب أن يكون مُنْصَبّاً على الآخرة، وكيفية تحقيق الفوز فيها، ولكن يُبْذَلُ أيضاً للدنيا ما يليق بها من الإهتمام،

وهناك قولٌ حكيم في هذا المجال يقول: (**اعمل لدنياك بقدر بقائك فيها، واعملْ لآخرتك بقدر حاجتك إليها**).

رابعا: وأحسن إلى الناس بما أعطاك الله من المال والمتاع وخوّلك فيه، كما أن الله تعالى أحسن إليك: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

خامسا: ولا تطلب الفساد في الأرض، أي لا تجعل غناك وسيلة للفساد، ومفهوم الفساد هنا شامل للجانب الخلقي والسياسي والإجتماعي والإقتصادي... إلخ، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧]، إذ شتّان بين من يجعل المال والغِنى وسيلة الإحسان والإصلاح، وبين من يتخذه وسيلة لنشر الفساد وتحقيق مآربه الشريرة! ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] ومن الواضح أن من لم يكن محبوباً لله، فهو مبغوض له، وبئس شيء يجلب لصاحبه غَضَبَ الله تعالى ـ أعني: الإفسادَ الناشيء من سوء التصرف في المال ـ.

وخلاصة القول:

أَنَّ الدنيا ومتاعَها إذا كانت وسيلة بيد صاحبها، لتحقيق المصالح الشرعية الخاصة والعامة، المؤدِّية إلى رضوان الله وثوابه الجزيل في الآخرة، فهي مطلوبة شرعاً أيضاً، بَلْهَ أنها ليست مرفوضة، ولهذا عندما ذم الله تعالى الكافرين المُؤثِرين للحياة الدنيا، لم يذمهم على مُجَّرد حبهم لها واتخاذها وسيلة، بل على احتضانهم لها، وانغماسهم فيها، ونسيانهم الآخرة بسببها، كما قال تعالى:

أ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

ب ـ ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم].

ج ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل].

## المطلب الثالث:
## العقل والعلم

من نافلة القول: أن العقل والعلم ممدوحان عند كل الأمم والشعوب، وبخلافهما: السَّفه والجَهْل مذمومان، ولكن المهم في الموضوع هو أن نطَّلع على المفهوم الصحيح والحقيقي، لكل من العقل والعلم، في المجتمع الإسلامي الذي ينظر إلى الأشياء بمنظار كتاب الله وبنور الوحي المبارك، الذي لا يعرِّف الأشياء على حقيقتها إلّا هو، لذا فَلْنَتَدبَّر هذه الآيات المباركات:

أ - ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد].

ب - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

ج - ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ].

د - ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

هـ - ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ ... ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

و - ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة].

ز - ... ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال].

ح - ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ [الأنبياء].

ط - ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف].

ي - ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل].

وقبل أن نَسْرُدَ الحقائق التي تتضمَّنها هذه الآيات الكريمات، حول تعريف العقل والعلم، أودُّ التنبيه على حقيقة عظيمة، وهي: **أن كتاب الله الحكيم ليس من عادته التعريف بالأشياء تعريفاً ذِهنياً مجرّداً، أي أنه لا يعرِّف الأشياء كحقائق مجرَّدة في الذهن، وذلك لأن الصور المنتزعة من الأشياء، والمكدّسة في الذهن بواسطة القوة المخيِّلة، ليست موجودة في الواقع، بل هي مجرّد مفاهيم وصور ذهنية منتزعة من الأشياء ليس إلّا! فالعقل والعلم مثلاً، ليس لهما وجود حقيقي في الواقع، بل وجودهما منحصر في أشخاص عقلاء وعلماء، ولهذا يعرِّف كتاب الله الحكيم: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ و﴿ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ويصف آثار وثمار العقل والعلم فيهما، ولكن لا يعرِّف: العقلَ والعلم المجرَّدين الّلذَيْنِ لا وجود لهما إلّا في الذِّهن.**

**كما أنه لا يعرِّف: الإيمان والعبادة والتقوى والبرّ والإحسان والتزكية والجهاد... إلخ، إلّا من خلال أصحابها المتصفين بها، أي: (المؤمنين والعابدين والمتقين والأبرار والمحسنين والمتزكين والمجاهدين...).**

والآن لنرجع إلى الحقائق التي تتحفنا بها هذه الآيات حول العقل

والعلم ومعرفتهما، وهي ثماني حقائق، وسَنُدْ جُها في ثماني فقرات:

**الأولى: أهل الإيمان العارفين بحقانية دين الله الحق، المُتمَثل في كتابه المنزل، هم وحدهم يملكون العلم الحق:**

وهذه الحقيقة تعلنها كل من الآية (١٩) من (الرّعد)، والآية (٩) من (الزمر)، وذلك لأن الله تعالى في آية الرعد، يقارن بين شخصين أحدهما: يعلم ان ما أنزل إلى رسول الله حق، وثانيهما أعمى، أي: لا يبصر هذا الحق، وبالتالي لا يؤمن به.

وفي آية الزمر يقارن سبحانه بين صنفين من الناس، هما: الذين يعلمون، والذين لا يعلمون، وقد عرَّف قبل هذا ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ بقوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الزمر.

إذاً: أهل الإيمان والطاعة هم ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾، ومَنْ عداهم ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

**الثانية: وأهل الإيمان المتذكرين لحقيقة ربوبية الله تعالى وعبوديتهم له، هم وحدهم العقلاء:**

وهذه الحقيقة أكدتها أيضاً الآيتان السابقتان، حيث قال جلّ شأنه في ختام كل منهما، بعد بيان موقف العارفين المؤمنين بدين الله الحق، وبيان موقف الجهلة الكافرين: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وهذا التعبير كما هو معلوم يفيد الحصر والإثبات، أي: اثبات التذكُّر لأولي الألباب وحصره فيهم، وهذا يعني أن من لم يتذكر، فهو ليس في عِداد أولي الألباب، كما أنه لم يكن في عداد الذين يعلمون.

وبناءً عليه: فمن لم يؤمن بكتاب الله المنزل، ونبيه المرسل ودينه الحق، من جرّاء عدم تذكره لربوبية الله تبارك وتعالى الشاملة لكل المخلوقات، وعبوديَّتِهِ له، فهو يعتبر عديم العقل والعلم، أي أعمىً جاهلاً.

**<u>الثالثة:</u> وأهل العقل والعلم، هم وحدهم الّذين يُقدِّرون كتاب الله حق قدره، ويؤمنون به ويتذكرون به:**

وهذه الحقيقة بيَّنته الآية (٦) من (سبأ) والآية (٩) من (ص)، إذاً: كُلَّما ازداد الإنسان رجاحة في العقل، وعمقاً وغزارة في العلم، ازداد يقينه بحقانية كتاب الله، وازداد تَذَكره للحقائق الكبرى به، ولكن أهل السَّفه والجهل، بمعزل عن نيل هاتين النعمتين، وقد صدق من قال:

**«قد يبلغ الجاهل (أو السَّفيه) من نفسه ما لا يبلغ منه عدوّه»!.**

**<u>الرابعة:</u> وكما أن التذكر هو ثمرة العقل الحصيف، كذلك خشية الله هي نتيجة العلم الشريف:**

وهذه الحقيقة تبيِّنه الآية (٩) من (الزمر)، والآية (٢٨) من (فاطر)، وبناءً عليه: ففي منظار المجتمع الإسلامي، الذي ينظر إلى الأشياء بنور كتاب الله، يُعْتَبر الإنسانُ من أهل الُّلبِّ والعلم، بمقدار ما يتصف به من تَذَكُّرِ لله تعالى وربوبيته وألوهيته وحَقِّه على عباده، وخشيةٍ منه واجلالٍ وهيبةٍ واستحياءٍ، وأيُّ عَقْلٍ أو علمٍ، لمن نسي ربَّه، ولم يخش من قيامه بين يديه يوم يقوم الناس لربِّ العالمينَ!!

**<u>الخامسة:</u> وقد نفى الله الحكيم كلاً من: السمع والبصر والنطق والعقل والعلم والفقه، من الكفار:**

ـما صرَّحت بهذه الحقيقة آيات كثيرة، منها الآية (١٧١) من (البقرة) والآية (٦٥) من (الأنفال)، والآية (٢٤) من (الأنبياء) والآية (١٧٩) من (الأعراف).

وههنا ربما يجول في ذهن الإنسان هذا السؤال:

أَوَ ما نرى أن الكفار يسمعون الأصوات، ويُبْصِرون الأجسام، ويتكلَّمون، وكذلك يَتمتَّعون بالعقل والعلم والفهم، مثلهم مثل سائر الناس، فما معنى نفي هذه الأشياء عنهم؟!

والجواب باختصار شديد، هو:

إن الحيوانات أيضاً تشارك البشر في سماع الأصوات، بل والتجاوب معها، وكذلك في الرؤية وفي نوع من النطق - وان لم نفهمه نحن، كما تدل عليه قصة سليمان عليه السلام مع النملة، ومع الهدهد - وكذلك تقوم بأعمال دقيقةٍ ومُتْقَنةٍ مُحيِّرة للعقل، بحكم الغريزة والإلهام الإلهي، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل]، تدلّ - تلك الأعمالُ المتقنة - على علم دقيق وفهم عجيب!!

إذن:

فما هو الفرق يا تُرى بين الحيوان والإنسان، وما هو الإمتياز الذي جعل الإنسان سيِّد هذه المخلوقات ومخدومَها، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية]؟! والجواب: الفرقُ بين الإنسان والحيوان، والإمتياز الذي، تَفَرَّد به الإنسانُ من بين الكائنات، وجعله بذلك المقام الأرفع، والمحلّ الأَسْنى، هو حَمْلُ الأمانة التي لم يكن في وسع السموات والأرض والجبال، أن يحملنها وأشفقن منها، أمانة عبادة الله تعالى بالإرادة الحرّة، والمشيئة الجزئية التي بوسع الإنسان أن يُضادَّ بها رضى الله تعالى، وأن يخرج بها عن دائرة شريعته الحكيمة، وعن إطار فطرته السليمة، متصفاً بكثير مِن الظلم المنافي للتوحيد والعدل، والجهل المضادّ للعلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب].

وحمل تلك الأمانة المذكورة (عبادة الله تعالى بالإختيار والإرادة الحرّة) هي وحدها حكمة خلق الله تبارك وتعالى للإنس والجن، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وآية الذاريات هذه، وآيتا الأحزاب الآنفتان، تفسر بعضها بعضا، وتُبيِّن مرامَها، وذلك لأن الله تعالى أعلن في الآية (٧٢) من (الأحزاب) أنه عرض

أمانته ـ التي أراد أن يحمّلها بعض مخلوقاته ـ على السموات، بكل ما لها من ضخامة، والأرض بكل ما فيها من أسرار وعجائب، والجبال بكل ما لها من شدّة وصلابة، ولكن أحداً منها، لم يكن لديه استعداد حملها، والمخلوق الوحيد الذي كان بوسعه حملها، ولديه استعداد ذلك، كان الإنسان، لِذا حمّله الله الحكيم إيّاها، ثم نبّه سبحانه وتعالى على نقطتي ضعف الإنسان اللتين يُؤْتىٰ من قِبَلِهما، ويخون أمانة الله ويُضَيِّعُها، انْ لم يَحْذَرْهُما، وهما (الظلم) و(الجهل)، وإنما يعالج الإنسان هاتين المشكلتين، أو هذين الضعفين، باهتدائه بهدى الله، واتّباعه لشريعته، وذلك لأن وحي الله وهُداه، هو العلم الحق الذي مَنْ أَخَذَ به، نجى من الجهل، وكذلك اتباع هدى الله وشريعته، يجعل الإنسان بمنجىً من الظلم، إذ يصبح بفضل اتّباع دين الله عدلاً مستقيماً!

ثم يبيِّن الله تعالى في الآية (٧٣) من (الأحزاب)، نتيجة حمل أمانة الله تعالى، سواء من خانها وأضاعها ظلماً، وهم المنافقون ذكوراً وإناثاً، أو جهلاً، وهم المشركون، كذلك ذكوراً وإناثاً، أو من أدّاها ولم يَخُنْها ولم يُضَيِّعُها، وهم المؤمنون والمؤمنات الذين اتصفوا بفضل اهتدائهم بهدى الله واتباعهم لدينه الحق، بالعلم والعدل، وانتفى منهم الظلم والجهل، فاستحقوا بفضل الله وكرمه توبة الله عليهم وغفرانه ورحمته.

وفي آية الذاريات يبيِّن الله الحكيم معْنى حمل الإنسان الأمانة الربانية، ومحتوى تلك الأمانة المُلْقاة على عاتقه، وهو عبادته لله تبارك وتعالى باختياره ـ وكذلك الجن ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، إذاً: تلك الأمانة الثقيلة الجليلة التي لم يكن في وسع أحد من مخلوقات الله تعالى، حَمْلُها سوى الإنسان، هي العبادة الإختيارية لله تعالى، وذلك لأن آية الذاريات تبيِّن ان الحكمة التي خلق الله الجِنَّ والإنس لتحقيقها، هي العبادة الاختيارية لله تعالى: (ليعبدون) وفي آيتي الأحزاب، يعلن سبحانه وتعالى أن هناك في الإنسان قابلية وخاصية ينفرد بها من بين مخلوقات الله، هي التي أهَّلته لحمل أمانة الله وعند التأمل في حال الجن والإنس، ومقارنتهما ببقية مخلوقات الله، نجد أن الفارق البارز، والإمتياز

الوحيد لهما عليها، هو امتلاك تلك الإرادة والمشيئة الجزئية الحرة التي بإمكانهما ـ انْ أرادا ذلك ـ أَنْ يُحَقِّقا بها حكمة وجودهما، وهي: عبادة الله تعالى، فَيَسْتَحِقّان غفرانَهُ ورَحْمتَهُ ورضوانَه وجَنَّتَهُ، وذلك بسبب اتصافهما بالعدل والعلم، نتيجة الإهتداءِ بهدى الله واتِّباعِ دينه الحق، وكذلك بوسعهما ـ انْ أرادا ـ أن يحيدا عن صراط الله المستقيم، ويَخْرُجا من إطار فطرتهم السليمة التي فطرهم الله عليها، وشريعة الله الحكيمة التي أنزلها إليهم، والَّلتين هما وجهان لحقيقة واحدة، وتصدق إحداهما الأخرى، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، ومن جرّاء ذلك يستحقّان غضب الله وعقابه العادل!

وبناءً على كل ما مرَّ ذكره، نقول:

إن الأجهزة التي أعطيت للإنسان وكذلك للجن، من سمع وبصر وعقل وكلام، والتي يستطيع أن يكتسب بها العلم والمعرفة والفقه، ومن ثم يدرك بها سِرَّ هذا الوجود عموماً، وحكمة خلقه ووجوده خصوصاً، وذلك باستعمالها الإستعمال الصحيح، لرؤية آيات الله المنظورة في الأنفس والآفاق، وسماع آياته المتلوة في كتابه الحكيم، والتفكر في خلق الله والتدبّر في كلام الله، ومن ثم الإقرار بالحق والإِتِّباع للشرع، نعم إن تلك الأجهزة والقوى الإدراكية، إذا ما استعملها الجن والإنس، في الإِتجاه الصحيح المؤدِّي لتحقيق الحكمة التي خلقوا مِنْ أجلها، وحفظ تلك الأمانة التي حُمِّلوها، فهي في تلك الحالة، وبما أَنّها أدَّت وظائفها، تستحق أن تُعْتَبَر فعلاً: سمعاً وبصراً وعقلاً وكلاماً، لأنها سمعت الحقَّ، وأَبْصَرتْهُ، وعَقَلَتْهُ ونَطَقَتْ به، ولكن بخلاف ذلك، ان لَم تَقُمْ بوظائفها، فهي ساوت نفسها بالعدم، لِذا استحقت سَلْبَ أسمائِها وعناوينها منها!

نعم فأي امتياز للإنسان ـ كذلك الجِنِّي ـ الذي لا يؤمن بربِّه، ولا يعبده، ولا يقبل الحق الذي أنزله، على الحيوان الأبكم؟! إذْ كلاهما اكتفى في حياته بالأكل والشرب والنوم وإشباع غرائزه، ولا شيء بَعْدَ هذا!

ولهذا قرن الله تعالى الكفار في هذا الجانب بالحيوانات، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد]، بل هو أسوأ حالاً وأحط رتبة، وذلك لأن الحيوان مجبول على حيوانيَّتِهِ لا محيد له عنها، وليس بوسعه ألّا يكون حيواناً، ولكن الإنسان ليس هكذا، إذ خلقه الله الحكيم في أحسن تقويم: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [التين]، وبوسعه أن يرتفع إلى العليين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين]، لِذا: عندما يسوّي نَفْسَهُ بالحيوان، يُصبح أنزَلَ منه رتبة وأحَط درجة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين]، إذاً: لا كون موجودٌ أسفَلَ من الإنسان والجني الكافر رتبةً، وأَحط شأناً! وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة]، نعم، الكافرون هم أسوأ الدواب عند الله، وشر المخلوقات قاطبة!!

**السادسة: قد يَمْتَلِك بعض الكفارِ العلم بالحق الذي أنزله الله، ولكن العلم الذي لا يتحوَّل إلى العمل، هو في حكم الجهل، ولهذا وصمهم الله تعالى بِالجهل جميعاً:**

وهذه الحقيقة يبيِّنها قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء]، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ يفهم منه أن بعضاً منهم يعلمون الحق، أي ان إعراضهم ليس بسبب الجهل، بل بسبب العناد والإستكبار، كما قال تعالى عن آل فرعون

المقرِّين بالحق الذي جاء به موسى، ولكن رفضوه تكبُراً وعِناداً وجحوداً: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

**السابعة: وأدوات كسْب العلم وطُرُق تحصيله، هي: السمع والبصر والفؤاد:**

وتدل على هذه الحقيقة أكثر من آية، منها الآية (٧٨) من (النحل): ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾، أَجَلْ، إستعمالُ السمع بسماع آيات الله المتلوة، والبصر بالنظر إلى آياته المنظورة، والفؤاد (العقل) بالتدبُّر والتأمُّل في كلا نوعي الآيات، هو الطريق الوحيد لكسب العلم للبشر عموماً، ولكن الأنبياء الكرام عليهم السلام، مستثنون من هذه القاعدة العامة، إذ هم بالإضافة إلى هذه الوسائل الثلاث، خصّهم الله الكريم بالوحي من الله تعالى، وهذا العلم المبارك المكتسب مباشرة من الله تعالى، لا دَخْل للإنسان فيه سمعاً ونظراً وتفكراً، كما قال جلَّ شأنه لنبيه الخاتم ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص].

**الثامنة: والعلم في حدِّ ذاته ممدوح، ولم يَضع الشرع حَظراً على أي نوعٍ من أنواعه، ولكن العبرة بالغايات والمقاصد التي يُستخدَمُ لتحقيقها:**

والأدلة على أن العلم في حد ذاته ممدوح، كثيرة جداً ـ في كتاب الله ـ، ولكن نكتفي هنا باثنين منها:

**أولاً:** قصة إسجاد الله تعالى كل الملائكة لآدم، بعد أن جعله معلِّماً لهم، بإعلامه إياهم الأسماء كُلَّها، عندما أبدوا عجزهم عن معرفة الأسماء، كما في الآيات (٣١، ٣٢، ٣٣ من البقرة)، وهذه القصة تدل بوضوح على أن العلم، هو الميزة التي يمتاز بها أبونا آدم على الملائكة الكرام، وأصبح بفضلها مكرَّماً لهم.

**ثانياً:** إن الله تعالى لم يأمر نبيه الأمي ﷺ، أن يسأله الزيادة في

شيء، سوى العلم، إذ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا . . .﴿١١٤﴾﴾ [طه].

ثم وان كان في نظر الإسلام يعتبر العلم المحصول بواسطة الوحي هو العلم اليقيني الحق الذي لا تشوبه شائبة الهوى والظن، كما قال تعالى في وصف كتابه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ [الحاقة]، ولكن مع هذا أمرنا الله تعالى باستعمال حواسنا وعقولنا في استكشاف أسرار الخلق، والإطلاع على خفاياه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ . . .﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ . . .﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق]، وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ [عبس].

ولكن كما قلنا: إنَّ العبرة هي في كيفية استعمال العلم والمقاصد التي يوجَّه إليها، فالعلم ـ أي العلم الجزئي الظاهري ـ وان كان نعمة كبرى في حدِّ ذاته، وعامل رفعة الإنسان ورُقِيِّه، ولكن يمكن أيضاً أن يتحوّل من جرّاء سوء استخدامه، وجعله مطية للمقاصد الشرِّيرة، إلى نقمة وأَيّ نقمة، بل وحتى العلم الحق اليقيني الربّاني المحصول عن طريق الوحي، إذا لم يُرافِقْهُ الإيمانُ، ولم تقارِنْهُ العبودية لله تعالى، والإلتزام بشريعته، لا يمكن أن يكون عامل رفعة وسمّو لصاحبه، بل قد يتخذه وسيلة لغايات حقيرة تافهة، كما قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف].

وخلاصة ما ذكرناه هنا حول نظر المجتمع الإسلامي إلى العقل والعلم، أو العقلاء والعلماء هي: أن المعيار الوحيد الذي يُقَيِّمُ ويُوْزَنُ به العَقْلُ والعِلْمُ، وأولو الألباب وأولوا العلم، هو: مَدى إدراك الحكمة الكبرى التي خُلِقَ من أجلها الجن والإنس، وَكُوِّنَتْ لها الأكوان، وهي التي تتمثل في العبادة لله تبارك وتعالى، وتتجسَّدُ هي بدورها في: الإهتداء بهدى الله والإلتزام بدينه الحق، فمَن كان عنده هذه المعرفة، واتصفت بالنتيجة التي تَنْبَثِقُ منها، ما لم يَحُلْ دونها حائِلٌ، من هوى النفس وخداع الشيطان، فهو بقدر إدراكه لهذه الحكمة، وقضاياها المنبثقة منها، والمرتبطة بها، وبمقدار تحقيقه العملي

لها، يعتبر عاقلاً وعالماً، وإلّا بخلافه، فهو سفيه جاهل، مهما حصَّل من العلوم والمعارف الجزئية المتعلقة بمخلوقات الله وبظاهر الحياة الدنيا.

وههنا يثور سؤال في الأذهان:

كيف يمكن اعتبار كثير من العلماء الفطاحل، في مختلف فروع العلم من: فلك وكيمياء وفيزياء وطب وتشريح وجيولوجيا... إلخ، سفهاء وجهلة، وهم الذين اكتشفوا كثيراً من أسرار الخلق وقوانينه الحاكمة عليه؟!

وجواباً على هذا السؤال نقول:

إن امتلاك بعض العلوم والمعارف الجزئية، عن بعض أسرار الخلق وقوانينه، التي أودعها الله العليم فيه، شيءٌ، وإدراك سِرِّ هذا الخلق عموماً، وحكمة وجود الإنسان خصوصاً، والذي تَنْبني عليه فَلْسَفَةُ الحياة، شيءٌ آخر مختلف عنه تماماً، ولهذا نَسَبَ سبحانه وتعالى إلى الكفار هذا العِلمَ الجزئيَّ، وسمّاه علماً بظاهر الحياة الدنيا، فقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ...۝٨٣﴾ [غافر]، كما نرى قد أقرَّ لهم سبحانه بشيء من العلم، ولكن لم يَحُلْ امتلاكهم لهذا النوع من العلوم والمعارف الجزئية، دون وصفهم بالسَّفَهِ والجَهْل، وذلك لثلاثة أسباب:

**أولاً**: إن علوم الإنسان ومعارفه الناتجة عن استعمال عقله وحواسِّه وتجاربه، مهما كثرت وعلَتْ في نظره، لا تعدو أن تكون علماً قليلاً بالنسبة لِأسرار الوجود اللامتناهية، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء].

**ثانياً**: ثم إن تلك العلوم والمعارف، بسبب محدودية قوى الإنسان الإدراكية، واختلاط كثير من الجهل والهوى والغرض بها، لا يمكن - عموماً - أن تترك صفتها النسبية، ولا تُصْبحُ مطلقة أبداً.

**ثالثاً**: ثم إن هذه العلوم والمعارف التي تؤدي بالإنسان إلى تطوير حياته المادية - كما ذكرنا سابقاً - تُشاركه فيها كثير من الكائنات الأخرى،

من الأنعام والوحوش والطيور والحشرات، ولكن إتقان حشرة - كالنحل مثلا - ترتيب وإدارة حياتها وتنظيمها تنظيماً دقيقاً مُدْهِشاً جداً، لا يمكن للإنسان مجاراتها فيها أبداً، لم يؤدّ بالنحلة ومنذ أن خلق الله النحل، أن يغيِّر من مستواه، ويَرْقى به إلى حال أخرى! فكذلك تلك المعارف والمعلومات الجزئية، طالما كانت بمعزل عن العلم الحق، والمعرفة الصحيحة، التي تُبيِّن سِرَّ الخلق وحكمة وجوده، ووظيفته في هذه الحياة... إلخ، فَلَنْ تؤدِّي بحياة الإنسان أكثر من أن تجعلها حياة مُنَظَّمة مرتَّبة من الناحية المادية، مثلها مثل حياة النمل والنحل الراقية المنظمة والمرتبة والمتقنة، ولا يمكن أن تؤدي بالإنسان وحياته الأرضية أبداً، الى أن تكون بالمستوى الرفيع الخطير، الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، وما قلناه نظريا، نراه الآن بأم أعيننا واقعاً عملياً، تعيشه المجتمعات الكافرة خاصة، والمجتمعات الجاهلية المنحرفة عن جادة شرع الله عامة، إذ نرى حياةً تتطور باستمرار وتزدهر، في جانبها الماديِّ المرتبط بالجانب الجسدي والغريزي الحيواني من الإنسان، على حساب روحه وعقله وقلبه وأخلاقه، بل وإنسانيَّتِهِ ووظيفته التي خُلِقَ لها، ومستقبل حياته الدنيوية، التي تسير سيراً حثيثاً نحو الإنهيار، ومصيره الأخروي الذي ينتظره وهو مُقْبِل عليه، كلٌّ فرد على حِدَةٍ: بعد عمر سنوات قلائل، والمجموع: بعد مدّة تَقْصُرُ أو تطول، عاجلاً أو آجِلاً لا محالة.

وسنعود إلى البحث حول العقل والعلم مرة أخرى في الكتاب الحادي عشر من هذه الموسوعة، بإذن الله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## المطلب الرابع:
## الغِنى والفقر

وكذلك للمجتمع المسلم نظرة خاصة بها، نحو ظاهرتي الغِنى والفقر، تختلف عن نظرات الآخرين، إذ من الواضح أن الناس عموماً يعتبرون الغِنى والجِدَةَ مطلقاً، نعمةً والغني محظوظاً، بل ومحبوباً عند الله تعالى! والفَقْرَ بلاءً ونقمة، والفقير تعيساً بائِساً يستحق العزاء والرثاء!

ولكن تقييم المجتمع الإسلامي، يختلف عن هذا تماماً، ولاستجلاء نظرة المجتمع الإسلامي، والتي هي النظرة الصحيحة لكل القضايا، لأنها نابعة من هدى الله ووحيه المعصوم، لنتأمل هذه الآيات المباركات:

١. ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف].

٢. ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر].

٣. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ [الليل].

٤. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة].

٥. ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة].

٦. ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٢ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢٧٣﴾ [البقرة].

٧. ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر].

ونأخذ من هذه الآيات الحقائق الثماني الآتية، في مجال تقييم المجتمع الإسلامي للفقر والغنى، والتي نَسْرُدُها في ثماني فقرات:

**الأولى: انَّ تقسيم الأرزاق وتحديد مستوى المعيشة، يجري في الناس وفق مشيئة الله الحكيمة:**

كما يدل عليها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف]، وهذه حقيقة يغفل عنها كثير من النّاس، عندما يرون أصحاب الثروات الضخمة، والأموال الهائلة من أشخاص ودول، مبهورين ومبهوتين بما تجمعت في أيديهم، واستحوذوا عليها من خيرات! ولكن الحقيقة هي أن توزيع الثروات وتقسيم المعايش، ككل الشؤون الجارية الأخرى في

الوجود، لا يخرج عن دائرة مشيئة الله الشاملة لكل شيء.

هذا وقد أكَّد كتاب الله الحكيم هذه الحقيقة - وهي أنَّ بسط الرزق وتضييقه، إنما يجري بمشيئة الله الحكيمة - في آيات كثيرة، منها:

١ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ (٢٦)﴾ [الرعد].

٢ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (٣٠)﴾ [الإسراء].

٣ - ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٣٧)﴾ [الروم].

٤ - ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٦)﴾ [سبأ].

٥ - ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٦٢)﴾ [العنكبوت].

٦ - ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ . . . (٣٩)﴾ [سبأ].

٧ - ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥٢)﴾ [الزمر].

٨ - ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ (٢٧)﴾ [الشورى].

٩ - ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (١٢)﴾ [الشورى].

١٠ - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة].

**ولا شك أن تأكيد كتاب الله الحكيم الكثير على هذه الحقيقة، يدل على أهميتها في بناء تصور إسلامي سليم حول هذه القضية، وعلى مكانة قضية الرزق في حياة البشرية، وليس ما يجري من حروب وويلات بين بني**

**آدم - في الأعم الأغلب - إلّا من جرّاء ظلم بعضهم بعضاً، في مجال الرزق والمعيشة؟! وسبحان الذي ملأ كتابه الحكيم بالحِكَمِ والأَسرار!**

ولكن هذا لا يعني بحال أن الله تعالى يُجْبِرُ بعض النّاس على الغِنى الفاحش، والبقية على الفقر والبؤس! كما أن هذا لا يعني أن الله تعالى راضٍ عن أوضاع الناس المعيشيَّة، وان خالفت شريعته! كيف والله سبحانه وتعالى أعْلَن في كتابه الحكيم، مَقْتَهُ وغضبه على الإسراف والمسرفين، وعلى البطر والمترفين، ونهى عن كنز الأموال، وهدَّدَ الكانزين، وأوجب على الأغنياء إعانة المحتاجين، كما سنذكرهُ فيما يأتي من البحث! بل الهدف من التنبيه على هذه الحقيقة - والله هو العليم الحكيم - هو لَفتُ الأَنظار وجَلْبُ الإنتباه إلى أن شيئاً ما، لا يمكن أن يحدث بمعزل عن مشيئة الله الحكيمة، ولكن جريان الأمور طبقاً لإرادة الله وقدره شيءٌ، وكونها مرضية لله تعالى أم لا، شيء آخر، وشرع الله هو المعيار الوحيد الذي نعرف به رضى الله تعالى، أو سخطه، تجاه ما يجري من الأمور.

**الثانية: وجعل الله تعالى تفاوت درجات المعيشة إحدى سننه، كي يتحقق تسخير الناس بعضهم لبعض، والذي يعتبر محرِّك دولاب الحياة:**

ويدلّ على هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ... ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف]، إذن: حكمة جعل الله تبارك وتعالى مستويات معيشة الناس مختلفةً وموزَّعةً على درجات، هي أن يصير الناس بحكم الإختلاف في طرائق عيشهم ومستوياته، بحيث يستخدم بعضهم بعضاً، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ وليس المقصود به استضعاف بعضهم لبعض، واضطهادهم اقتصادياً! إذ هذا حرام، بل جريمة كبرى، في شريعة الله العادلة كما سنبين فيما بعد.

**الثالثة: ومتاعُ الدنيا المادي تافِهٌ، في ميزان الله، لِدرجة أنه لولا اجتماع الناس على الكفر، لجعل الله الكفار أغنياء، غِنىً عجيباً:**

وهذه الحقيقة تبيِّنها الآيات (٣٣، ٣٤، ٣٥) من (الزخرف) حيث

يعلن سبحانه وتعالى، أنه لولا أن يكون الناس أمة واحدة ـ أي مجتمعين على الكفر ـ لأعطى الكفار من الأموال والإمكانيات، ما يجعلون بها سُقُف بيوتهم، ومعارجها، وأبواب بيوتهم، وسررهم التي يتكؤون عليها، من الذهب والفضة!

وأرى ـ والله هو العليم الحكيم ـ أن المقصود من بيان هذه الحقيقة، هو: جَلْب انتباه الناس، إلى قِلَّة شأن المتاع المادي الدنيوي، بالقياس إلى ما أعدَّه الله الكريم لعباده من النعيم المقيم في الجنَّة، والدليل على هذا هو قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف]، أي لَيْسَ كل ما ذكر من المتاع المادي، سوى استمتاع مؤقَّتٍ في الحياة الدنيا، أما الدار الآخرة، فهي عند الله تعالى، وهي مُخْتَصَّةٌ بالمتقين دون سواهم!

**الرابعة: وتنعيم الله بعض الناس بالغِنى، وابتلائِه بعضهم الآخر بالفقر، ليس دليلاً على رضاه عن الأولين، وسخطه على الآخرين:**

وهذه الحقيقة تبيِّنها الآيات من (١٥ إلى ٢٠) من (الفجر)، ومن الواضح أن المقصود بكلمة (الإنسان) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ [الفجر]، هو الإنسان الكافر، أو الإنسان الفَتْريُّ الذي لم تَصِلْهُ يَد هدايةِ الله تعالى، وذلك لأن تلك التصورات، إنما هي تصورات جاهليةٌ؟! تغزو قَلْبَ الإنسان الفاقد للهداية فحسب!

نعم إن جوهر الإنسان وحقيقته، ليس مرهوناً بالفقر أو الغِنى، حتى يكون رضى الله أو سخطه مستنداً إليهما! بل حقيقة الإنسان تتجلَّى في موقفه من كل من الفقر أو الغنى اللَّذَيْن يُبتلى بهما، فمن ابتلي بالفقر ـ من غير تفريطٍ منه وتكاسل ـ فصبر صبراً جميلاً، ولم يُخرِجْهُ فقره من إطار الشرع، ولم يجعله يُفرِّط في واجباته، فهو محمود ومرضي لله تعالى، وكذلك من ابتلي بالغِنى والمال، فشكر الله تعالى فيه، وأدّى الحق الذي عليه فيه، كذلك هو مرضي ومحبوب عند الله تعالى، ولكن المسخوط الممقوت لله تعالى، هو ذلك الغني الذي يُبْطِرُه غناه ويُطْغِيه، كما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

﴿لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]، وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصص]، وكذلك هو ذلك الفقير الذي يتبرَّم بقدر الله وإرادته الحكيمة، بسبب إصابته بالفقر والحاجة: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [الفجر].

وخلاصة القول:

إن الله تعالى جعل الغِنى والفقر، مادتين من موادّ امتحانه وابتلائه لعباده، فقد يُفقِرُ ويُغْني الصالحين والطالحين جميعاً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء]، وانَّما ينجح الغني في امتحان المال، بالشكر لله تعالى، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل]، وقال عن داود وابنه سليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ... وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ... يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ]، كما أن الفقير ينجح في امتحان الفقر بالصَّبر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة].

ولكن الملاحظ أن الله تعالى بِعَدْله وحكمته، يتسامح مع الفقير أكثر مما يتسامح مع الغني، ودليلي على هذا الفهم ـ والله هو العليم الحكيم ـ هو: أن الله تعالى شدَّد النكير في كثير من آيات كتابه الحكيم، على الأغنياء البطرين المسرفين المترفين، أو الكانزين الممسكين، وأعلن عن أشدِّ العقوبات الدنيوية والأخروية لهم، ولكن لا نرى هذا بالنسبة للفقراء! وأنا الآن لا أتذكر آية واحدة أنحَتْ باللائمة على الفقراء، بسبب عدم صبرهم، غير آية سورة الفجر المتقدِّمة، وواضح أن الصبر واجب على الفقر، بدليل ثناء الله تعالى على الفقراء الصابرين، ولكن ما هي حكمة عدم إبداء النكير على عدم صبر الفقراء؟!

أرى أن الحكمة هي أن الله تعالى ـ وهو العليم بكل شيء ـ يعلم أن فقر الفقراء، ومسكنة المساكين، وحاجة المحتاجين، إنما هي من جرّاء ظلم الأغنياء، وترف المترفين، وإسراف المسرفين، ولهذا صَب كتابُ الله الحكيم جامَ غضبه على أولئك الأغنياء الظالمين المُضْطهِدين المُجحِفين، الّذين لولا ظلمهم وجشعهم وطغيانهم، لما أَصابَ الفقراءَ ما أَصابهم من فقر وحاجة ومسكنة! وقد يرتكب الفقير تحت ثقل حِمْل الفقر الثقيل المفروض عليه بسبب الظلم، أخطاءً، لو لم يَعضّهُ الفَقْرُ بِنابِهِ، لكان بمنأىً عنها! ولا أقول هذا تبريراً لأخطاء الفقراء وإِعذاراً لهم، ولكن مما لا شك فيه، أن من يقترف الخطايا بدافع الشهوة والهوى، يختلف حكمه، عن الذي يُضْطَرُّ إلى ارتكاب الأخطاء اضطراراً، ومن جرّاء الضعف يسقط ويتهاوى!

**الخامسة: وقد بَيّن الله تعالى في كتابه الحكيم، الأوصاف الذميمة، للأغنياء البطرين المترفين المسرفين، أو الممسكين البخلاء، وبإمكاننا أن نحصي أهم تلك الأوصاف الذميمة، في البنود التسعة عشر الآتية، في ضوء آيات الله المباركات:**

١ ـ **اعتبار الغِنى إكراماً من الله تعالى للغني:** ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر].

٢ ـ **واعتبار الفقر إهانة من الله تعالى للفقير:** ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، ومعلوم أن مثل هذا التصور الخاطيء، ينشأ في ذهن من يرى الدنيا ومتاعَها وإشباع رغباته فيها، أعلى الأمانيّ وقِمّةَ الأهداف!

٣ ـ **حبّ المال كثيراً إلى حدّ الهيام به:** ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

٤ ـ **الإنهماك بجمع المال وعدّه:** ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ [الهمزة]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤].

٥ ـ **تصوّر أن المال يسبّب له الخلود:** ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ③﴾ [الهمزة]، وربّما المقصود بهذه الآية الكريمة هو أن ذلك الغني الكانز، يتصرف تصرّفَ من يعتقد بالخلود في الدنيا.

٦ ـ **أكل الميراث من دون مراعاة حقوق الآخرين فيه:** ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ⑲﴾ [الفجر].

٧ ـ **أكل أموال الناس بغير وجه حق:** ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ . . . ㉞﴾ [التوبة].

٨ ـ **الطغيان على الله وعلى العباد:** ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ⑥ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ⑦﴾ [العلق].

٩ ـ **عدم الإعتراف بفضل الله في تحصيل المال، والإدعاء بأنه ثمرة علمه وجهده:** ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ [الزمر: ٤٩].

١٠ ـ **منع المعونة والمساعدة للمستحقين عموماً:** ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ⑦﴾ [الماعون].

١١ ـ **عدم احترام اليتيم، بل دَفْعُهُ وطَرْدُهُ:** ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ⑰﴾ [الفجر]، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ②﴾ [الماعون].

١٢ ـ **عدم مساعدة المسكين، بل وحتى عدم حَثّ الآخرين على إعانته:** ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ⑱﴾ [الفجر]، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③﴾ [الماعون]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ㉝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ㉞﴾ [الحاقة].

١٣ ـ **إغتياب الناس وتغييرهم:** ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ②﴾ [الهمزة].

١٤ ـ **التبجّح والتفاخر بإنفاق المال، بالرغم من أنّه أنفقه في الإفساد وليس في الإصلاح:** ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ

﴿أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝﴾ [البلد].

نعم ليس المهم الإنفاق، وإنما المهم الإنفاق في وجوه الخير والصلاح.

**١٥ و١٦ ـ إمساك المال والبخل به، في صرفه في وجوه الخير ومصلحة الناس، ولكن بخلافه: الإسراف في صرفه في الشرّ والفساد:** ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ [الليل]، ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝﴾ [الشعراء].

**١٧ ـ إنفاق المال رياءً وسمعة:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝﴾ [النساء].

**١٨ ـ تبذير الأموال الطّائلة في تحقيق أغراض باطلة وظالمة وتافهة:** ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝﴾ [الشعراء].

**١٩ ـ المباهاة بالمال والغِنى على الناس، والفخر والخيلاء:** ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ... ۝ ...فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ... ۝﴾ [القصص].

**السادسة: وكذلك ذكر سبحانه وتعالى الخصال الحميدة للأغنياء الصالحين الشاكرين لله تعالى والمنفقين أموالهم، كما أمرهم الله تعالى في وجوه الخير:**

وهذه أهم تلك الخصال المحمودة، التي أَثنى بها ربُّنا تبارك وتعالى على الأغنياء الصالحين الشاكرين، الذين كسبوا المال بالطرق الشرعية النظيفة، ثم أنفقوها في تحقيق المقاصد الشرعية النبيلة فحسب، ونلخِّصها في البنود الأربعة الرئيسية الآتية:

**١) الدّافع الذي يدفعهم للإنفاق، هو ابتغاء وجه الله تعالى ومرضاته فحسب:**

وهذا ما أكدته وبيَّنته أكثر من آية مباركة، منها:

أ. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة].

ب. ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ . . .﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة].

ج. ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

د. ﴿. . . وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ . . .﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة].

هـ. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل].

ومن الواضح الجلي، أن الدافع للإنفاق والهدف من ورائه، هو الّذي يحدِّد وجهته، وذلك لأن من أنفق لإرضاء الله تبارك وتعالى ونيل ثوابه، تحرَّى بماله: الوجوهَ الشرعية التي أمر بها الله، والمقاصِدَ التي حدّدها شرع الله، والأشخاصَ الذين عَيَّنهم الله تعالى... إلخ.

**٢) نوعية الناس الذين ينفقون عليهم، هي أكثر شرائح المجتمع حاجة:**

وتبيِّن هذه المسألة أيضاً آيات كثيرة منها:

أ. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان].

ب. ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ . . .﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة].

ج. ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج].

أَجَلْ، أصناف الناس الذين يتحرّاهم الأغنياء الصالحون للإنفاق عليهم، هم أشدّ الناس حاجة وأكثرهم ضرورة، وهم:

المسكين، اليتيم، الأسير، المجاهد الفقير المتعفِّف المحصور في

سبيل الله السائل، المحروم، والفرق بين (السائل) و(المحروم) هو أن السائل لا يستحي من سؤال الناس لدفع حاجته، ولكن (المحروم) حيي كريم مُتَعفف، ولا شك أن الإنفاق على أمثال هؤلاء يحتاج إلى حكمة وتَحَرٍّ، وقد يكون الإنفاق على هذا النوع من الناس أعظم أجراً في الأخرى، وأكثر بركة وأثراً في الدنيا.

**٣) وكيفية إنفاقهم تتلخَّصُ في: عدم المنّ والأذى على المُنْفَقِ عليه، وعدم توقُّع شيء منه:**

كما قال تعالى:

أ. ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى . . . ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة].

ب. ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

ج. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الليل].

ولا شك أن هذا الخلق الكريم ثمرة الدافع الطاهر للإنفاق، والذي هو ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه، ولا شك أن من تعامل مع الله تعالى وانتظر أخذ الأجر منه، لا يتوقع من أحد غيره شيئاً!

**٤) وأما الوقت الذي يختارونه لإنفاقهم، والحالة التي يندفعون فيها للإنفاق فهي: الليل والنهار، والسِرّ والعلانية، والسرّاء والضرّاء:**

ومعنى هذا أنهم لم يَخُصُّوا إِنفاقهم بوقت دون وقت، ولا بحالة دون غيرها، بل يتصرّفون في هذا المجال بحنكة وحكمة، وبالطريقة التي تُحقِّق المصلحة بصورة أفضل، وجديرٌ بالذكر ان استعمال الحكمة والدقة في هذا المجال، هو الذي يجعل الإنفاق يؤتي ثِمارَه، ويحقِّق أهدافه الشرعيَّة، ولهذا ذكر سبحانه الحكمة في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ . . . ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة]، في سياق آيات كلها تتحدث عن الإنفاق.

وأما الآيات التي ذكرت الأوقات والحالات التي ينفق فيها الأغنياء الصالحون أموالهم، فهي:

أ. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً . . . ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة].

ب. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ . . . ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

وعليه:

فالغني الصالح الشكور، هو الذي يتصرَّف في ماله، وينفقه في سبيل الله حسبما تُحدِّده آيات كتاب الله في البنود الأربعة التي مرَّ ذكرها، وأما الغني الطاغي الكفور، فهو الذي عَرَفْناهُ من خلال أوصافه الذميمة التسعة عشر في الفقرة الخامسة.

**السابعة: الملأ المستكبرون المُتْرَفون المسرِفون، هم الوجه البارز في جبهة الكفر على مدار التاريخ، في حين المستضعفون البسطاء المتواضعون، هم معظم أتباع الأنبياء والمرسلين:**

وهذه الحقيقة متجلية في كثير من آيات الله المباركات، وهذه أمثلة منها:

أ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ].

ب - ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

ج - ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون].

د - ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ [الأعراف].

هـ - ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء].

و - ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾ [هود].

ز - ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء].

ح - ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس].

ط - ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف].

ي - ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء].

ك - ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء].

ل - ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

م - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص].

وتُتحِفُنا هذه الآيات المباركات بحقائق كثيرة، فيما نحن بصدد البحث فيه، هذه الست بعضها:

**١) لم يرسل الله تعالى رسولا ولا نبياً إلى شعب وفي بلدٍ، إلّا كان المترفون هم أول من تقدَّموا جبهة المعارضة له والكفر به، وكان تبريرهم لموقفهم العدائي للرسل، هو أنّهم يحافظون على ما ورثوه من أسلافِهم من معتقدات وتقاليد! :**

وهذا ما صرَحت به الآيتان (٣٤) من (سبأ) و(٢٣) من (الزخرف).

**٢) وكذلك الرؤساء المتسلِّطون (الملأ المستكبرون) كانوا دَوْماً مترأسي جبهة الكفر المعارضة للأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام:**

كما صرَّحت به الآيات (٣١ إلى ٣٤) من (المؤمنون)، والآيات (٢٥، ٢٦، ٢٧) من (هود)، والآيتان (٧٥ و٧٦) من (الأعراف).

**٣) وكانت الطبقة المُتْرَفَةُ المُسرِفة، هي نفس الملأ المستكبرين في الأعم الأغلب، ولكن لم تكن تلك الطبقة منحصرة فيهم، وكانت الفئتان متعاونتين تقتسمان الغنائم بينهم:**

أما الدليل على أن الرؤساء المتسلِّطين (الملأ المستكبرين) كانوا في نفس الوقت مترفين ومسرفين، فهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ

﴿ ... ﴾ [هود]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشعراء]، والواقع التاريخي والحاضر مصداق لقول الله تعالى، إذْ ما من حاكم متسلِّط متجبِّر على رقاب شعبه، إلّا وهَمُّهُ الأكبر بعد التجبُّر والتسلّط واستعباد الشعب، هو الإستئثار بخيرات البلد، والترف والإسراف والبذخ في الأكل والشرب واللباس والمركوب والقصور والكنوز والزروع، ومن تأمل حال الحكّام المتسلطين ـ قديماً وحالياً ـ على رقاب الشعوب المسلمة وغيرها، لا تُخطِيءُ عينه ما ذكرناه من مظاهر الإسراف والترف!

وأما الدليل على أن الطبقة المسرفة المترفة ليست منحصرة في الطبقة الحاكمة المتحكمة، فهو ـ بالإضافة إلى الواقع التاريخي والحاضر ـ قصة (قارون) الذي كان من قوم موسى أي من بني إسرائيل ـ المستضعفين، ولكن انقلب عليهم وتحالف مع فرعون وهامان ضدّ قومه المستضعفين حفاظاً، على مصالحه المادية وغناه الفاحش، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

## ٤) ولكن المُضْطهدين (المستضعفين) البسطاء، كانوا دوْماً يشكِّلون جبهة الإيمان بقيادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وتدلّ على هذا: الآية (٢٧) من (هود)، حيث يُسمِّي الملأُ المستكبرون من قوم نوح، أتباعَ نوح عليه السلام بـ﴿أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾! والآية (٥٤) من (الشعراء)، إذ يعرِّف فرعون أَتباع موسى عليه السلام بـ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤﴾، والآية (٨٣) من (يونس)، حيث تبيِّن أن أتباع موسى المؤمنين من قومه، لم تكن سوى ﴿ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ أي الجيل الناشيء الشاب، وكذلك تدل عليه الآية (٧٥) من (الأعراف)، حيث سمِّي أتباع صالح عليه السلام بـ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾.

وسبب كفر الملأ المستكبرين والمسرفين المترفين، بالأنبياء عليهم السلام ودعوتهم التوحيدية التحريرية، هو أنهم رأوا في دعوتهم خطراً على مصالحهم، والأوضاع الظالمة التي فرضوها على المجتمع، فرفضوا الإنصياع

لدينٍ يسلبهم تلك الإمتيازات، بالرغم من معرفتهم واقتناعهم القلبي بحقانية الأنبياء وصدقهم، كما قال تعالى عن آل فرعون بعد مجيء موسى عليه السلام إليهم بالبيّنات: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل]، إذن: الظلم الذي اتخذوه ديدناً، والعلوُّ (الإستكبار) الذي كانوا يمارسونه على المجتمع، حالا دون اتِّباعهم للأنبياء، بالرغم من اقتناعهم بل يقينهم بصدقهم وحقانية دينهم!

ولكن الطواغيت المخادعين لمجتمعاتهم، ما كانوا ليبُوحوا لأقوامهم بهذه الحقيقة التي بيَّنها العليم الخبير بذات الصدور جلَّ جلاله، بل كانوا يُوهِمون النّاس بأن المانع الوحيد أمامهم، هو خوفهم على مستقبل الشعب ومصالحه! كما قال تعالى حاكياً عن فرعون، مخاطباً قومه الذين استخفَّهم فأطاعوه: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ [الزخرف]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر]، نعم، حَسْبَ المنطق الفرعوني إنَّ إخلاص فرعون لشعبه، وحرصه على دينهم ودنياهم، هو الذي يُلِحُّ عليه ويدفعه إلى الكفر بموسى ودعوته، بل وإلى الوعيد والتهديد بقتله، رعاية لمصالح الشعب !

ولكن من الواضح أن تبرير فرعون هذا، وكذلك كل الفراعنة والطواغيت المتحكِّمين على رقاب الشعوب المستضعفة، ليس سوى ذرِّ الرَّماد في عيون الناس الذين نتيجة الإستخفاف، أصبحوا يُصدقون بمثل هذه التُّرَّهات، التي لا تخفى على ذوي الحِجى والأحرار!

وأما المضطهدون المستضعفون ـ والإستضعاف يشمل كل النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية ـ فهم بالإضافة إلى داع العقل والفطرة للإيمان بالرسل الكرام، لم يكن أمامهم تلك الموانع التي حالت دون إيمان المستكبرين والمترفين، بل ورأوا في دعوة الأنبياء التوحيدية والتحريرية، علاوة على ثواب الله ورضوانه في الآخرة، دفاعاً عن مظلوميتهم وانصافاً لهم من الطواغيت وحماية لحقوقهم، وقبلها لكرامتهم المهدورة في حياتهم الدنيوية هذه أيضاً، فاندفعوا إلى الدين الحق الذي تدفعهم إليه عقولُهم

وفِطَرُهُم، ويجدون فيه فَلاحَهم الأخروي وعِزَّهم الدنيوي!

ويُعَدُّ قولُ (ربعي بن عامر) الصحابي ﷺ، الذي قاله في جواب سؤال (رستم) قائد جيش الفرس: (ما الذي جاء بكم إلى بلادنا؟!) أروع وأصدق تعبير عن هذه الحقيقة حيث قال:

**(نحن قوم ابتعثنا الله لنخرِج من شاءَ من عباده، من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيقِ الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام)** كما جاء في كل من: (البداية والنهاية)[1] لابن كثير، و(تأريخ الأمم والملوك)[2] للطبري، و(الكامل في التاريخ)[3] لابن الأثير.

## ٥) وكان الترف والإسراف للطبقة المتحكمة السياسية، والطبقة الغَنِيَّة المتحالفة معها، أهم وأكبر أسباب إنزال الله تعالى عقوبته على تلك المجتمعات التي تُبْتلى بِتسلطِ هاتين الفئتين الفاسدتين عليها:

وهذه الحقيقة أيضاً بيَّنتها أكثر من آية، منها:

**أ - الآية (١٦) من (الإسراء).**

**ب - الآيتان (٥٨، ٥٩) من (القصص).**

**ج - الآيتان (١١٦، ١١٧) من (هود).**

حيث يبيِّن الله تعالى في كل من هذه الآيات، أن سبب تدميره وإهلاكه للمجتمعات الضالَّة عن صراطه المستقيم، هو فسقهم وإترافُهم وظُلْمُهم وبَطَرُ م، وإجرامُهم، ولنتأمل نَفْس التعبيرات القرآنية الواردة بهذا الصدد:

- ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا

---

(١) ج٧ ص٤٩، ٥٠.
(٢) ج٢ ص١٠٦، ١٠٧.
(٣) ج٢ ص٤٦٣، ٤٦٤.

﴿تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]، أي: أمرناهم بالطاعة، ففسقوا وعصوا بدل الطاعة، فاستحقوا إنزال العقوبة عليهم، فدمَّرناهم.

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص].
- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

وتحليل هذه الحقيقة القرآنية التي هي في الواقع سنة ربّانية، ويَتجلّى مِصداقُها في تاريخ البشر بجلاء، يستحقُّ الكثيرَ من التأمل والبحث، ولكن نكتفي منه بهذه الأسطر، تمشياً مع القاعدة التي اتَّبعناها في كتابنا هذا، من تحرّي الإختصار والإيجاز ما أمكن، فنقول:

إن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس ليبتليهم بطاعته وعبادته، وأعطاهم من الأسباب والوسائل ما يؤدّون به وظيفتهم تلك على هذه الأرض، من الإرادة والإختيار ـ بالإضافة إلى العقل والسمع والبصر ـ وإسباغ نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، وتسخيره لهم ما في السماء والأرض، وإنزال الكتب عليهم، وإرسال الرسل إليهم... إلخ، وانَّما يتمكّنون من إمرار حياتهم الدنيوية، وبالتالي أداء الإمتحان المفروض عليهم، أياً كانت النتيجة، إذا ما استقرّت أوضاعهم المعيشيَّة، وتمتّعوا بالأمن، ومن الواضح أنهم لا ينعمون بالأمن ولا تستقر لهم الأحوال إلّا بإقامة القسط، القسط بمعناه الشامل للجانب الإقتصادي والسياسي والإجتماعي، وذلك لأنه من دون تحقيق العدل والقسط الشامل، لا يستقر لهم الوضع، ولا يستتبُّ لهم الأمن، إذ الظلم والجور يستتبع الصراع والنزاع لا محالة، ولهذا حصر سبحانه وتعالى حكمة إرساله الرسل عليهم الصلاة والسلام، في إقامة القسط، كما قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد]، وكذلك هذا هو

السبب في أن (ذا القرنين) الملك الصالح الذي بلغ ملكه مغرب الشمس ومشرقها، والّذي كان يأتمر بأمر الله تعالى، كما هو واضح في الآيات التي تتحدث عن قصته، كانت سياسته مَبْنِيَّةً على معاقبة الظالم المسيء - وليس الكافر! - وإثابة أهل الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف].

والسِرُّ في اتخاذ هذه السياسة، هو أن الله تعالى إنما خلق الجن والإنس - كما قلنا سابقاً - ليبتليهم بالعبادة له أو عدمها، أي: بالإيمان والكفر، ولهذا فلا بدَّ أن يُعطى لهم فرصة اختيار أحدهما، من غير ضغطٍ أو إكراه، وإلّا فكيف يؤدّى الإمتحان مع الإكراه والإجبار، ومن دون حرية لاتّخاذ القرار؟! كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس]، وقد جعل الله تعالى طبيعة الحياة الدنيا هذه، بحيث يمكن أن تستمر مع الكفر والضلال، وذلك كي يتسنّى للكافرين أن يعيشوا ويُمْضوا فترة ابتلائهم، ويبلغوا نهاية المدّة المحدّدة لهم، كي لا يكون لهم عذر يوم القيامة، كما قال تعالى في جواب الكفار الجهنّميين، الذين يصطرخون في النار ويستغيثون: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر]، أجل، من مقتضى حكمة الله الحكيم، أن يُفسح المجال للكفار بالعيش، كما يهوون ويختارون لأنفسهم، من دون أن يعاقبهم عقوبة قدرية أو شرعية - على نفس كفرهم - كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر].

هذا بالنسبة للكفر، وأَمّا بالنسبة للظلم - الذي هو خِلافُ القسط والعدل، ومعناه شاملٌ لكل أنواع الظلم، من سياسي وفكري واجتماعي

واقتصادي... إلخ ـ، فشأنه يختلف، حيث يعرِّض الظلمُ حياةَ المجتمعات البشرية لويلات ومصائب لا يمكن أنْ تستمرَّ معها ـ وهذا مشاهد وملموس في تأريخ البشر الغابر وفي واقعِهِ المعاصر ـ، ولهذا جعل الله الحكيم إهلاك الظالمين ودفعهم وتطهير الأرض منهم، سنة قدرية وحكماً شرعياً، أي ان الله تعالى قضت مشيئتُهُ الحكيمة، أن يعاقب عقوبة قدرية الظالمين المفسدين في الأرض، كي لا تتعطَّل معايش الناس، ولا تَأسَنَ الحياةُ ولا تتوقف عَجَلتُها، كما قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم]، وإنما تتحدث هاتان الآيتان عن سنة الله القدرية الكونية في اقتضاء مشيئة الله الحكيمة إهلاكَ الظلمة المتجبِّرين والطواغيت المتسلِّطين.

وكما أن الله تعالى جعل إهلاك الظلَمة إحدى سننه الكونية القدرية ـ ومعلوم أنه ليس من شرط السنة القدرية الكونية أن تجري دَوْماً بمنأى عن إرادة البشر، بل قد تتحقق من خلال إرادتهم ـ، كذلك جعل الله تعالى الأمر بالوقوف في وجه الظالمين الباغين، ومجاهدتهم وقتالهم ودفعهم، أحد أحكامه التشريعية الأمرية أيضاً، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج].

وأما إبراز جانب الترف والإسراف والبطر في المعيشة، في حياة المجتمعات التي استحقت عقوبة الله بالهلاك والتدمير، فسببه ـ والله هو العليم الحكيم ـ هو أن الإتراف والإسراف والتنعُّم والتَّبذُّخ، إنما هو ثمرة وحصيلة الظلم السياسي والإقتصادي والإجتماعي، ولهذا ركز كتاب الله الحكيم، على إبراز تلك الثمرة الخبيثة، لشجرة الظلم والتسلّط والجبّر، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ

﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

ومن نافلة القول أن قولنا: إنَّ الحياة تستمر مع الكفر، ولكن لا تستمر مع الظلم ـ وهذا واقع مشاهد، وليس ادعاءً مُحوِجاً للبرهنة عليه ـ، لا يعني أن حياة الكفر هي حياة هنية طيِّبة ورغيدة سعيدة، كلاّ بل حياة الكفر مُنَغَّصَةٌ شقية، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]، والضّنك يفيد الضيق والتعاسة والشقاء[1]، ولكن على أي حال فأهل الكفر تستمرّ حياتهم التعيسة الضَّنكُ، كي يؤدّوا امتحانهم المقرَّر على هذه الأرض، وفي هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

وأختم هذا الموضوع المهم، بهذا القول الحكيم لعلمائنا رحمهم الله تعالى، والذي كما يبدو انهم استنبطوه من مجموع ما مرَّ ذكره من الآيات المباركات، وهو: (**قد يدوم الملك مع الكفر، ولكن لا يدوم مع الظلم**).

**٦) وانتقاد الأنبياء الكرام، الطواغِيتَ والحكاَ الظلمة، بسبب تشييدهم للقصور والأبنية، التي لم يقصدوا بها سوى التفاخر والتعاظم، فيه حكمة عظيمة، لا يَتَفطَّن لها إلّا المطَّلع على معاناة أولئك البؤساء المضطهدين، الّذين لم تُبْنَ تلك القصور والأبنية، إلّا بعرقهم ودمائِهم، بل وعلى أكتافهم وبجماجمهم، وعلى حساب قوتهم وقوت أطفالهم:**

---

(١) مختار الصحاح، ص٣٤١، لفظ: ض ن ك.

نعم والله ان كتاب الله الحكيم مملوء بالإسرار والحِكم، وكلّما ازداد الإنسان فيه تدبُّراً، اطّلع على أسرار وأسرار، وخصوصاً إذا كان مزوّداً بالإطلاع والمعرفة في الموضوع الذي تتحدّث عنه الآيات التي يريد التدبّر فيها.

ومن تلك المواضيع التي ذكرها كتاب الله، والتي قد يوحي التفكير السطحي فيها لصاحبه، بأن كتاب الله ضدّ التمدّن والعمران، هو موضوع بناء الملوك الجبابرة، والطواغيت الظلمة، للقصور والأبنية والمعابد الضخمة، التي لم يريدوا بها إلّا المباهاة والمفاخرة وتخليد ذكراهم ـ بزعمهم ـ، وقد سمّى كتاب الله الحكيم، كلّ تلك الأغراض السّخيفة التافهة، بالعبث الذي يعطي معنى اللّغو واللّهو والباطل، الذي لا يتحقق وراءه خير، ولن يؤدي إلى مصلحة، ولنتأمل هذه الآيات المباركات:

أ ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء].

ب ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء].

كما نرى ان نبي الله هود عليه السلام، ينتقد على قومِهِ (عاد)، وجبابرتهم وَمَلَئِهِم المستكبرين، بناءهم البنايات الضّخمة في المرتفعات، ليس لغرض سوى العبث، وكذلك بناء وصنع أشياء، ليس لهدف الا لتخليد ذكراهم! ثم يربط بين تينك العادتين لهم، وبين عادة ثالثة لهم، كثالثة الأثافي للظلم والفساد، وهي بطشهم بالمارة أو بالناس عموماً، بطشاً لا رحمة فيه ولا مُروءَة!

وكذلك صالح عليه السلام، يُعَرِّض بالحياة المسرفة المترفة الباذخة لقومه (ثمود)، والتي كانت تتمثل في: جنات وعيون، وبساتين ونخيل ثمرها

ـاضج، ونَحْتِ البيوت من الجبال بمهارة.. ثم يُنَبِّهُهم **أَلّا يُطيعوا المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون!**

وكما أشرنا إليه في عنوان البحث، فإن انتقاد الأنبياء الكرام على أقوامهم، أو الأصح الملأ المستكبرين المترفين من أقوامهم، بناءَ القصور والأبنية الضخمة، حكمته أمران:

أولاً ـ لم يكن الغرض من تلك القصور ـ تحقيق مصلحة عامة تعود على المجتمع بالخير والفائدة، مع أنها تُبْنى بأموالهم، بل بِأَشلائهم وعلى جماجمهم! بل كان الهدف منها (العبث) لا غير!

ثانياً ـ ثم إنها إسراف وتبذير من الملوك والملأ الجبابرة المترفين، ولا يكون الإسراف إلّا على حساب الجماهير الكادحة وقوتهم وقوت أطفالهم، وعلى حساب كرامتهم وإنسانيتهم! نعم كما يقول المثل: مهما وجدت جبلاً مرتفعاً، فاعلم أن بجنبه وادياً سحيقاً.

لِذا فعندما نرى آثار الجبابرة والطواغيت، كأهرامات مصر مثلاً، فمن السخف والسطحية، ومن بخس الفقراء المضطهدين حَقَّهم، وعدم إنصافهم من ظالميهم حتى بعد موتهم، أن نَنْشَغِلَ بالتأمل في جانبها العمراني والفَنّي، ومن ثم نُعْجَب بالفراعنة والأكاسرة والأقاصرة والطواغيت وذوقهم الفَنّي، وبذخهم وإسرافهم، ولا نتذكر أولئك البؤساء المضطهدين الذين سخِّروا لبناء تلك الآثار، وننسى أن تلك الآثار، لم تُبْنَ إلّا على أكوام من أشلاء أولئك وجماجمهم!

وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر ﷺ أنه قال: **[لَما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك، نزل بهم الحِجْرَ عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت ثمودُ تشرب منها، فعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسولُ الله فأهرقوا القدور وعلَّفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا، فقال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم]**.

وكذلك روى أحمد والبخاري ومسلم عنه أيضاً، أن رسول الله ﷺ

قال وهو بالحجر: «**لاَ تَدْخُلوا عَلَى هؤُلاَءِ الْمَعَذَّبِينَ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٤٣٣)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٩٨٠) عَبْدِالله بْن عمَرَ رضي الله عنهما.

**الثامنة: ولم يَذُمّ كتاب الله الحكيم الفقر والفقراء قط، ولم يمدحهما أيضاً، إلّا في حالة واحدة، وهي تعرّض المسلم للفقر، بسبب الهجرة والجهاد في سبيل الله:**

والحكمة في ذلك ـ والله هو العليم الحكيم ـ تتمثل في أربعة أُمور:

**أولاً** ـ أما عدم ذم كتاب الله للفقر والفقراء، فلأن الفقر يحدث نتيجة ظلم الحكام المتسلِّطين المترفين، ومن يسير في ركابهم من الأغنياء المسرفين المجرمين، إذاً: لَيْسَ معقولاً أن يُلاَم الإنسانُ ويُذَمَّ على بلاء أصابه به غيره وجرّه إليه!

**ثانياً** ـ وأما عدم مدحه لهما، فلأن الفقر ليس فضيلة في ذاته، كي يمدح التَحلّي به، بل هو مصيبةٌ تصيب الإنسانَ، وبلاءٌ يُبْتَلى به، وأيضاً لأن مدح الفقراء بإطلاق، يوحي للناس بأن دين الله القيم يحبِّذ الفقر والمسكنة، والخنوع للظالمين والخضوع للأوضاع الجائرة التي يفرضونها على المجتمع، ويشجِّع على الكسل وعدم التكسّب! ودينُ الله بريءٌ من كل هذا.

**ثالثاً** ـ وأما مدح كتاب الله الصابرين على الفقر، فهو من منطلق الصّبر على البلاء والمصيبة، كما هو واضح في السياقات التي وردت فيها تلك الآيات التي تمدح الصابرين على الفقر، مثل قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

**رابعاً** ـ وأما سبب مدح كتاب الله للفقراء الّذين افتقروا نتيجة الهجرة

في سبيل الله والجهاد في سبيل الله، كما جاء في الآية (٢٧٣) من (البقرة): ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة]، والآية (٨) من (الحشر): ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر].

نعم إن سبب مدح الله الحكيم للمهاجرين والمجاهدين الفقراء، هو تشجيع الناس على الهجرة والجهاد في سبيل الله، والَّلذَيْنِ لا بدَّ من أن يُتَحمَّلَ فيهما الفقرُ والحاجةُ، وكذلك لأن مدح المهاجرين والمجاهدين الفقراء، لا يُوهِمُ أحداً بأن الله تعالى يحبِّذ الفقر والعدم، إذ المدح هنا مُنْصَبٌّ على الهجرة والجهاد، الَّلذَيْن حصل بسببهما الفقر والحاجة، وليس على نفس الفقر!

ونكتفي بهذا القدر من البحث في موضوع الغِنى والفقر، لأن في الكتاب الحادي عشر، وعند بحثنا حول الإقتصاد في الدولة الإسلامية، لنا عودة إلى بعض المسائل المرتبطة بهذا الموضوع بإذن الله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## المطلب الخامس:
## التقدم والتأخُّر

وكذلك للمجتمع الإسلامي نظرته الخاصّة للتقدّم والتأخّر ومفهومهما، والتي تختلف عمّا لدى الآخرين، منْ نظرات وتقييمات، وبعد تدبّر هذه الآيات، نتبيّن موقف المجتمع الإسلامي وتقييمه للتقدم والتأخر:

أ - ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١)﴾ [المدثر].

ب - ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون].

ج - ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢)﴾ [الواقعة].

د ـ ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

هـ ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد].

و ـ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات].

ز ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وتتحفنا هذه الآيات المباركات حقائق عظيمة عن التقدم والتأخر، ولكن قبل إدراجها، أراه ضرورياً أن نعرِّف بالتقدم والتأخر، في المنظار الإسلامي، فأقول باختصار:

بما أن الله تعالى لم يخلق الجن والإنس إلّا لعبادته سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، لِذا فالسّبق والتقدّم الحقيقي للإنسان ـ وكذلك الجن ـ هو أن يسارع ويسابق في ميدان الطاعة لله تعالى، وأن يكون متقدماً في العبادة له، مُتَّبِعاً لكتابه، ومُتأسِّياً برسوله ﷺ، كما أن التأخر والتخلّف الحق، هو خلاف ذلك، أي التخلّف عن عبادة الله.

وسِرّ ذلك هو أن الله تعالى جَرتْ سنّته الحكيمة، أن يحقّق كلُّ مخلوقٍ كمالَه، من خلال أداءِ وظيفته التي خُلِقَ من أجلها، وهذا واضح وجلي لمن يتأمل المخلوقات كلها: جمادات ونباتات وحيوانات، إذْ كل مخلوق إنما يكتمل وجوده وخلقه، ويبلغ نهاية نضجه ـ ثم يذهب ويُخْلي المكان لغيره ـ عندما يؤدي وظيفته التي خلقه الله من أجلها، فَحَبَّةُ القَمْحِ مثلاً، بما أن الله تعالى خلقها ليكون غِذاءً، نرى أنّها عندما تُزْرَعُ وتنمو وتُفْرِخُ سنابل، ثم تَنْضُجُ السنابلُ، ويأتي أوان حصادها، عند هذه المرحلة ينتهي وجود تلك الحبَّة، بعدما أدَّت وظيفتها، وهكذا الحيوانات بمختلف

أصنافها، وقبلها الجمادات بشمسها وقمرها ونجومها وجوّها ورياحها وبحارها وأنهارها وجبالها وترابها ومعادنها... إلخ، إذ كلها مُسَخَّرَةٌ للإنسان، مُهَيِّئَةٌ ـ بإذن الله ـ شروطَ حياته، ومُسْتَلزماتِها، ووجود جميعها مرهون بحياة الإنسان ـ وكذلك الجن ـ وبقاؤه مدة ابتلائه في هذه الحياة، لِذا فحين ينتهي أمد ابتلاء الإنسان ـ كجنس الإنسان ـ ينهي الله تعالى الوجود الحالي لتلك المخلوقات، محوّلاً إياها إلى حالة أخرى تناسب المرحلة التالية لوجود الإنسان، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم]، إذْ طالما أن الله الحكيم إنما أبدع هذه المخلوقات جميعها، كي تُهَيِّءَ بمجموعها ظروفَ وشروطَ حياة للإنسان، يُبْتَلى فيها، كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ [الكهف]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ... ﴿٧﴾﴾ [هود]، فبعد انقضاء المدة المحدَّدة لذلك الإبتلاء، ومجيءِ الأجل المضروب، لا بدَّ من أن ينتهي وجودها الحالي، لتبدأ بإذن الله صفحة جديدة، ومرحلة جديدة من وجودها، تَتَناسب مع وجود الإنسان وحياته في المرحلة التالية.

وتلك السنة الربانية الحكيمة شاملة أيضاً للإنس والجن، إذ هم كذلك خلقوا من أجل أداءِ وظيفة معينة، وهي العبودية الإختيارية لله (حمل الأمانة)، ولكن الفارق بينهم وبين سائر المخلوقات، هو أن ما سواهم من المخلوقات تؤدي وظيفتها، وهي مُجْبَرةٌ ومُسَيَّرةٌ بقوانين وسنن، لا تحيد عنها قيد أنملة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه]، والمقصود بالهداية هنا هي الهداية القدرية الخَلقْية، لِذا فهي مُلْزِمةٌ للمخلوقات ولا يمكنهم الخروج عنها، ولكن الجن والإنس يؤدّون وظيفتهم المرسومة لهم باختيارهم وبمشيئتهم، أو لا يؤدّونها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان]، والمقصود بالهداية هنا هو الهداية الشرعية الأمرية، لِذا فهي ليست مُلْزمة لهم، كما قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ...﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وبناءً على ما تقدم ذكره، نقول:

إنَّ تقدّم الإنسان يتمثّل في عبادته لله تعالى، ثم نجاحه في الإبتلاء والإمتحان المقدَّر له، لأن أداءه للعبادة لله تعالى، هو الذي يوفِّر له فُرْصَة تكامله وبلوغه الكمال المرسوم له، واحتفاظه بالرتبة الأسمى التي منحها الله له، وهو خلقه إياه في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين]، وعدم رجوعه القهقرى، وهبوطه إلى أسفل سافلين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين]، وتأخره وتخلّفه يتمثل في ضدّ ذلك، أي في عصيانه لأمر الله وعَدَم أداء وظيفته المطلوبة منه، وبالتالي فشله في الإمتحان وتضييعه فرصته الثَمينة الوحيدة الممنوحة لَهُ، لبلوغ الكمال المرسوم للجن والإنس، واللائق بهم، ولهذا بيّن الحق سبحانه أن الكفار هم أحطُّ شأناً من كافة المخلوقات، وأنزل رتبة من الكل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة]، والبَرِيَّة هي المخلوقات التي بَرَأَها الله وخلقها[1]، و(شَرُّ) صيغة تفضيل من (الشرّ) حذفت الهمزة منها تحفيفاً، وإلّا فهي في الأصل: (أشرُّ) كما أن الخير في الأصل (أخير)[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، وهنا عدّ الله تعالى الكفار أضلَّ وأسوأ من الحيوانات، ثم علّل ذلك بكونهم (غافلين) أي ساهون ولاهون عمّا خلقوا له، ومن لم يؤد وظيفته المرسومة له، فهو شرُّ المخلوقات جميعاً، لأنه ما من مخلوق من مخلوقات الله التي لا يعلمها إلا الله، يعصي الله ويخرج عمّا رُسِمَ له، لِذا فالمخلوق الذي يخالف اتجاه الخلق جميعاً، ويعصي ربّه ويُغْضِبُه، حقيقٌ به أن يعتبر شرَّها وأضلَّها،

---

(١) مختار الصحاح، ص٥٦، لفظ: ب ر ا، (البريّة: الخلق وأصله الهمزة والجمع: البرايا البَريّات، وقد بَراه الله أي: خَلَقَ).

(٢) المنجد، ص٢٠١، لفظ: خارَ، وص٣٧٩، ٣٨٠، لفظ:شرّ.

وذلك لغفلته عن دوره ووظيفته، وأي مخلوق يتخلّى عن وظيفته المرسومة له، يفقد مُبَرِّرَ وجوده وبقائه، ولهذا يقطع الزارع الشجرة غير المثمرة التي زرعها بنية الثمرة، وكذلك يطرد الصيّاد كلب الصيد الذي لا يَصيدُ له، ويرمي الكاتب القَلَمَ الذي لم يَعُدْ صالحاً للكتابة، ويُخْرِج الأَبُ من بيته وَلَده العاق، والزوجة الناشزة تُطَلَّقُ، والزوجُ السَّيءُ يُخْلَع... إلخ.

وجديرٌ بالذكر أن الله الحكيم، قد أعطى الفرصة - زمنياً - وهيأ الأسباب التي، يبلغ بها كلّ مخلوق كمالَهُ المرسوم له - كما مَثَّلنا سابقاً بحبَّة القمح، وهي نموذج لكافة المخلوقات - وكذلك الإنس والجن أعطاهم الله الحكيم جلّ شأنه، فرصَةَ من العمر، وَوَفَّرَ لهم من الأسباب والمستلزمات التي تمكِّنهُمْ - إنْ أرادوا - من تحقيق الحكمة التي خلقوا من أجلها، والوظيفة التي كلِّفوا بها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر]، وعليه: فعمرنا الدنيوي هذا فرصة كافية لأداءِ وظيفتنا المطلوبة مِنّا، وكذلك الأسباب والمستلزمات التي وَفَّرها الله لنا، كافية ووافية، وواضح أن الإختلاف في مقادير الأعمال، والوسائل والمستلزمات المتاحة للجن والإنس، لكل فرد على حِدة، يقتضي - حسب عدل الله وحكمته - أن يُسْأَل كلّ منهم ويُحاسَبَ يوم القيامة، حسب ما وفِّرَتْ له من النِّعم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر]، وإنما أشرت إلى هذه النقطة، جواباً على أسئلة كثيرة تجول في الأذهان، بصدد الإختلاف في مستويات المعيشة، ومقادير الأعمال، والوسائل المتاحة لهم... إلخ.

والآن إذ عرَّفنا كلاً من التقدم والتأخر بمفهوميهما الحقيقيِّين، فلنرجع إلى الآيات المباركات التي أدرجناها، ونستخلص منها سبع حقائق، بصدد التقدم والتأخر:

**الأولى: لا يمكن تحقيق التقدّم، إلّا باتباع هدى الله تبارك وتعالى:**

والدليل على هذه الحقيقة: أن الله تعالى في سورة (المدثر) بعد ما ذكر أنّه جعل أصحاب النّار (أي خزنتها المشرفين عليها) ملائكة، وأن

عدتهم تسعة عشر ملكاً. . . أقسم سبحانه وتعالى بالقمر، وبالليل عند إدْباره، وبالصبح عند إسفاره، أن هذه المسألة ـ أي مسألة جعل خزنة جهنّم تسعة عشر ملكاً  هي إحدى المسائل الكبرى، وأنّها إنذار للبشر ـ كي لا يعصوا الله تعالى فيستحقوا عذابه الذي يشرف عليه أولئك الملائكة التسعة عشر ـ، يقول بعد ذلك: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر]، وعليه فالتقدم إنما يتسنّى للإنس والجن، بعد مجيء هداية الله تعالى فقط، وإنما ذكر سبحانه التأخُر (أي التخلُف) مقترِناً بالتقدّم، لأن التأخر أيضاً ينشأ من الموقف السلبي عن هدى الله، كما أن التقدم ثمرة الموقف الإيجابي منه.

**الثانية: إنَّ كلاً من التقدم والتأخر، إنما يختارهما الإنسان بمشيئته الجزئية الحرّة:**

ويدل على هذه الحقيقة بوضوح قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر]، حيث جعل سبحانه كلاً من التقدم والتأخر، فعلاً منسوباً إلى البشر، ونابعاً من مشيئتهم هم!

**الثالثة: يُحْبَسُ الإنسانُ عن دخول الجنّة يوم القيامة، ويبقى في النّار، من جرّاء تأخره عن الطاعة في الدنيا:**

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المدثر]، إذْ معنى هذه الآية الكريمة: كل نفس ـ من نفوس البشر ـ تكون حبيسة في جهنّم، بسبب ما كسبته من الآثام والمعاصي، باستثناء أصحاب اليمين، إذ هم يكونون في جنات.

وهذه الآية توضيحٌ لنتيجة الآية السابقة: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر]، إذِ المعنى يكون هكذا:

أعطاكم الله هدايته، كي يتقدم من شاء منكم التقدم، ويتأخر من اختار التأخر، ومَنْ اختار التأخر ـ عن الطاعة في الدنيا ـ يكون حَبيسَ أعماله، ورهن أفعاله السيئة في نار جهنّم، ولكن من تقدم ـ في ميدان الطاعة في

الدنيا - فهو يكون متقدِّماً في الآخرة، بإعطائه كتاب أعماله الصالحة، بيمينه ـدخوله الجـّة.

**الرابعة: المجرمون المتأخرون عن الطاعة لله تعالى، يُقرّون في الآخرة أن سبب دخولهم النار، هو تأخرهم عن طاعة الله وعبادته:**

وهذا هو ما صرَّحت به هذه الآيات:
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر]، كما نرى يعلِّل المجرمون دخولهم سقر، بهذه الأشياء الأربعة:

١) **عدم إقامة الصلاة مع المصلين، والصلاة أعظم حقوق الله على الإنسان المسلم.**

٢) **عدم إطعام المسكين، والإنفاق والإطعام أوكد حقوق الناس على الإنسان المسلم.**

٣) **الخوض مع الخائضين، والمقصود به - والله تعالى هو العليم الحكيم - هو الكلام المُغْرِض السَّيئ على الإسلام والمسلمين، وهذا يشمل كل أنواع الحرب الدعائية والإعلامية ضد الإسلام والمسلمين.**

٤) **التكذيب بيوم القيامة.**

فهم تركوا أعظم الطاعات، وارتكبوا أكبر الموبقات، لِذا استحقوا ما استحقوه!

**الخامسة: ليس المتقدِّم الذي يحوز متاع الحياة الدنيا ونعمها، بل هو الذي تقدم في طاعة الله والعبودية له:**

وهذه الحقيقة تدل عليها الآيات (٥٢ إلى ٦١) من (المؤمنون)، حيث يُخَطِّيءُ الله الحكيم الذين يتصورون أنَّ استحواذهم على مَباهج الحياة الدنيا، يعني مسارعة الله تعالى لهم في الخيرات، ويصفهم من جرّاء تفكيرهم هذا،

بعدم الشعور، ثم يبيِّن جلّ وعلا، أن المسارعين في الخيرات والمتقدمين السابقين عند الله تعالى وفي ميزانه العدل، هم الذين حققوا في أنفسهم هذه الأعمال واتصفوا بهذه الخصال:

**١) الإشفاق ـ على أنفسهم ـ من خشية الربّ جلّ جلاله.**

**٢) الإيمان بآيات الله تعالى.**

**٣) عدم الإشراك بالله تعالى.**

**٤) فعل ما يمكن من الخيرات، ولكن على الرّغم من ذلك، وَجَلُ القلب من خوف الرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة.**

ثم يقول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

وكذلك يدلّ على هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الواقعة]، إذ يصف الله تعالى السابقين إلى عبادته وطاعته، بأنهم هم المقرّبون إلى الله تعالى، وأنهم يكونون في جنات النعيم.

**السادسة: بما أن المتقدِّم هو السابق إلى عبادة الله والمسارع إلى ما فيه مرضاته، أمر الله الكريم عباده، بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرته والفرار إليه:**

كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[الحديد: ٢١]، وقال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠].

**السابعة: أَفْضَلُ نموذج للتقدم والسَّبْقِ في طاعة الله ـ بعد الأنبياء ـ هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والتابعون لهم بإحسان في كل زمان ومكان:**

والدّليل على هذا هو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ

﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

وفي الواقع ان السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان عبر الزمان المتطاول والمكان المتسع، إذا قيسوا بغيرهم، في أي جانب من الجوانب اللازمة لإنسانية الإنسان، كالإيمان، والمعرفة، والخُلُق، والعدل، والتزكية، والتجرّد لله، والنصح للناس، والبرّ والإحسان... إلخ، نراهم يتبوّؤن القمة في كل مجال، وهذا هو التقدم الحق بلا شك، وإنما سماهم الله تعالى (السابقين الأولين) لأنهم الأولون في مسابَقَتِهم ومسارعتهم في ميدان الخيرات، إذْ سبقوا الناس جميعاً وتقدَّموا عليهم، ولهذا استحقوا هذا الثّناء العظيم من الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾.

وبقي هنا أن نجيب على تساؤل، لا بدَّ أن يثور في ذهن كثيرين، وهو:

هل ما مرَّ ذكره يعني: أن التقدُّم في المنظور الإسلامي: ازدهارٌ وتطورٌ روحي بُحْتٌ ولا علاقة له بالجانب المادي من الحياة؟ وهل أن الرقي المادي يتعارض مع التقدم بالمفهوم الإسلامي؟!

والجواب:

كلاّ ليس التقدّم في المنظور الإسلامي تطوراً وازدهاراً روحياً فقط، ولا يتعارض الرقيُّ المادي مع التقدّم بالمفهوم الإسلامي، وذلك لأن التقدّم بالمفهوم الإسلامي، إنما يحصل بسبب تحقيق الإنس والجن، فرداً ومجتمعاً، الحكمة التي خلقهم الله من أجلها، وأداء الوظيفة التي كلّفهم بها، وهي العبادة لله الأحد، بالمفهوم الشامل الواسع للعبادة، وواضح أن العبادة لله تعالى، إنما تتم عَبْرَ الإلتزام بشريعة الله وشريعة الله شاملة لكل جوانب الحياة: السياسة، القضاء، الإقتصاد، الإجتماع، الخلق... إلخ، وعندما يتم الإلتزام الحقيقي بالشريعة على كافة الأصعدة، لا جرم أن حياة المجتمع تزدهر وتتقدم وتتطور، بكل جوانبها المختلفة، إذن:

لا يتعارض الرقي المادي مع التقدّم بالمفهوم الإسلامي أبداً، بل

ويستلزم التقدّمَ والرُّقيِّ الماديِّ (أي الحضارة والتمدن) ويُثْمِرهُ أيضاً، كما حدث هذا واقعياً في الفترات التي كانت المجتمعات الإسلامية، تُطَبِّقُ فيها شريعةُ الله كلياً أو جزئياً.

ولكن يجب أن نتنبه هنا، إلى حقيقة تاريخية مهمة، وهي:

ان الرقي المادي وان كان لا يتعارض مع التقدم بالمفهوم الإسلامي، ولكن أيضاً ليس شرطاً لحصوله، بل قد يحدث التقدم لمجموعة من الناس ـ وللأفراد بالأَخرى ـ بشكل مدهش، من غير وجود رقي مادي، وهذا هو واقع كل المجتمعات البشرية التي اهتدت بهدى الله الذي أرسل به رسله وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام، إذ نرى أن كل أمة اتبعت هدى الله منهاجه الذي أنزله على نبيِّهم الذي بعثه إليهم، تحوّل حالها بين ليلة وضحاها، وانتقلت من حضيض الجهالة والتخلّف إلى قمة المعرفة والتقدّم، وخير مثال وأقربه زمنياً هو المجتمع الإسلامي الأول، الذي أنشأه رسول الله ﷺ وربّاه بوحي الله من خلال أقل من ربع قرن من الزمان ـ أي مجتمع الصحابة رضي الله عنهم ـ، حيث كانوا في جاهلية جهلاء من كل نواحي الحياة، فكرياً وخلقياً وأسرياً واجتماعياً واقتصادياً، ولكن بعد أن ربط رسول الله ـ بإذن الله ـ قلوبهم بنور الإيمان، أصبَحوا بحق قدوة مثلى للبشرية في كل الجوانب، وقد أشار كلام الله إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع، منها:

أ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة].

ب ـ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ... ۝١٠٣﴾ [آل عمران].

وكما أن الرقي المادي ليس شرطاً لحصول التقدّم ـ تقدم الإنسان بمعناه الحقيقي ـ والرفعة والسمّو، كذلك التقدّم ليس شرطاً لازماً لحصول التطور المادي والإزدهار الحضاري، بل قد يحدث التطور والإزدهار

العمراني والحضاري للمجتمعات الضالة الكافرة، كما أنه يحدث للمجتمعات المهتدية المؤمنة سواءً بسواء، وقد لا يحدث لكليهما أيضا!

وتعليل ذلك هو أن للإزدهار المادي والتطور الحضاري، شروطا ومقدمات ضرورية، فإذا ما تحققت تلك الشروط، وتهيأت تلك المقدمات في زمان ومكان محدّدين، نتج عنها وأثمرته على قدرها وبحسبها، ومن الواضح أن الحضارة والعمران مِلْك للبشرية جميعاً، إذ هي ثمرة ونتيجة التجارب والخبرات المتراكمة عبر القرون، في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والعمران وغيرها، ومعلوم أن كل المجتمعات البشرية ساهمت فيها، لِذا فهي مِلك لها جميعاً، وانْ تفاوتَت الحِصَصُ والنِّسَبُ، بين شعب وشعب، وأمة وأخرى، بل وبين مرحلة وأخرى من حياة شعب واحد، وأمة واحدة.

ولكن هناك فارق أساسي بين حضارة، يتمثّلها مجتمع مهتد مؤمن، وحضارة يتمثلها مجتمع ضالّ كافر، وهو:

إن المجتمع المهتدي المؤمن، يوجِّه الحضارة والإمكانيات المادية التي يمتلكها، نحو الخير والصلاح وإقامة القسط واستتباب الأمن، ومنع الظلم، ونشر الفضائل، ودحر الرذائل، في كافة المجالات، وذلك استجابة لداعي هدى الله تعالى وشريعته الحكيمة، كما يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج]، ولكن المجتمع الضال الكافر، أو ـ الأصح الحكام والأغنياء المتسلِّطون عليه ـ بخلافه، يوجه طاقاته وإمكانياته الحضارية المتاحة له، بدافع من الشيطان والهوى، وما يزيِّنانه من الأنانية والغرور، واتباع الشهوات، والركون إلى الدنيا، ونسيان الأخرى، وِجْهَة الشرّ والفساد والظلم والبغي والإسراف والترف والبذخ والتبذير، على حساب المستضعفين

والرازحين تحت نير الظلم والإضطهاد السياسي والإقتصادي والإجتماعي، من الشعوب المُسْتَعْمَرة على مستوى البشرية، ومن الشرائح والطبقات المحرومة المبخوسَة حقوقها، على مستوى مجتمع واحد، كما يقول تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر].

وإنَّ كلاً منْ (سليمان) عليه السلام و(ذي القرنين) رضي الله عنه، مثال للحاكم المسلم الممكن له في الأرض، والذي يُسخر إمكانياته وطاقاته الحضارية، لما فيه مرضاة الله تعالى، من هداية الناس، واستتباب الأمن والسلام، والأخذ على يد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، كما أَن كلاً من (قوم عادٍ) و(فرعون) مثال للمتحكِّم الظالم المفسد، الّذي يُسَخِّر الإمكانيات والطاقات التي تحت تَصَرُّفِهِ، لتحقيقِ أَغراض فاسدة، ومآرب خسيسة، والآن لِنُسَلِّط شيئاً من الضوءِ على كل من: سُليمان عليه السلام، وذي القرنينِ، كمثالين للحاكم الصالح المصلح، وقوم عادٍ، وفرعون كمثالين للمتحكِّم الجبار المُفسِد:



## ١ ـ موقف سليمان عليه السلام من السلطة والثروة

أما موقف سليمان عليه السلام، فَتُصَوِّره لنا تلك الآيات المباركات التي تحكي لنا قصّته، في مروره بوادي النّمل، ثم تَفَقدِه الطيّور وغياب (هُدْهُد) ومُساءَلته إياه، عن سبب غيابه وإخبار هُدْهُد إياه عن مملكة (سبأ) وملكتها العابدة للشمس، ثم إرسال سليمان رسالة لَها، بواسطة ذلك الهدهد نفسه، وطلبه من الملكة المذكورة، المجيء إلى سليمان ـ في فلسطين ـ، وإرسال الملكة ـ بعد مشاورتها للملأ من قومها ـ هدية ثمينة لسليمان عليه السلام، مختبرة إياه، أو ظانة أنه طالب أموال وغنائم، قائِساً إياه على سائر الملوك، وردّ سليمان الهدية وتهديده إياهم بالهجوم عليهم، إِنْ لم يستجيبوا سلمياً لدعوته الإسلامية، وأخيراً مجيء الملكة ودخولها في الإسلام ـ دين جميع الأنبياء ـ بعد مشاهدتها لتلك الخوارق النبوية، والإبداعات الحضارية التي أثارت إِعجابَها ودَهْشَتها، وأقنعتها بأنها لا يمكن أن تَتأَتّى إلّا لنَبيٍّ مؤيَّدٍ من الله تعالى!

والآن لنتأمل بعض الآيات المباركات التي تتحدث عن بعض أحداث القصة التي نريد التعليق عليها باختصار شديد، والتي يتجلّى فيها موقف الحاكم المسلم المتمكِّن، من تسخير إمكانياته وطاقاته الحضارية، في تحقيق المقاصد الشرعية التي تُرضي الله تعالى، وتعود على الناس بالخير والصلاح:

١) ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].

كما نرى: أول موقف لسليمان عليه السلام، هو تحدُّثه بنعمة الله ـ مخاطباً مجْتَمَعَهُ ـ من: تعليم الله إياه كلام الطيّر والتكلم معه، وإيتاءِ الله إياه من كل وسائل ومستلزمات الحكم، واعتباره هذا فضلاً مبيناً من الله تعالى عليه، أي: ان سليمان يُرْجِعُ إمكانياته وقدراته المتاحة له لله تعالى، ويعتبره فضلاً منه، فأين هذا الموقف الرَّصين ولهذا النبي الكريم، من موقف (قارون) الذي اغترَّ بغناه، وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص]،؟! ثم لا شك أن التصوّر أساس التصرّف، فسليمان يسخّر إمكانياته لإرضاءِ الله تعالى، بإيصال الخير والنفع لعباده ـ كما سنرى فيما بعد ـ، ولكن قارون يستعمل أمواله التي يعتبرها حاصلاً له بكدّه وجهده فقط! في إشباع شهواته وإرضاء رغباته، كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦٓۖ﴾ [القصص]، فهو يُباهي ويُفاخر وَيَتبجح بثروته!! ولم لا: أَوَلَيْستْ حصيلة كدّه وجهده هو فحسب، كما كان يَزعم؟!

٢) ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

وجيش سليمان عليه السلام، وان كان جيشاً عَرَمْرماً كثيفاً مكوّناً ـ بخلاف جيوش الدنيا كلّها ـ من الجن والإنس والطّير، ولكن بما أنه تحت قيادة وإشراف، ذلك العبد الصالح المهتدي بِهدى الله والمتمسك بشريعة الله، فَلَن يتأتّى منه ظلم وأذىً لبريء، بل حتى للنّمل، الّلهمَّ إلّا إذا كان بسبب عدم الرؤية لهم، والشعور بهم! لأن قوله تعالى على لسان النملة: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يفيد أنه إذا ما شَعَرَ جيش سليمان بالنّمل، عند السّير في أماكنهم، فإنّه يتحفظ في سيره كي لا يحطموا نملة!!

**وهنا نقولُ:**

أين هذه الجنود المباركة المطيعة لله تعالى، والذين يتحفظون من الدّوس على نملة صغيرة، من الجنود الجلاوزة والجيوش الجاهلية التي

تدوس حتى على كرامات الناس وحرماتهم، بل وتَدْهَسهم دَهْساً[1]؟!

٣) ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

وهنا لا يغضب سليمان من قول النملة المنذرة لقومها فحسب، بَلْ يبتسم معلناً رضاه بما فعلت وقالت، ثم يدعو ربَّه سائلا إياه، أن يوفقه لشكر نعمه عليه هو وعلى والديه، وأن يعينه للقيام بالأعمال المرضية له، وأن يُدخله برحمته في عداد عباده الصالحين!

وهكذا الحاكم الذي يتحرك حسب داعي الإيمان والهدى، واسع الصدر لسماع الحق وقابلا إياه، ثم داعياً مولاه جلّ جلاله، وسائلا إياه التوفيق للشكر وللمزيد من العمل الصالح وحسن العاقبة.

٤) ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل].

والحاكم المؤمن الصالح، شديد الرعاية لمن يلي أمورهم، يتفقّد أحوالهم، ويهتم بهم ويراقبهم، فسليمان لم يغفل حتى عن هدهد واحد من جيشه، والذي كما يبدو، كان يعمل في سلك المخابرات العسكرية، لِذا لم يكن سبب غيابه سوى قيامه بالمهام الموكلة إليه!

وهذا يدل على أن الإنضباط والسمع والطاعة في جيش سليمان، كان في الدرجة العليا، وسليمان مع رحمته وسعة صدره، يَنْزَعِجُ انزعاجاً شديدا، بسبب غياب الهدهد، ويهدّده بالتعذيب الشديد، أو الذبح ـ حسب درجة خيانته وعصيانه ـ ان لم يأته ببرهان واضح لسبب غيابه.

---

(١) المنجد، ص٢٢٧، دَهَسَ يَدْهُس َهْساً: داسَهُ شديداً، يقال: دَهَسَتْهُ السيارة: أي وَطِئَتْهُ وطئا شديداً.

وهذا يفهم منه أن الأمور العسكرية لا تنضبط إلّا بالرقابة الشديدة أولا، ثم بالصراحة في اتخاذ القرارات وإنزال العقوبة بالمخالفين، ولكن بعد التحرّي والإثبات للجرم، وبالعدل!

٥) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل].

وبعد أن يخبره الهدهد بخبر ملكة سبأ، ويعرّفه أحوالها، لا يصدّقه سليمان عليه السلام توّاً، ولكن لا يُكَذِّبه أيضاً، بل يقول له سندرس هذه المسألة، ونتحقق هذا الخبر، هل أنت صادق فيه أم لا!

وهذا التثبّت والتبيُّن، وعدم التصديق بالأخبار والمعلومات الواردة بسُرعة، صفة ضرورية للحاكم المسلم الرزين المتين، كي لا ينجّر بسبب المعلومات والأخبار غير المحقّقة، إلى اتخاذ مواقف غير مدروسة يعقبها الندم.

٦) ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل].

وبعد أن يتحقق سليمان عليه السلام من وضع ملكة سبأ، ويدرس الأمر مع خاصّته، يكتب لها رسالة دعوة إلى الإسلام وذهابها إليه، حيث مَقَرُّ ملكه وحكمه، ويُحمِّل الرسالة الهُدْهُدَ، ويعطيه التوجيهات الآتية، في كيفية إبلاغ الرسالة ثم الإتيان بجوابها:

أ - ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾ أي: ليست لك مهمة في سفرك هذا، غير إبلاغ الرسالة، فلا تنشَغِل بغيره!

ب - ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ أي أوصل الرسالة إلى الملكة، وإنما استعمل ضمير الجمع للإحترام على عادة الملوك والرؤساء بعضهم مع بعض، إذن: لا يجوز أن تؤدّى الرسالة وتُوصَلَ لغير يد الملكة.

ج - ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: ابتعد عنهم وعن مجلسهم المجتمع، من غير

أن يُبعدوك، ومن راعى الآداب بنفسه، لم يحتج إلى تأديب غيره!

د ـ ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: وانتظر الجواب رَيْثَما يكتبونه، ثم اتني بالجواب.

والملاحظ أن أوامر سليمان لهدهد حامل الرسالة، دقيقة وواضحة، وهذا هو اللائق بالملك والرئيس الصّالح، الذي يجب أن يراعي الدقة والوضوح في التعبير، كي يسدَّ باب التأويل والتحريف!

٧) وكان محتوى الرسالة عبارة عن: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل]، أي: كان مُحتوى الرسالة عبارة عن أشياء ثلاثة:

١ ـ **توضيح الجهة المُرْسِلة** ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾.

٢ ـ **البدءُ بذكر اسم الله الموصوف بصفتي** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٣ ـ **ذكر المقصود من إرسال الوفد والرسالة:** ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا تتكبَّروا ولا تستنكفوا عن طاعتي وأتوني منقادين، والمقصود بلفظ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ هو الإنقياد والطاعة لحكمه، وليس المقصود به الدخول في الإسلام! لأن من لَمْ يعرف الإسلام بَعْدُ فكيف يَدْخُله؟، وقبل ذلك فإن مسألة الإيمان والكفر لا يجوز فيها استعمال الضغطِ والتهديدِ، لأن أقصى ما يُثْمِرُه التهديدُ والضغطُ، هو أن يصير الشخص المهدَّدُ المضغوط عليه، مُنافقاً!

بل كان مقصود سليمان عليه السلام، ذَهابَ ملكة سبأ ومَلَئِها إليه، كي يدعوهم إلى الله بالحوار والحجة، وأن يُريهم معجزاته الباهرةَ علَّهم يهتدون، وهذا هو ما حصل فعلاً، كما سيأتي بيانه بعد قليل.

٨) ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل].

وهنا يعلن سليمان عليه السلام من خلال ردّه الهدية الّتي بعثت بها إليه ملكة سبأ، بقوله: أو أنتم تعطونني المال كي أترككم وشأنكم في عبادة الشمس والضلال الذي أنتم فيه؟ أي أوَ تُعطونَني رشوةً؟! فالمالُ الذي أعطانيه الله خيرٌ من الذي أعطاكموه! ثم انني لا يهمّني المال والمتاع، بل أنتم الّذين تَحْسِبون الحساب العظيم للمال، وأما أنا فالّذي يَهُمني هو ديني وارضاءُ ربِّي فَحَسْبُ!!

ثم بعد أن يُعيد سليمانُ الهديّة المالية إلى ملكة سبأ، كي يُفْهِمَها أنه ليس من نوع الملوك الّذين عَرَفَتهُم، والّذين يَطْمَعون في أموال الشعوب وثرواتهم، بل هو لَهُ شأنٌ آخر، وهَمٌّ آخر، بعد ذلك يهدّدهم بِحزمٍ وقوّة وَيُيْئِسهُم من المقاومة والدفاع في مقابل جيشه الجرّار، ويخبرهم بأنهم إذا لم يقبلوا دعوته إياهم بالمجيء إليه والإستماع له، كي يطّلعوا على دين الله الحق، ويتركوا عبادة الأوثان، فإنه سيرسل إليهم جيشه وسيُخرِجهم منها أذلاّء صاغرين!

٩) ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل]، والظاهر من السياق أن مقصود سليمان من إحضار عرش الملكة بسرعة وقبل مجيئها، هو: أن يريها إحدى المعجزات الدالة على نبوته، وعلى أن مُلْكَهُ ليس مُلْكاً دنيوياً، وأن إمكانياته خارجة عن حدود الإمكانيات المتاحة للملوك العاديين، وكل ذلك بغية هداية الملكة واقتناعها وقومه بدعوته الإسلامية، وهدايته الربانية، وانتشالهم من أوحال الضلالة والسَّفه.

١٠) ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

وبعد أن أحضر له الذي عنده علم من الكتاب، عَرْشَ الملكة في طَرْفَةِ عين، مرة أخرى وكعادته أرجع سليمانُ النِّعمة إلى المُنْعِم بِها عليه جلّ جلاله، وأعلن أن الله تعالى إنما أعطاه هذه النِّعَمَ تفضلاً منه ورحمةً،

ابتلاءً له: هل يشكر نِعَمَه أم يكفرها؟ ثم يعلن أن المنتفع بالشكر هو العبد نفسه فحسب، وكذلك المتضرر بالكفران هو نفسه فقط، وذلك لأن الله تعالى غني عن طاعة عباده وشكرهم، ولا يضرونه بكفرانهم، وهو كريم وهّاب جَوَاد جلّ جلاله.

(١١) ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

وفي النهاية وحرصاً من سليمان على هداية الملكة، واقتناعها بالوسائل التي تفهمها هي جيداً وتُؤَثّر فيها ـ وذلك علاوة على إحضار عرشها، ثم إرائته إياها بعد تغييره، والإستفسار عنها: أهو عرشك أم لا؟ وهذا كان معجزة أخرى من معجزاته ـ يَأْمرُ سليمان بإدخال الملكة قصره المصنوع من الزجاج الصَّلْب، والمفروش مَمَرُّه بزجاج يَشُفُّ ما تحته، ويُرى وكأنه بُرْكَةٌ أو جدول ماءٍ، والملكة تَحْسِرُ عن ساقيها ألّا تَبْتَلَّ بالماء، ظناً منها أن ما تراه ماءً! وهناك يُنَبِّهُها سليمانُ بأنَّها ليست بحاجة إلى كشف ساقَيها، لأن ما تراه ليس ماءً يبتلُّ به اللباس، بل القصر كله مصنوع من الزجاج، فلهذا رأت ما رأت! وفي تلك الحالة ووسط اندهاش الملكة وانبهارها الشديد بما سمعت أولاً، ثم رأت وشاهَدَت من الأمور النبوية الربانية من سليمان عليه السلام، من: دعوة حكيمة إلى الله تعالى، وعدم طمع في المال والثروة، والحرص على هداية الناس، والمعجزات الباهرة، والأخلاق الطاهرة، والرقي الحضاري العجيب، لم تملك نَفْسَها إلّا أن تُعْلِنَ إسلامها لله تعالى، وقبولها لدين الله الحق متبعة نبي الله الحكيم الكريم سليمان عليه السلام.

وهكذا سخّر سليمان عليه السلام إمكانياته الحضارية، لنشر التوحيد وهداية الناس وإصلاحهم.



## ٢ ـ موقف ذي القرنين من السلطة والثروة

وأما بالنسبة لذي القرنين ﷺ، والذي بلغ ملكه وسلطانه مشرق الأرض ومغربها، فنكتفي ـ توخياً للإختصار ـ بتسجيل هذه النقاط الخَمسْ عنه، لإبراز موقفه الرشيد في كيفية استخدام إمكانياته الحضارية، في تحقيق مصالح الناس ومنافعهم وإبعاد الأضرار والمفاسد عنهم:

١ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف].

ويعرِّف سبحانه وتعالى ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بأنَّه مكَّن له في الأرض، أي: أعطاه إمكانيات وسخَّر له أسباباً ووسائل، ويقول تعالى بأنه وفَّر له أسبابَ تحقيق الأشياء التي يريد تحقيقها، وأنه استعمل تلك الوسائل والأسباب لتحقيق غاياته وأهدافه.

٢ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف].

أي: إن ذا القرنين في رحلته نحو المغرب، وفي المكان الذي تبدو الشمس وكأنها تغرب في عين ماء فيها طين متغيّر، وهذا تصوير دقيق لمنظر الشمس وهي تغرب في المحيط الأطلسي، وهناك وجد قوماً، وخوّله سبحانه في كيفية التعامل معهم بين: أن يُعَذِّبهم، أو يعاملهم بالحسنى، ويمكن أن يكون المقصود بهذه العبارة، أن ذا القرنين كان يمتلك من الإمكانيات، بأن يعاقِبَ أولئك القوم أو أن يدارِيَهُم، فهو كان متمتعاً بكل من القوة العسكرية الكافية، والحنكة السياسية الوافية! أو المقصود بالآية

هو: قلنا يا ذا القرنين! عامِلْ هؤلاء القوم بالعقاب لأشرارهم، والإحسان إلى أخيارهم.

٣ ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

وهنا يعلن ذو القرنين عن خطته السياسية الرشيدة الحكيمة، في معاملة الشعوب، والتي تَتَلَخَّص في مجازاة وعقوبة الظالم الباغي، والإحسان حدّ الإمكان إلى المؤمن العامل للصالحات.

والملاحظ أنْ ذا القرنين ذكر أنه يعاقب الظالم وليس الكافر! وذلك لأن دين الله القيم يُفْسِحُ المجالَ للناس في جانب الفكر والعقيدة، وسائر الخصوصيات الشخصية التي لا تتعارض مع حريات الناس ومصالحهم، وذلك لأن الله تعالى خلق الجن والإنس ليبتليهم، وأعطاهم الإرادة والخيار، ولكن الظلم بما أنه يهدّد مصالح الآخرين بل ويقوّضُ[1] وجودَهم، لِذا لا بدَّ من الأخذ على يد الظالم، ثم ان ابتلاء الناس لا يتم إلّا بإعطائهم المجال بأن يؤمنوا أو يكفروا بمحض اختيارهم وإراداتهم، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف]، ولكن الظلم ليس هكذا، بل بالعكس الظلم يفسد جوَّ الإبتلاء.

٤ ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف].

ويبدو أن تلك الرحلة ـ وهي الثالثة لذي القرنين ـ كانت صوب شمال

---

(١) قَوَّضْتُ البِناءَ تقويضاً، نَقَضْتُهُ من غير هَدْمٍ. المصباح المنير، ص٢٦٨.

الدنيا، والمهم هو أن ذا القرنين يلتقي في رحلته الثالثة تلك، وفي موقع يقع بين السدَّين، وربما المقصود بالسدَّين هو جبلان عظيمان مرتفعان ـ، يلتقي بشعب متخلِّف يصعب عليهم فهم الكلام بسبب انغلاقهم على أنفسهم، وبعدهم عن التحضر، والإختلاط بالآخرين، ويخبره أولئك القوم أن بجوارهم قوماً أشراراً مفسدين، باسم يأجوج ومأجوج، ويطلبون منه أن يبني بينهما سَدّاً، حتى يَأمَنوا شرهم وإفسادهم، ويُعْرِضون عليه أن يوفِّروا له من أموالهم، ما يُؤَمِّن به خَرْجَ بناءِ السدِّ ومصاريفه، ولكن ذا القرنين الملك العادل الذي يأتمر بشرع الله، والذي يسر الله تعالى له أموره، ووفَّر له كافة الوسائل والمستلزمات، يجيبهم على كلامهم وعرضهم هذا جوابا، يتضمّن ثلاثة أشياء:

**أولاً**: ان الإمكانيات المادية التي وَهَبنيها ربِّي، خيرٌ وأكثر ممّا عندكم، لِذا فلا أُثْقِلُ عليكم بتأمين نفقات بناء السدِّ، بل أُؤَمِّنها من جانبي: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.

**وإذا قارنت بين هذه السياسة الرشيدة لدولة عظمى، تدافع عن المستضعفين، وتأخذ على يد الظالمين، وبين سياسة أمريكا الحالية، والتي تدّعي الدفاع عن المهدَّدين ـ كما فعلت مع دول الخليج بعدما هجم النظام العراقي السابق على الكويت ـ حيث كَلَّفَتْ تلك الدول والكيانات بدفع أثمان باهظة، تفوق بكثير مصاريفها الحربية، والتي لم تكن في الحقيقة إلّا للدفاع عن مصالحها السياسية والإقتصادية، ودرء الأخطار المستقبلية عنها، بدا لك الفرقُ الكبيرُ والبون الشاسِع، بين السياسة الربّانية والسياسة الشيطانية!**

**ثانياً**: ولكن أنتم ساعدوني بالأيدي العاملة، وذلك كي لا يتكاسل ذلك الشعب، ويحرِّك القِوى الكامنة فيه: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾.

**ثالثاً**: كي أسُد بين الجبلين وأردم ما بينهما، وأحْجِز بينكم وبين أولئك الأشرار: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

٥ ـ ثم لما بنى ذلك السدَّ العظِيم المحكم، مُحقِّقاً الأمن لذلك الشعب الضعيف المتخلِّف ـ ولم يَحُلْ ضعفهم وتخلّفهم دون نجدة ذي

القرنين إياهم، ولم يَقُلْ: ما دمتم ضعفاء ومتَخلِّفين، ولا يُرجى منكم نفع لي، فلا تستحقون مساعداتي ـ وقطع الطريق أمام ظلم وإفساد يأجوج ومأجوج، وكان السدُّ بحيث: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف]، أي: كان السدّ من العلوّ والإرتفاع والملاسة على درجةٍ، لا يمكن ليأجوج ومأجوج أن يصعدوه، وكان من الإحكام والتماسك والقوّة، بحيث لا يقدرون على نقبه وثقبه، نعم بعد أن أنجز مشروعه العظيم ذاك، عَرَفَ الفضلَ لأهله وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي: لم يُباهِ به، ولم يتبجَّح ويفاخرْ به، كما يفعل الجبابِرة الطغاة الّذين يُرْجِعون كلَّ الفضل إلى جهودهم الذاتية، وإلى عبقريتهم، وكأن غيرهم صِفرٌ!!

ثم إنه تذكَّر وذكَّر جيشه وغيرهم بحقيقة مجيء يوم القيامة، والتي تندكّ فيها سدّه المحكم، من ضمنِ ما تندك من الجبال الصلبة: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## ٣ ـ مَواقفُ الطواغيت
## في مجال التصرُّف في الإمكانيات

وتوجَد في موازاة هذه المواقف الربانية الرشيدة التي بَدَ من كل من سليمان عليه السلام، وذي القرنين، في استخدام الحضارة وإمكانياتها، لتحقيق العدل والأمن ونشر الفضائل وهداية الناس، مواقف شيطانية وطاغوتية سفيهة ـ مما قصّه الله علينا في كتابه الحكيم ـ والتي نشير على سبيل المثال إلى اثنين منها، وهما: موقف كل من (عاد) مُمَثَّلاً بِمَلَئِهم المستكبرين، و(فرعون) مصر:

١ **أما (عاد)**: فقد تحدث عنهم كتاب الله في مواضع كثيرة، ولكن نكتفي منها بهذه الآيات:

١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر].

يبدو من هذه الآيات أن الله تعالى قد أعطى قَوْمَ عاد الذين بعث فيهم رسولاً كريماً حليماً وهو: (هود) عليه السلام، من الإمكانيات والمزايا المادية ما انفردوا بها بين العالمين، وبدل أن يشكروا الله على هذه النعمة العظيمة، تَبَجَّحوا بها وتباهوا بها على الناس، وكان موقفهم كما حكاه الله تعالى لنا.

٢ ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت].

فهم في غمرة غرورهم واستكبارهم على الناس، نادوا متفاخرين

متبجِّحين: من هو الذي يملك ما نملكهُ من القوة؟ فهم نسوا حتى ربهم الذي أوجدهم وخوّلهم تلك النعم، ابتلاءً لهم، وسبب هذا الغرور والتكبر، هو جحودهم بآيات الله تعالى، وتركهم الهدى وركوبهم الهوى، ولم يركب الهوى أَحَدٌ **إلّا هوى!**

٣ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

فعاقبهم الجبّار الحكيم من جرّاء غرورهم، وادّعائهم أنهم أشدّ قوة من كل أحد، ولم يستثنوا حتى ربهم الخالق جلّ جلاله! بألطف المخلوقات المادية، وهي الريح، فانقلبت عليهم أَشَدَّ المخلوقات، مُنْزِلةً بهم بإذن ربّهم أشَدَّ العقوبات وأقساها، وجزاهم الله تعالى بعكس مطلبهم في الدنيا والآخرة، حيث صيَّرهم مُهانين محتقرين، خزايا مفضوحين، بعد أن كانوا مستكبرين جاحدين متبجِّحين!

٢ ـ **وأما (فرعون)**: والذي خصِّصت لِقصته مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتاب الله الحكيم، أكبر مساحة خُصِّصت لقصة، فنكتفي بإيراد هذه الآيات المباركات فحسب:

١ ـ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف].

ففرعون وقد أعطاه الله ملك مصر ـ ابتلاءً منه له وليس إكراماً ـ اغترَّ بتلك الإمكانيات الممنوحة له من الله تعالى، وبدل أن يعترف بفضل الله عليه ويشكُرَهُ، تَبَجَّح واستكبر واختال وافتخر، وجعلها برهاناً ساطعاً على خيريَّته وفضله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي هو خِلْوٌ من تلك المزايا، وعلاوة على ذلك فهو: ـ حسب تعبير فرعون ـ لا يكاد يُفْصِحُ عن كلامه، وكان هذا اتهاماً باطلاً من فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبناه على حالة موسى السابقة على نبوّته، وإلاّ فقد شفاه الله تعالى عن تلك الحُبْسة التي بِلسانه بعد أن دعا موسى ربّه قائلاً: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه]،

وقد استجاب له الله تعالى كلَّ ما سأل رَبَّهُ، ومن ضمنه: طلاقة لسانه وفصاحته، كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

٢ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

نعم إنَّ فرعون لعنه الله، لم يكتف بما مرَّ ذكره ـ من الإغترار بنعم الله عليه، وجعلها دليلاً على خيريته وفَضْلِه على موسى نبيِّ الله المصطفى عليه السلام ـ بل تمادى في غيِّه وضلاله واستكباره، حتى بلغ به السَّفه حداً، أن يَدِّعي الألوهية المطلقة، وكذلك الربوبية، حيث قال في موضع آخر: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وأن يدَّعي أن إله موسى، وهو رب العالمين لَّ شأنه، لا وجود له، ثم أراد أن يُسَخِّر إمكانياته المتاحة له ـ أو سخَّرها فعلاً ـ لإثبات دعواه السّخيفة هذه، وذلك بأمره هامان أن يَبْنِيَ له قصراً أو بناءً عالياً جِداً، فيصعده وينظر من فوقه: هل يرى ربَّ موسى عليه السلام، فيُقِرَّ بوجوده، أم لا يراه، فيَثْبُت على إنكاره؟!

وهكذا الفراعنة والطواغيت قديماً وحديثاً، يسخِّرون إمكانياتهم الممنوحة لهم من الله تعالى، لمعاداة الله ودينه، وإذلال عباده وإضلالهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون].

٣ ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وإذلال الناس واستضعافهم واستعبادهم، لازمٌ لا ينفك من ادعاء الربوبية والألوهية للطواغيت، إذْ لا بدَّ لمن يَحْسَب نفسه الذليلة رباً، من مربوبين، ولا بدَّ لمن يتصور نفسه الحقيرة إلهاً، من عابدين! **وإلّا فكيف يَسْبَحُ السابح من دون حَوْضِ ماءٍ أو نهرٍ؟!**

وجعل الناس شيعاً، أي طوائف وطبقات منشغلة بعضها ببعض، كي لا يتسنَّى لهم التفكير في الطاغوت وظُلْمه، وكذلك ذبح الذكور وقتلهم

والإبقاء على الإناث، أيضاً من ديدن الطواغيت المتسلِّطين على رقاب الشعوب، والمحكِّمين أهواءَهم في شؤونهم، ولهذه الأفعال الشنيعة صور وأشكال كثيرة، تتَّحِد في الجوهر، وان اختلفت في الشكل والصورة.

٤ ـ ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات].

وسنة الله الجارية في المجتمعات البشرية في إهلاك الفراعنة والطواغيت، ثابتة لا تتغيّر، وكما أنَّ الله تعالى نبذ فرعون مصر وجنوده وأعوانه في البحر، أذلّاء حقراء، **كذلك هذا هو المصير المحتوم الذي ينتظر كل الطواغيت، إذ لا بدّ من نبذهم يوماً في بحر الهلاك، ومزبلة التأريخ عاجلا أو آجلا.**

وهنا ننهي الكلام عن التقدم والتأخر، بعد أن سلَّطنا عليه بعض أنوار آيات كتاب الله الحكيم.



## المطلب السادس:
## بين الإنتماء للشعب والولاءِ للأمَّة

وكذلك للمجتمع الإسلامي مفهومه الخاص لكل من الإنتماء[١] للشعب، والوَلاءِ[٢] للأمة، والذي لم ولا يتسنّى للإنسانية التوفيق بينهما إلا في ضوء التصور الإسلامي الصحيح مبدئياً، وفي ظل الحكم الإسلامي الحق عملياً، والآن لنتدبّر هذه الآيات المباركات أولاً، ثم لنحاول تقرير هذا الموضوع في عَشْر نقاط متسلسلة، وفي ضوء آيات كتاب الله المبارك، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد:

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

٢ - ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ...وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ...دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ... وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا

(١) أُستعمِلَتْ كلمةُ (الإنتماء) بمعنى الإنتساب، كانتساب الإنسان إلى أبيه أو عشيرته أو قومِهِ، انظر: (مختار الصحاح) ص٥٨٥، لفظ: ن م ي.

(٢) كلمة (الوَلاء) أصلها من (الوَلْي) وهو بمعنى القُرب والدنوّ، مثل: كُل مِمّا يليك: أي: مِمّا يُقاربُك. انظر: مختار الصحاح. ص٦٣٠، ٦٣٢، لفظ: و ل ي، إذن: الإنتماء هو ما ليس للإنسان فيه أختيارٌ وإرادة، ولكن الولاء هو ما يفعله الإنسان باختياره، ولهذا أستعملتُ كلا من هاتين الكلمتين في مجالها الخاص بها.

وَعِلْمًاۚ﴾ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ... وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾... وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ... وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ... فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ... وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء].

٣ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾... ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون].

٤ - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ... ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].

٥ - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ... ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

٦ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ ... ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم].

٧ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم].

٨ - ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ ... ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

٩ - ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

١٠ - ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

ويفهم من الآيات المباركة المدرجة أعلاهُ، حقائق كثيرة فيما يتعلّق بانتماءِ الإنسان المسلم إلى شعبه، وانتمائِهِ إلى أمته، هذه العَشْرُ أَهمُّها في نظرنا:

## الأولى: البشرية كلُّها تنتمي من حيث النسب إلى ذكر وأنثى، أب وأم، وهما: أبونا (آدم) وأمّنا (حواء) عليهما السلام:

وهذه الحقيقة صرَّحت بها الآية (١٣) من (الحجرات) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات].

وعليه:

فلا يجوز لشخصٍ ولا عشيرة ولا قبيلة ولا شعب (قوم)، أن يفتخر على غيره من الأشخاص والعشائر والقبائل والشعوب، بنسبه، ظاناً أن نسبه أرفع من نسب غيره، وهذا ما بيَّنه رسول الله ﷺ أجْلى بيان في أكثر من حديث شريف، وهذا أحد الأحاديث الواردة بهذا الشأن: «**يا أيها النّاس إنّ ربّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍ على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيضَ على أحمر، فضْلٌ، إلّا بالتقوى**»، رَوَاهُ البَيْهَقيُّ في (شعب الإيمان) برقم: (٥١٣٧) بلفظ قريب منه، والربيع في مسنده[١].

وقال مهدِّدا ومنذراً من يفتخر على الناس بِحسبه ونسبه: «**إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم**

(١) وانظر: (خطبة حجّة الوداع) في (الوثائق السياسية...) لمحمد حميد الله ص: (٣٦٠- ٣٦٨)، حيث أتى بكل أو أغلب روايات هذا الحديث.

جهنَّم، **أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»** رواه أبو داود والترمذي وحَسَّنه، ورواه أحمد. وليس بعد هذا التوضيح من بيان، ولا بعد هذا الإنذار من إنذار!

## الثانية: تفرّعت بمشيئة الله الحكيمة، من تلك الأسرة الوحيدة الكريمة، كل الشعوب والقبائل المكوِّنة للبشرية:

كما يبيِّن ذلك بجلاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ وهذا دليل قاطِعٌ وبرهان واضح على أن الشعوب الكثيرة التي تتكون منها البشرية، كلّها سواء من حيث شَعبيَّتُها وقَوْمِيَّتُها، وليس شعب أفضل ولا أشرف من شعب، كما يدَّعي اليهود، حيث يعتبرون أنفسهم (شعب الله المختار)، فليس هناك شعب مختار لله تعالى، ومُفضَّل على غيره من الشعوب، وأما قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة]، فليس المقصود به تفضيل بني إسرائيل على العالمين ـ في زمانهم ـ من حيث عِرْقُهم وقوميَّتهم، بل المقصود به تحميل الله تعالى إياهم رسالته، واختياره لهم لأداء وظيفة العبودية، وفي تلك الحالة فَشَرَفُهُم وفضلهم مرهونٌ بالقيام بما كلِّفوا به، وهذا ما يستوي فيه كل الناس، لأن كلَّ من وفّى بعهد الله وقام بعبادته خير قيام، فهو كريم عند الله تعالى بقدر وفائه وعبادته، ولكن قد يختار الله سبحانه شعباً ما، ويوكل إليهم وظيفة ليس لإمتيازهم على غيرهم من الشعوب من حيث كونهم شعباً، بل لخصوصيات وملابسات معيّنة، وبنو إسرائيل كان أحد أولئك الشعوب الّذين أوكل الله الحكيم إليهم مهمة خاصة، وكان شرفهم وكرامتهم عند الله، بقدر قيامهم بما أوكل إليهم، وقد كانوا في تلك الفترة التي أوكل الله إليهم مهمة حمل رسالته، أكثر الشعوب أهلية واستعداداً لإسناد تلك المهمة، على الرغم مِمّا كان فيهم من نقاط ضعف، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان].

**الثالثة: حكمة جعل الله البشر شعوباً وقبائل: حصول التعارف بينهم:**

كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ وهذا يعني أن المطلوب من الشعوب والقبائل المختلفة المكوِّنة للبشرية، هو التآلف والتقارب والتعاون، على أساس عبوديتهم لله تعالى، وأُخوَّتهم في البشرية.

**الرابعة: ميزان التفاضل بين الناس على صعيد كافة الشعوب والقبائل، هو التقوى فحسب:**

ويدل على هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وعليه: فلا اعتبار في هذا المجال لأي شيء آخر، من نسب وحسب ولغة ولون وثروة وجاه... إلخ، وقد بيّنّا مفهوم التقوى في السابق فلا داعي للإعادة، ولكن ننبّه على أن في جعل التقوى معياراً للتفاضل بين الناس، سواء على مستوى الشعوب والأقوام، أو القبائل والعشائر، أو الأفراد، حكمة بالغة وهي: أن التقوى في مُكْنَةِ كل أحد الحصول عليه والإتصاف به، أياً كان انتماؤه القومي، ومستواه العلمي والفكري، ونوعية عَمَلِهِ وشُغْلِهِ، وكيفية معيشته، وذكراً كان أو أنثى، غنياً أو فقيراً، قوياً أو ضعيفاً، مريضاً أو صحيحاً... إلخ، فميدان الإتصاف بالتقوى ميدان فسِيح، بإمكان كل إنسان أن يجرِّب حظه فيه، فيكون مكرَّماً عند ربّه العظيم الكريم، بقدر نصيبه منه.

**الخامسة: أهل الإيمان بالله والعبادة له والتقوى منه، يكوِّنون أمة واحدة بقيادة الأنبياء الكرام عليهم السلام، بَدْءاً بأبينا آدم عليه السلام، وأَبي البشر الثاني نوح عليه السلام، وانتهاءً بخاتم الأنبياء (محمد) عليه الصلاة والسلام، إلى آخر فردٍ من أمته في نهاية الزمان:**

وتدل على هذه الحقيقة الآيات من (٥١ إلى ٩٣) من (الأنبياء) حيث يذكر سبحانه قصص خمسة عشر نبياً كريماً، وأَسماءَهم هم على الترتيب الّذي في السورة:

إبراهيم، اسحاق، يعقوب، لوط، نوح، داود، سليمان، أيوب، إسماعيل، إدريس، ذو الكفل، ذو النون (يونس)، زكريا، يَحيى، عيسى، عليهم الصلاة والسلام.

ثم يقول في ختام قصصهم مخاطباً الأمة الإسلامية بقيادة النبي الخاتم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء].

وكذلك تدل عليه الآيات من (٢٣ إلى ٥٤) من (المؤمنون)، حيث يذكر سبحانه نوحاً عليه السلام وشيئاً من قصته مع قومه، ثم يذكر إجمالاً كل الأنبياء الّذين أرسلوا بعده، ويذكر موسى وهارون عليهما السلام، ثم يختم ذكرهم بعيسى وأمّه مريم عليهما السلام، ويقول سبحانه مخاطباً أيضاً أمة محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ [المؤمنون]، وعليه: فأمة الإيمان والتوحيد والعبادة لله والتقوى منه، منذ بداية التأريخ البشري وإلى نهايته، أمة واحدة، ودينها واحد، وهو الإسلام لله تعالى، وربها واحد، وهو الله تبارك وتعالى ووظيفتها واحدة، وهي: العبادة لله تعالى والتقوى منه، بالمفهوم الحقيقي الشامل للعبادة والتقوى.

ويشير سبحانه وتعالى في كلتا السورتين، إلى المنحرفين عن خط الرسل الكرام، وجادتهم المستقيمة، مكوّنين فرقاً وطوائف ضالّة، وذلك تحذيراً لأمة محمد، الحلقة اللاحقة والخاتمة للأمة الممتدة، أن ينحرف بعض أفرادها، ويكرّر نفس أخطاء الأمة في مراحلها وحلقاتها السابقة.

**السادسة: أمة محمد ﷺ، أو أمة التوحيد والإيمان في مرحلتها الأخيرة، حال قيامها بوظيفتها التي تتمثل في الشهادة على الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي خير أمة أو أفضل حلقة من حلقات أمة الإيمان المتسلسلة عبر الزمان:**

وتدلّ على هذه الحقيقة كل من الآية (١٤٣) من (البقرة) والآية (١١٠) من (آل عمران)، ومعنى الشهادة على الناس - أي على البشرية - هو أن تكون أمة محمد ﷺ بحقٍ مُمَثِّلةً لدين الله الحق، ومجسِّدة له بكل أبعاده، في واقع حياتها بكل جوانبها، حتى تقيم الحجة على البشرية،

وتُثْبِتَ لها في ميدان الواقع أن الإسلام هو وحده دين الله الحق الّذي لا يرتضي غيره، ولا يقبل من أحد سواه، وأما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أشرنا إليه سابقاً، وسنفصِّل فيه القول لاحقاً بإذن الله في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

**السابعة: بما أن نَبيَّ الإسلام هو خاتم النبيِّن، وهو رسول الله إلى كافة الجن والإنس، فمن الطبيعي أن تتكون أمته من مختلف شعوب الأرض، بمختلف ألسنتها وألوانها، لِذا فليس لدى المسلم أية حسّاسية تجاه أي شعب من شعوب الأرض، وأية لغة من اللغات:**

وتدل على هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات]، إذاً: بما أَنَّ الجاعل لكل الشعوب والقبائل، هو الله تعالى وحده، وهو الحكيم الذي لا يفعل شيئاً إلّا على أساس الحكمة، فتوزيع الناس إلى مختلف الشعوب والقبائل، هو ثمرة مشيئة الله الحكيمة.

وكذلك تدل عليه الآية (٢٢) من (الروم)، حيث اعتبر تبارك وتعالى اختلافَ أَلْسِنَةِ الناس وألوانِهم، آية عظيمة على ربوبيته، مثلها مثل خلق السموات والأرض، وما اعتبره الله تعالى آية من آيات ربوبيته وعَظَمته، يجب أن يُنظَر إليه باحترام وتقدير.

**الثامنة: بما أن الله تعالى بعث في كل أمة (أي مجموعة من الناس) رسولاً على مرِّ الزمان، وأرسل كل رسول بلسان قومه الذين بعث فيهم، كي يبيِّن لهم دين الله، والنبي الخاتم بعث إلى كل الشعوب والأقوام، لِذا يجب على المسلمين في شعوب الأمة الإسلامية، أن يقوموا بواجبهم تجاه شعوبهم وأقوامهم، سالكين سنن المرسلين عموماً، وخاتمهم خصوصاً، صلوات الله وسلامُهُ عليهم أجمعين:**

وتدل على هذه الحقيقة الآية (٢٤) من (فاطر)، والآية (٤) من (إبراهيم)، والآية (٣٦) من (النحل)، والآية (٢١٤) من (الشعراء).

إذن:

فاهتمام المسلم بقومه، وحرصه على هدايتهم، وإيصال النفع إليهم، في إطار الشرع، ليس جائزاً فحسب، بل وواجب شرعي أيضاً يأثم بالتفريط فيه، إذ الحرص على هداية القوم، والعمل على إيصال النفع إليهم، وبذل النصح لهم، والشفقة عليهم من سنن الأنبياء عموماً عليهم الصلاة والسلام، وسنة رسول الله الخاتم ﷺ خصوصاً، إذ ما من نبي كريم، إلّا وبذل أقصى ما في وسعه لهداية قومه، وبدأ كل نبي في عمله النبوي بقومه، وكلهم نادى قَوْمَهُ ودعاهم إلى الله وإلى دينه الذي فيه خير الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

١ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ . . . ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف].

٢ - ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ . . . ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

٣ - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ . . . ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف].

٤ - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء].

٥ - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ . . . ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

٦ - ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ . . . ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت].

٧ - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

٨ - ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ . . . ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

هذا بالنسبة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، وبالنسبة لخاتم الأنبياء ﷺ، فهو كذلك مع أنَّه نبي الله ورسوله للعالمين، كما قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ].

وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ولكنه أول ما بدأ بتبليغ دين الله الحق إليه، بدأ بعشيرته الأقربين، تطبيقاً لأمر الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء]، ومراعاة لسنة التدرّج، ثم دَعا قومَهُ وشعبه العرب عموماً، كما هو معلوم في سيرته المباركة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزخرف].

وقوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ أي: إن هذا القرآن تذكير لك ولقومك العرب، وسوف تسألون عن مدى استجابتكم له وتجاوبكم معه، وهذا لا يُنافي كون القرآن كتاباً لكل الجن والإنس، وكون الرسول ﷺ مرسلاً ومبعوثاً إلى العالمين، وذلك لأن العرب شعب من شعوب العالم التي بعث إليها رسول الله الخاتم ﷺ، ثم انه كان لا بدَّ لنبي الله الخاتم ﷺ، أن يبدأ كغيره من الأنبياء، بدعوة قومه، ويشرع بعمله فيهم، بَدءاً بعشيرته الأقربين منهم، ثم انتهاءً بعموم شعبه العرب الذين يتكلم بلغتهم، وهم أوْلى الناس وأقربهم إليه، بالنِّسبة لسهولة تبليغ الدعوة إليهم لمخالطته إيّاهم، ومعرفته بهم، واطّلاعه على أحوالهم، وهذا مما لا بدَّ منه، لإنجاح الدعوة وإيتائِها ثمارها.

**التاسعة: موالاة الإنسان المسلم لشعبه، لا يتقاطع ولا يتنافى مع موالاته لأمته، إذ ما الأمة الإسلامية إلّا مجموع الشعوب المسلمة، إلّا إذا تبرّأ شعب من الإسلام، فهناك تجِب البراءة منهم، كما تبرّأ إبراهيم من أبيه وقومه الكفار:**

كلمة الموالاة جاءت من (الوَلي) وهو القرب[1] تقول: فلانٌ يلي فُلاناً، أي يَقرُبُ منه، وفي الحديث النبوّي: «**لِيَلِيَنِّي مِنكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ**

(١) مختار الصِّحاح، ص٦٣١، لفظ: و ل ي.

وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِم برقم: (٤٣٢)، أي: ليقرب مِني في الصلاة عقلاؤكم وعلماؤكم، ثم مَن بعدهم، ثم مَنْ بعدهم.

وتعطي كلمةُ الموالاةِ: معانيَ الحبّ والقرب والنصرة.

والدليل على أن موالاة المسلم مع شعبه وقومه المسلمين، لا يتقاطع ولا يتضادّ مع موالاته للأمة، هو: أن الموالاة إنما تجب على المسلم مع كل أهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

وقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ... ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، وبما أن شعبه من أهل الإيمان ـ عموماً ـ إذاً: ليس يجوز فحسب، بل ويجب عليه أن يواليهم، ومعلوم أن الأمة الإسلامية، ليست سوى مجموع الشعوب والأقوام المسلمة التي تتكون منهم، وليس لها وجود واقعي خارجي من غير الشعوب المسلمة، والوجود الذهني ليس سوى خيالٍ مجرّد.

**العاشرة: لكن ههنا سَبْعُ حقائق شرعية أو واقعية، يجب أن لا تغيب عنا في هذا المجال:**

١ ـ بما أن الإيمان هو أساس الموالاة بين أهل الإيمان، فستظلّ الموالاة بين المسلم وشعبه باقية، طالما بقي الشعب مستمراً على الإسلام، ولكن يجب إيقافها عند انقطاع وجود الإسلام فيهم، كما فعل إبراهيم عليه السلام والذين معه مع قومهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ... ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].

٢ ـ ولكن يجب التنبّه إلى أن سحب الموالاة من أناس ـ سواء كانوا

قوم الإنسان أم غرباءَ عنه ـ لا يعني انقطاع صلته بهم، من حيث الحرصُ على هدايتهم، ودعوتُهم إلى الله تعالى، كما فعل الأنبياء ذلك كلُهم، إذ دعوا أقوامهم الكفار، وحرصوا على هدايتهم، وبذلوا قُصارى جهدهم في هذا الطريق، إذ قول الأنبياءِ الكرام: (نوح وهود وصالح وشعيب) وغيرهم عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾! واضح الدلالة في هذا المجال، إذ هم دعوا أقوامهم الكفرة العابدين لغير الله إلى عبادة الله تعالى، وصبروا على أذاهم، وحلموا عن سفههم، أيما صبرٍ وحلم، كما هو جلي في قصصهم التي قصَّها الله تبارك وتعالى علينا في كتابه الحكيم.

٣ ـ ان انتماء الإنسان لشعبه، باق ومستمرٌ سواء كانت الموالاة الإيمانية موجودة أم لا، إذْ كون الإنسان كردياً أو عربياً أو تركياً أو فارسياً... إلخ، ثابت لا يتغير، ولهذا خاطب الأنبياء أقوامهم بصيغة: (يا قومي) كما هو وارد في قصصهم، وكذلك اعتبر الله تعالى الأنبياء الكرام إخواناً لأقوامهم الكفرة، كما قال تعالى:

١. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الشعراء].

٢. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء].

٣. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الشعراء].

٤. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الشعراء].

وواضح أن المقصود بالأخوّة هنا هو الأخوة النسبية القومية لا الإيمانية، وبناءً عليه: فلا حرج على الإنسان شرعاً، أن يقول لبعض من قومه الّذين يعتقد فيهم الكفر، يا إخواني! وان كان تجنّبه أَولى، ما دام العُرْفُ الإسلامي يَمُجُّه بسبب حصره معنى الموالاةِ الإيمانية في كلمة

(الإِخْوَة)، ولكن إذا تغيَّر العُرْف، فالمسألة تبقى على أصلها الّذي هو الجواز.

**والفرق بين الإنتماء النَّسَبي القومي، والولاء الإيماني، ظاهرٌ لا يَخْفى، إذ الإنتماء النَّسبيُّ القوميُّ شيءٌ فطريٌّ جبريٌّ، لا يَدَ ولا اختيار للإنسان فيه، ولهذا لا يترتب عليه مدحٌ أو قدحٌ، ولا ثواب أو عقابٌ، ولكن الوَلاءَ إختياريٌّ طَوْعيٌّ، يختار الإنسان بإرادته من يواليه ومن يعاديه، ولذلك يختلف حكمه، ويترتب عليه المدح أو الذم والثواب أو العقاب.**

٤ ـ ويجب على المسلم أن يراعي التوازن بين موالاته لشعبه المسلم واهتمامه بهم، وبين موالاته لأمته الإسلامية الواسعة المُكوَّنة من جميع الشعوب المسلمة واهتمامه بها، وقد تتغيّر نسبة الإهتمام من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، وحسب الظروف والملابسات والإمكانيات المتاحة للمسلم، والمسلم يَجِب أن يكون حكيماً حصيفاً في تقدير الحالات المختلفة، وفي حفظ التوازنات اللاّزِمة مراعاتُها، وفي تصديق رسول الله ﷺ لسلمان الفارسي الناصح لأحد الصَّحابة المُخلِّين بتوازن نِسَبِ اهتماماتهم وواجباتهم: **«إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيكَ حَقّاً، وَلأَهْلِكَ عَلَيكَ حَقّاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (١٨٦٧)، لعبرة وأي عبرة، في مجال حفظ توازن نسب الإهتمامات والواجبات التي تتوجَّه إلى المسلم.

٥ ـ ويجب على المسلم الحذر الشديد من التلوّث والتلبّس، بالتعصّب القومي الذّميم، الّذي يتصادم ويتعارض مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وينافي الأُخوّة الإسلامية، ويضادُّها من الصَّميم.

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات]، وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ ... ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]، وقول رسول الله: **«لا فضل لعربي على**

**أعجمي ولا لأبيض على أسود، إلّا بالتقوى»** رواه أحمد في المسند، كاف لمن يؤمن بالله ورسوله ويعتبر نفسه مسلماً، أن ينبذ التعصّب القومي نبذاً.

وقد هدّد رسولُ الله ﷺ تهديداً عظيماً، كل من يدعو إلى العصبيّة القبليّة أو القومية بقوله: «**لَيسَ مِنّا مَنْ دعَا إلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيسَ مِنّا مَنْ قَاتَل علَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيسَ مِنّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٥١٢٣) وَضَعَّفَهُ الألباني.

وأما بالنّسبة للتعريف الدقيق للعصبية والتَعَصُّب القومي فقد عرَّفه الرسول ﷺ عندما سئل: أَمِنَ العصبيّة أن يحبَّ الرجل قومَهُ؟ فقال: «**لا، ولَكِنْ مِنَ الْعَصبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْم**» رَوَاهُ أَحْمَد برقم: (١٧٥٠٧).

وأنا أرى في ضوء آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ، أنه يمكننا أن نحدِّد الحدَّ الأدنى من التعصّب القومي والحدَّ الأعلى منه، بالقول:

**(إنَّ الحدَّ الأدنى من التعصّب القومي هو تفضيل الإنسان قومه على غيره من الأقوام عموماً، وَحدَّهُ الأعلى هو تفضيل شرار قومه على خيار قومٍ آخر).**

والمقصود بكلمة (شرار) هنا هو: شرار المسلمين، وأمّا الّذي يفضّل الكفارَ من قومه أو من غيرهم على المسلمين، أياً كانوا، فهو لا تبقى له بالإسلام صلة، ولكن يجب أن يكون واضحاً أن تفضيل فضائل بعض الكفار على رذائل بعض المسلمين، موضوع آخر، وله حكم آخر، فالفضائل محبوبة عقلا وفطرة ومستحسنة، والرذائل مبغوضة ومستقبحة، من دون النظر إلى أصحابها المتصفين بها، وهذا كما قلنا موضوع آخر، غير ما نحن بصدد بحثه الآن، وقد تطرَّقنا اليه في السابق باختصار.

٦ ـ وقد استعمل كلام الله المبارك كلمتي (الشعب) و(القوم)، وجمعهما

(شعوب) و(أقوام)، بمعنى واحد أو قريب جداً، وهو: (كل مجموعة أناس لهم أصل نسبيٌّ مشترك)[1] والدليل على ذلك هو الآية (١٣) من (الحجرات)، وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم]، إذاً: فالقوم هم مجموعة أناس يتكلمون بلغة مشتركة، وكذلك الشعب المتكون من مجموعة قبائل، لهم لغة واحدة ولهجات متعددة.

ولكن كلمة (الأمة) لها وضع آخر، وذلك لأن الكلمة المذكورة استعملت بالمعاني الآتية:

أ. **مجموعة أناس لهم عمل واحد مشترك:** كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ...۝٢٣﴾ [القصص]، والمقصود بهم هنا مجموعة رعاة كانوا يسقون مواشيهم.

ب. **مجموعة مخلوقات متجانسة متشابهة في الأوصاف والحالات:** كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم...۝٣٨﴾ [الأنعام]، وعليه: فكل نوع من الحيوانات يعتبر أمة برأسها.

ج. **مجموعة من الأعوام والسنين:** كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ...۝٤٥﴾ [يوسف].

والمقصود بـ(أمة) هنا هو مجموعة وعدد من السنين، بدليل قوله تعالى السابق على هذا الكلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ [يوسف]، وإنما سميت مجموعة من السنين (أمة)، لتشابهها بل تماثلها بعضها مع بعض، في عدد الفصول والشهور والأسابيع والأيام.

د. **الشخص المؤتم به، أو الجامع لفضائل عدة:** كما قال تعالى في

---

(١) مختار الصحاح: ص٣٠٢، لفظ: ش ع ب، وص٤٨٢، ٤٨٣، لفظ: ق و م.

وصف إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

هـ- **مجموع أنبياء الله ورسله الكرام الّذين أرسلهم لهداية الجن والإنس**: كما قال تعالى في كل من سورة (الأنبياء) وسورة (المؤمنون) بعد ذكره عدداً من أنبيائه الكرام: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون]، وذلك لأن الأنبياء والرسل، الكرام عليهم من الله جميعاً أفضل الصلاة والسلام، كلهم على طريقة واحدة، وهم متشابهون في أوصافهم الكريمة وخصالهم الحميدة.

و. **كل مجموعة أناس عائشين في عصر واحد، وعلى منهاج وطريق واحد**: كما قال تعالى مخاطباً نبيّه الخاتم: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ... ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل].

ز. **المؤمنون التابعون للنبي الخاتم ﷺ**: كما قال تعالى: مخاطباً أهل الإسلام المؤمنين برسول الله الخاتم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

فهذه سبع استعمالات، ولكل استعمال معنى خاص لكلمة الأمة، والجامع المشترك بين هذه المعاني السبعة، هو الوحدة والتجانس والتشابه، كما هو واضح في الآيات التي وردت فيها كلمة الأمة بمعانيها المختلفة.

**وبناءً عليه نقول:**

إن كلمة (الأمة) ليس بمعنى الشعب والقوم، بمعناهما المتعارف عليه الآن، لِذا من الخطأ استعمال كلمات مثل: (الأمة الكردية) أو (الأمة العربية) أو (الأمة التركية)... إلخ، وذلك لأن كلاً من (الكرد) و(العرب) و(الترك)

وغيرهم من الشعوب، شعبٌ وقومٌ، تجمعهم مجموعة أصول مشتركة، من اللغة والنسب والتاريخ والوطن، ولكن ليس أي من هذه الشعوب ذوي الأغلبية المسلمة، مُجْتَمِعاً على طريقة واحدة، ومتشابهاً في الأوصاف والأحوال، بل فيهم من هو مشرِّق وفيهم من هو مغرِّب، وفيهم من لا يعلم حقيقته ووجهته إلّا الذي هو عليم بذات الصدور! إذاً: كيف يعتبر شعب يحوي كل هذه المتناقضات، أُمةً؟!.

وعليه:

كل من هذه الشعوب المسلمة، يعتبر شعباً، وبالتالي يسمّى شعباً، فهناك شعب عربي، وشعب كردي، وشعب فارسي، وشعب تركي... إلخ، ثم تتكون من مجموعهم ـ أي: من المؤمنين منهم ـ الأمة الإسلامية، والتي طغى ـ مع الأسف ـ على الإنتساب إليها، انتسابُ أكثر المسلمين وولاؤهم وتعصُّبهم لشعوبهم وقبائلهم وعشائرهم، بل ولِإحزاب ذوي مناهج كفرية جاهلية، ما أنزل الله بها من سلطان! ولا حول ولا قوة إلّا بالله، والله المستعان.

٧ ـ وفي هذه الأوضاع الإستثنائية ـ والتي صارت قاعدة لتطاولها ـ التي فرضت على الأمة الإسلامية بمختلف شعوبها، يجب على العاملين للإسلام جميعاً، العَمَلُ الجادُّ لإحياء مفهوم (الأمة) نظرياً وواقعياً في قلوب جميع المسلمين، وفي الوقت ذاته يجِبُ على كل المنتمين إلى الشعوب الإسلامية المتوزِّعة على الأقطار الإسلامية، كلّ شعب في قطرٍ على حدة، الإهتمامُ والعَمَلُ في إطار مجتمعهم الذي يتواجدون فيه، من حيث دعوتُهم والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر فيهم، وإقامةُ ما يمكن إقامته من شرائع دين الله وشعائره فيهم، وذلك لأن الميسور لا يسقط بالمعسور، وقد قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ...﴿١٦﴾﴾ [التغابن]، وقال رسول الله ﷺ: «**وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: البُخَارِيُّ برقم: (٧٢٨٨)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٣٣٧).

ثم في مرحلة لاحقة وبعد تهيئة الظروف والأجواء بإذن الله، يجب على المسلمين جميعاً، وأهل الحل والعقد منهم خصوصاً، ـ والمقصود بهم هو كل من يسمع له المسلمون ويطيعونه في حدود الشرع وابتغاء مرضاة الله تعالى ـ أن يفكِّروا في كيفية جمع وإدْماجِ تلك المجتمعات المسلمة والأقطار الإسلامية، في ظل كيان إسلامي موَحَّد على شكل دولة فيدرالية أو كونفدرالية، وذلك مع احتفاظ كل شعب وأهل بلد بخصوصياته، من لغة وأرض وأعراف وعادات، لا تتعارض مع دين الله القيم وشريعته الحكيمة العادلة.

وبهذا أُنهي الكلام في هذا الموضوع، وننتقل بإذن الله الكريم إلى المطلب السابع والأخير من هذا المبحث الأول من هذا الفصل.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## المطلب السابع:
## السّعادةُ والشقاءُ

وكذلك للمجتمع الإسلامي نظرته الخاصة للسعادة والشقاء وفهمه الخاص لهما، ولنتدبّر هذه الآيات المباركات أولاً، ثم في ضَوئِها تتجلّى لنا نظرة المجتمع الإسلامي، ويتراءى لنا فهمه للحياة السعيدة والحياة الشقية، وللإنسان السعيد المحظوظ، والإنسان الشقيِّ التعيس:

١ - ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

٢ - ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

٣ - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

ونأخذ من هذه الآيات المباركات، الحقائق الخمس الآتية، فيما يتعلق بالسعادة والشقاء:

**١: السعادة الحقيقية في هذه الحياة، لن تتحقق إلّا باتباع هدى الله تبارك وتعالى:**

وتدل على هذه الحقيقة الآية (١٢٣) من (طه)، وذلك لأن الله تعالى

يقرّر أن من اتّبع هداه، فلا يتعرض أصلا للضّلال وللشقاءِ الذي ليس سوى ثمرة الضلال الخبيثة، وعاقبته الوخيمة، فيقول: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

**٢: ولا يوجد هدىً يحقق السّعادة في هذه الحياة الدنيا، سوى هدى الله الحكيم:**

ويدل على هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [طه]، فالهدى ينبغي أن يأتي من الله تعالى وحده، وغيره سبحانه لا يملك الهداية أصلا، حتى يهدي به غيره! وتؤكد هذه الحقيقة العظمى آيات كثيرة منها:

١. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ... ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

٢. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ... ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران].

٣. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].

إذن:

**لا وجود للهداية في حياة الجن والإنس على هذه الأرض، من غير جهة الله خالقهم وربهم ومالكهم الوحيد، تبارك اسمه وتعالى جدّه ولا إله غيره، وكيف يملك الهداية غيرُ الله تعالى والذي يقدر على الهداية، يجب أن يكون له من العلم ما يعلم به أسرار السموات والأرض، وأسرار الدنيا والآخرة، وخفايا الروح والجسد، إذ الإنسان ـ وكذلك الجن ـ مكوّن من الروح والجسد، وله ارتباطات شَتّى بالسماء والأرض، والدنيا والآخرة؟!**

وإنما ذكرنا السّعادة وان لم يجر ذكرها في الآية لفظاً، لأنها ذكرت معنىً، إذْ السعادةُ عكس الشقاء، كما أن الهداية ضد الضلال، إذاً: كما أن كل من لم يضل، فهو مهتد، كذلك كل من لم يَشْقَ، فهو سعيد، إذ من

الواضح أن نفي النقيض إثبات لضدّه، كما أن إثباته نفي له، فَمَنْ قيل له: إنك لست بمسلم، فكأنه قيل له أنت كافر، وكذلك من قيل له: أنت عالِمٌ، فقد نفي عنه الجهل، وهكذا.

**٣: ولكن كل من أعرض عن دين الله وهداه، فهو شقي تعيس:**

كما صرَّحت بذلك الآية (١٢٤) من (طه): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]، وكلمة (الضنك) تفيد الضيق والشقاء والتعاسة[1]، إذ المقصود بها هو الضيق والقَلَق، وكلُّ ما هو ضدّ الطمأنينة والسكينة الروحية التي لا تَنْبُعُ إلّا من الهداية والإرتباط بالله تبارك وتعالى، ذكراً وعبادة وتقىً، وليس المقصود بها الضيق المادي ومن ناحية الرزق، وحقيقة الإنسان ولبّه وجوهره، عبارةٌ عن روحه وليس البدن للروح إلّا بمثابة اللباس للبدن، ولهذا إذا سَعِدَتْ الروح، وشَعَرت بالرَوْح والراحة والسكينة واطمأنت، انعكست السعادة والسرور والطمأنينة على الجسم والظاهر، وكذلك إذا شقيت وشعرت بالتعاسة والضيق والقَلَقِ والهلع، انعكس كل هذا على البدن أيضاً.

وإنما تسعد الروح، ويفرح القلب، وتطمئنُّ النفس، بالقرب من الله تعالى، والذي يحصل نتيجة العبادة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق]، وبواسطة الذكر، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وبخلافه، تَشْقى الروح، وتشعر بالضيق والقَلَقِ، من جرّاء البُعد عن الله تعالى، والذي يتمثل في الإعراض عن كتابه ودينه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه]، والمقصود بالذكر هنا هو كتاب الله الحاوي لدينه الحق، بدليل أن الله تعالى سمّى كتابه ذكراً في أكثر من آية، مثل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، و: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس]، وأيضاً بدليل

(١) مختار الصحاح، ص٣٨٤.

أن الله تعالى ذكر بعد الآية المذكورة قوله: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه]، وعليه: المقصود بالذكر الذي من أعرض عنه تكون له معيشة ضَنْكٌ، هو الآيات التي جرّاء نسيانها وإهمالها، يحشر الكافر يوم القيامة أعْمى!

وقال رسول الله ﷺ في نفس المعنى: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ...**» رَوَاهُ البخاري برقم: (٦٤٣٥)، وقال أيضاً: «**مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمّاً وَاحِداً، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ الله هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ الله فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه برقم: (٢٥٧) قال الشيخ الألباني: حسن.

**٤: ويتمتع المؤمن العامل للصالحات ذكراً كان أو أنثى، بالحياة الطيّبة في هذه الدنيا، ويُجزى يوم القيامة أَجْرَهُ، بحسب أحسن أعماله:**

وهذا ما صرَّحَتْ به الآية (٩٧) من (النَّحل): ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل].

والمقصود بالحياة الطيِّبة هو الحياة المعنوية الطاهرة الزكية الرضيَّة، التي يحياها المؤمن بنور الإيمان، وفي ظل التمسّك بالشريعة، وليس المقصود بها الحياة المادية المرفَّهة، قَطْعاً، بدليل:

أولاً: ان الحياة المادية المرفَّهة البعيدة عن الإيمان، لا تكون طيِّبة، بل وتكون خبيثة وملوَّثة ومُنَغَّصة ومكدَّرة! وحياة بهذه المثابة، لا يسمِّيها كتابُ الله (حياة طيِّبةً)!.

ثانياً: ان الحياة الهنيئَةِ الغنية، هي أقل شأناً من أن يَعِدَ الله تعالى بها، أهلَ الإيمان والعمل الصالح.

ثالثاً: والحياة الرغيدة المرفَّهَةُ ليست متوفِّرة ـ في الدنيا والواقع ـ لأكثر أهل الإيمان والعمل الصالح، ووعد الله يتحقق أبداً ومطلقاً ولا خُلْفَ فيه!

رابعاً: ثم ان الله تعالى يوبِّخ أقواماً يوم القيامة على استمتاعهم بالطيِّبات في الحياة الدنيا، ويقرِّر عليهم أنهم يُحْرَمون منها يومئذٍ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف]، ولا نريد أن نقول بأن التمتع بالطيِّبات في حدود الشرع حرام، لأن الله تعالى أباح ذلك، بل وأنكر على الّذين يدَّعون بأن الله تعالى حرَّم الطيِّبات، بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ... ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف]، ولكن الإباحة شيء، واعتبار الله تعالى إياها نعتاً للّذين سيجزيهم يوم القيامة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، شيء آخر!

نعم إن المقصود بالحياة الطيِّبة التي جعلها الله بإرادته الحكيمة ثمرة الإيمان والعمل الصالح، هو الحياة الإيمانية الإسلامية الطاهرة الزكية الراضية المطمئنة، التي يحياها كل مؤمن على قدر إيمانه والتزامه بشريعة الله في هذه الدنيا.

وهذا شيء واضح وواقعي لا يحتاج إلى استدلال، لأنّنا نرى المؤمن العابد لله تعالى المتقي منه، قد جعله الله تعالى بفضل إيمانه وعبادته وتقواه: واثقاً بربِّه، ومتوكِّلاً عليه، ومُسْتَسْلِماً له - أي: لشرعه - وراضياً عنه، من كل الوجوه، وفَرِحاً بفضله ورحمته، ومطمئن القلب والضمير بذكره والإرتباط به، وأيضاً نراه بفضل تمسكه بكتاب الله واتباعه لرسوله ﷺ، نَقِي القلب والسَّريرة، طاهِرَ اللسان والجوارح، نظيف الظاهر، ونراه طيِّب الكلام، حَسَنَ الفعال، كريم الخصال، خيِّراً نافعاً للناس، يعتبر الدنيا ميدان اختبار وامتحان ومسارعة ومسابقة إلى الخيرات، وينظر إليها كدار اكتساب للأجر بفعل الطاعات، والإجتناب عن المعاصي والسيئات، ولهذا لا يتوقع في حياته، راحة البال، والإخلاد إلى السكون، بل قد تحلَّى بالصَّبر والشكر، ليتخذ الصَّبْرَ جُنّةً له في مواجهة البلايا والسيئات، والشكر سياجاً لنعم الله التي يُنْعِمُ بها عليه، والحسنات التي يُيَسِّرُها له.

وإنسان كهذا يَحْيى حياة طيِّبة بحق، في هذه الدنيا، ومَنْ طابت حياته

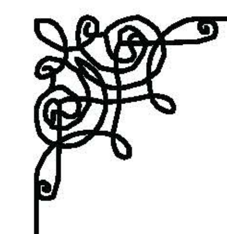
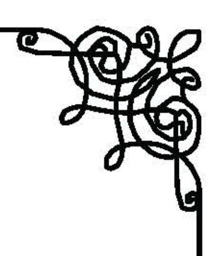
الدنيوية في ظل الإيمان والطاعة، فَسَيرحِّبُ به ملائكة الرحمن الكرام في الدار الآخرة، التي أعدّها الله تعالى للطيِّبين من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر].

**٥: والحياة الشقيّة التعيسة تُثْمِرُ لصاحبها الشقاءَ الأبديّ، المتمثّل في الخلود في جهنّم، كما أن الحياة السعيدة الطيّبة تُثْمِرُ لصاحبها السعادة الأبدية والفلاح الأخروي، المتمثّل في الخلود في الجنة:**

وهذه الحقيقة صرَّحتْ بها الآيات (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨) من (هود)، إذْ يسمّي سبحانه أهل النار بـ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ كما ويُسمّي أهل الجنة بـ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾، والظاهر أن المقصود بالسعادة والشقاء هما اللّذان اكتُسِبا في الدنيا، بسبب اتباع هدى الله، أو من جرّاءِ الإعراض عن ذكر الله، ولكن حتى لو قلنا ان المقصود بهما هو السعادة والشقاء الأخرويان، وذلك لأن السعادة المطلقة، والشقاء المطلق اللّذَيْن ذكرا في الآيتين، ليسا سوى دخول الجنة ودخول النار، نعم حتى لو قلنا بهذا القول، فالمحصِّلة النهائية لكلا القولين شيء واحد، وذلك لأن السَّعادة الأخروية الأبدية، والشقاء الأخروي، إنما يحصلان وينبعان من الحياة الطيِّبة السعيدة التي عاشها المؤمن في دنياه، والحياة الشقية التعيسة التي قضاها الكافر في الدنيا!

وهنا نختم الحديث عن هذا الموضوع، وبه نختم المبحث الأول من الفصل الأول، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً، وننتقل الآن إلى المبحث الثاني المخصص للحديث عن: قيم المجتمع الإسلامي، بإذن الله الكريم جل شأنه.



## المبحث الثاني
## قِيَمُ المجتمع الإسلاميّ

إنَّ للمجتمع الإسلامي قيماً[1] ثيرة، يتبنّاها ويَبْني عليها كِيَانَهُ، مُقتبساً إيّاها من معين شريعة الله الصافي وحده، المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يمكننا هنا إحصاء تلك القيم الرفيعة كلّها، ولكن سنشير إلى بعضها التي نرى أنّها هي أبرزُها وأهمُّها بإذن الله ومجموعها سبع عشرة قيمة، وذلك في المجالات السّبعة الآتية، كل مجال في مطلبٍ على حِدَة:

**١ ـ في مجال الإيمان.**

**٢ ـ في مجال العبادة.**

**٣ ـ في مجال العلوم والمعرفة.**

**٤ ـ في مجال الحكم والسياسة.**

**٥ ـ في مجال القضاء.**

**٦ ـ في الجانب الإجتماعي.**

**٧ ـ في مجال الجهاد في سبيل الله.**

---

(١) قِيَمْ جمع قيمة، وهي ثمن الشيء، هذا في أصل اللغة، كما في: لسان العرب، ج١١ ص٣٥٧، ولكن تُسْتَعْمَلُ كلمة (القيم) في عصرنا الحالي بمعنى الآداب الرفيعة والفضائل التي يتحلّى بها الفرد أو المجتمع، وتَشْتَمِلُ القِيَمُ الإنسانية على:
١ ـ القيم العقلية المتعلّقة بالحق.
٢ ـ القيم الأخلاقية المتعلّقة بالخير.
٣ ـ القيم الجمالية المتعلّقة بالجمال.
وقديماً عبَّر الفلاسفة عن مفهوم القيم بمصطلحاتٍ متنوّعة، فَعَبَّروا عنها بالخير، والكمال، والمثل الأعلى، والمعيار.
ينظر: (نظرية القيم في الفكر المعاصر)، د. الربيع ميمون، ص٤٦، و(القيم في الإسلام) صلاح الدين بسيوني، ص٢٨.

## المطلب الأول:
## في مجال الإيمان

إن أعظم قيم المجتمع الإسلامي على الإطلاق، وخاصة في مجال الإيمان الذي هو أساس بناء المجتمع، هو التوحيد، أي إفراد الله تعالى فكراً وعملاً، والتعامل معه على أساس كونه واحداً أحداً فرداً صمداً ـ كما هو في الواقع ـ من حيث ذاتُه، وأسماؤهُ الحسنى، وصفاتُه العُلى، وخالقيتُه، وربوبيّتُه، ومالكيته، وألوهيتهُ، وولايتهُ، وحاكميتُه.

وبما أننا قد وفَّينا هذا الموضوع العظيم ـ على ما أظن ـ حقه من البحث سابقاً، فلا نعيد ما قلناه هناك، ولكن نقول باختصار شديد:

إن المجتمع الإسلامي حقاً، هو المجتمع الّذي لا يعرف خالقاً ولا ربّاً ولا مالكاً ولا رازِقاً ولا مُحيياً ولا مُميتاً ولا مُعِزّاً ولا مُذِلاً... إلخ، إلا الله تعالى وحده الذي ليس كمثله شيء، الأحد الصَّمد الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكن له كفواً أحد، الواحد القهّار، العزيز الغفّار، ولهذا لا يعبد ربّاً وإلهاً غيره، ولا يتخذ سواه ولياً وحكماً، نعم فالمجتمع الإسلامي لا يعبد إلّا الله تعالى بالمفهوم الحقيقي الشامل لكلمة العبادة، فلا يتلقى التصورات والقيم والموازين، إلّا من الله ودينه القيِّم، ولا يقدِّم شعائر التعبّد ـ كالصلاة والصيام والحج والعمرة والدعاء والنذر والذبح ـ، إلّا له تبارك وتعالى، ولا يأخذ التشريعات ـ أي الحلال والحرام والأوامر والنواهي ـ إلّا منه سبحانه.

وهذه بعض الآيات المباركات التي أوردناها في السابق أكثر من مرة، وشرحْنا مضامينها، لذا نكتفي هنا بإيرادها فحسب:

١) ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر].

٢) ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى].

٣) ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ . . . ﴾ [الرعد].

٤) ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران].

٥) ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء].

٦) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طه].

٧) ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف].

٨) ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم].

٩) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ . . . ﴾ [البقرة].

١٠) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء].

١١) ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ . . . ﴾ [النحل].

١٢) ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة].

١٣) ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر].

١٤) ﴿. . . وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ . . . ﴾ [آل عمران].

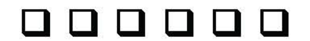
١٥) ﴿...وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ...﴾ [البقرة].

١٦) ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

١٧) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر].

١٨) ﴿...مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف].

١٩) ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ... ٢١﴾ [الشورى].



## المطلب الثاني:
## في مجال العبادة

وأعظم القيم التي تتلألأ في المجتمع الإسلامي في مجال العبادة، هما: (الإخلاص) و(الإتباع) أي إخلاص العبادة لله تعالى وتحرير العبودية والدينونة والطاعة والخضوع له، والإتّباع التام الدقيق لِرسول الله ﷺ، ولزوم سنته وطريقته في كل مجال، وخصوصاً في مجال شعائر التعبّد، التي درج بعض العلماء على تسميتها بالعبادات المَحْضة، أي: **العبادات التي لها ارتباط مباشر بالله تبارك وتعالى، وذلك لأن أي استحداث في مجالي العقيدة والعبادة، يعتبر بدعةً، والبِدَعُ كلّها ضلال وسيئة، كما سنفصّل فيه القول في الفصل الثاني من هذا الكتاب، بإذن الله، ولهذا سمّى علماءُ الإسلام كلّ الطوائف والفرق المنحرفة التي استحدثت أشياءَ في مجالي العقيدة والعبادة ـ بمعناها الخاص الذي يشمل الشعائر فقط ـ، بأهل البدع وأهل الأهواء، مثل الخوارج والمرجئة والمعتزلة والرافضة والجهمية والمبتدعين من أهل التصوّف.**

وكما أن الإبتداع يضادّ الإتّباع، كذلك الشرك بأنواعه ـ والرياء نوع منه ـ يضادّ الإخلاص في العبادة لله تبارك وتعالى، ولهذا فسّر العلماء كلمة (أحسن عملاً) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك]، بـ(أَخْلَصه وأَصْوَبَهُ) والعمل الخالص هو ما لم يُخالِطْهُ شركٌ، كما أن صواب العمل، هو الموافق للسنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وبما أننا قد تحدّثنا عن اتباع السنّة في الفصل الثالث من الكتاب التاسع، وكذلك سنتحدث عن الإشراك بالله في مجال شعائر التعبّد والإبتداع

فيه في الفصل الثاني من هذا الكتاب - كما أشرنا إليه قبل قليل - فسنؤجّل ما نرى قوله ضروريا في هذا المجال إلى هناك، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الآيات المباركة، وبعض الأحاديث الشريفة، وهي:

١) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ [الزمر].

٢) ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ [الزمر].

٣) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس].

٤) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ [الفاتحة].

٥) ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران].

٦) ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب].

٧) ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر].

٨) «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٧١٨).

٩) «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عليْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رَوَاهُ مُسْلِم برقم: (٤٥٩٠).

١٠) «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمونِي أُصَلِّي» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٦٠٥).

١١) «لِتَأْخذوا مَنَاسِكَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِم برقم: (٢٢٧٨).

❑❑❑❑❑❑



## المطلب الثالث:
## في مجال العلم والمعرفة

ويتحلّى المجتمع الإسلامي في مجال العلم والمعرفة بقيم كثيرة، ولكن لعلّ أبرزها وأهمها هذه الثلاث:

**الأولى: النظر والتفكّر والتحقيق، ونَبْذ التقليد والتعصُّب:**

نعم إن المجتمع الإسلامي، مجتمع يستخدم أجهزة الإدراك والمعرفة التي حبا الله بها البشر، وميَّزهم بها عن الحيوانات، من سمع وبصر وعقل وقلب، للكشف والإطّلاع والوصول إلى المعرفة الصحيحة، وينبذ الجمود والتقليد والتعصّب، كل ذلك تنفيذاً لأوامر الله تعالى المؤكّدة في هذا المجال، مثل:

١) ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

٢) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٣) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

٤) ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [ص].

٥) ﴿... بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ [النحل].

٦) ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾ [النمل].

وقد ذمَّ الله تبارك وتعالى أهل الكفر، على عدم التفكير واستعمال أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، في وظائفها التي خلقها الله ومنحها الإنسان للقيام بها، في آيات كثيرة منها:

٧) ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

٨) ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

٩) ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

**الثانية: عدم الإقدام على الأمور إلّا بعد علم وبصيرة:**

وكذلك المجتمع الإسلامي يسير على البصيرة، ولا يُقْدِمُ على عمل إلّا في ضوء العلم والمعرفة، ولا يقبل قولاً إلّا بدليل وبرهان، وذلك استجابة لأمر الله تعالى، وعملاً بإرشادات كتابه الحكيم مثل قوله تعالى:

١) ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

٢) ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣) ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤].

٥) ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

٦) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران].

**الثالثة: إِحترام أهل العلم والإِختصاص، والإلتزام بتوجيهاتهم:**

وكذلك للعلماء وأهل الإختصاص في كل فرع من فروع العلم، وفي كل فنٍّ من فنون المعرفة، مكانتهم الخاصة في المجتمع الإسلامي، والمجتمع يلتزم برأي أهل الإختصاص وتوجيهاتهم ويستفسرهم، فيما لا يعلمه ويسترشدهم، وذلك اتباعاً لكتاب الله وتوجهياته بهذا الصدد، مثل قوله تعالى منوِّهاً بمكانة العلماء وفضلهم:

١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

٢) ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]، أي انَّ العقلاء هم وحدهم، يَقْدِرون قَدْرَ أهل العلم، ولا يَسَوّونهم بالجهلاء.

٣) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقوله تعالى آمِراً أهل الإيمان باستفسار العلماء والرجوع إلى الخبراء:

٤) ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٥) ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء]، ويدل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وذلك بعد الأمر بإرجاع الأخبار المتعلقة بالأمن والسلم، إلى رسول الله ﷺ أو من ينوب عنه، وإلى أولي الأمر المستنبطين المستنتجين، قبل إذاعَتها ونَشْرِها، على أن بديل الإلتزام بتوجيهات أهل العلم والخُبْرة والإختصاص، إنّما هو اتِّباع الشيطان، لا غير!

## المطلب الرابع:
## في مجال الحكم والسياسة

وكذلك للمجتمع الإسلامي في مجال الحكم والسياسة الذي هو مجال جِدّ خطير وحسّاس، لأنه يؤثّر في كل الجوانب الأخرى سلباً وإيجاباً، قيمٌ جَمّة، لكن أرى أن أهمها اثنان، هما: (الحكم بما أنزل الله) و(تحقيق العدل)، ومن نافلة القول أن الحكم بما أنزل الله، يتضمّن تحقيق العدل، إذْ ليس تثبيت العدل وإقامة القسط، إلّا ثَمَرةُ الحكم بما أنزله الله تبارك وتعالى، ولكن حَسَبْناهُ كثاني أهم قيم المجتمع الإسلامي، في مجال الحكم والسياسة، اهتماماً بشأنه وإبرازاً لدوره، ومعنى الحكم بما أنزل الله والّذي أخذ من قوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة]، هو: أن المجتمع مُلْزَمٌ ـ طالما يريد أن يعتبر مجتمعاً مسلماً ـ أن يلتزم بشريعة الله المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والأحكام الشرعية التي يحتويان عليها صراحة أو ضمناً، أي: نصّاً أو استنباطاً، وذلك في كل مجالات الحياة، والتي تشملها الشريعة الحكيمة على أتم وَجْهٍ وأكمله، كما سنبين ذلك بتوفيق الله في الكتاب الحادي عشر من هذه الموسوعة، وهذه بعض الآيات المباركات بهذا الصدد:

١) ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف].

٢) ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

﴿ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ . . .وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة].

٣) ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

وأما تحقيق العدل وإقامة القسط، والذي هو ثمرة الحكم بما أنزل الله فهو ليس شيئاً زائداً عن تطبيق الشريعة وتحكيم دين الله بل يَحْصُلُ تلقائياً عندما تُطَبّق أحكام الشريعة الحكيمة، كما أنزلها الله تعالى في كتابه الحكيم، وبيّنها رسول الله ﷺ في سنته التي ليست ـ كما قلنا، سابقاً مراراً ـ سوى شرح وبيان كيفية التمسّك بكتاب الله تعالى، وتطبيق أحكامه على واقع الحياة، وهذه بعض الآيات بهذا الصدد:

١) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

٢) ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٣) ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وجَلي أن المقصود بتحقيق العدل في المجتمع الإسلامي، هو تثبيت العدل وإعْمالُهُ في كل جوانب حياة المجتمع السياسية ـ الداخلية والخارجية ـ والإقتصادية والإجتماعية، وسواء على مستوى الأفراد أو الشرائح والإثنيات القومية والدينية، وعندما تُطَبَّقُ شريعة الله الحكيمة في واقع المجتمع المسلم، يتحقق العَدْل والقِسْط[1] على كل الأصعدة، وتَزُول كل الفروق

(١) العَدْلُ ضِدُّ الجَوْر، وَعَدَّلَهُ تَعْديلاً فاعتدل أي: قَوَّمَهُ فاستقام، وعَدَلْتُ فُلاناً بِفُلانٍ: =

والإمتيازات التي تُوجِدُها الأنظمة الطاغوتية التي لا مندوحة لها، منها، كي تَتَمَكَّن من حماية المصالح اللاشرعية، لفرد أو أسرة أو قبيلة أو حزب أو قوم، على حساب بقية الجماهير، كما هو واضح ومشاهد في كافة المجتمعات التي تتحكم فيها الطواغيت، وتفرض عليها أنظمتها الجاهلية، وجلي أن الأنظمة كلَّها تعتبر جاهليةً، ما لم تستند في كليات دساتيرها وقوانينها، إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، إذ الحكم عموماً حكمان: (حكم الله) و(حكم الجاهلية)، وحكم الله يتمثل في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وكل ما عداه فهو جاهلي، لأنه نَشأ من ظنون الناس وأهوائهم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم]، وكيف لا يكون حكم من يضع للناس نظام الحياة، حكماً جاهلياً، وهو يُحلِّلُ لهم ويحرِّم، ويحدِّد المعروفات والمنكرات، من دون أن يعرف نفسه وأسرارها، فكيف بنفوس الآخرين، وهو يجهل ما تحت قدميه، فكيف بأسرار السموات والأرضين؟! وإنما تَنْضَحُ الجرَّة بما فيها، والحكم الذي يصدر عن جهلٍ، جاهلِيٌّ! وإنما اعتبر كلام الله المجيد كافة أنظمة الحكم الصادرة عن البشر، جاهليةً، لأن الذي يعلم أسرار الخلق ويحيط بما في السموات والأرض والدنيا والآخرة، ووسعت رحمته وحكمته كل شيء، هو الله الخالق فَحَسْبُ، وعليه: فحكم الله عِلميٌّ وصادر عن علم وحكمة، ولكن كل ما عداه جاهليٌّ، لأنه صادِرٌ عن جهل وظن وهوى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

---

= سوَّيْتُ بينهما، مختار الصحاح. ص٣٦٨، لفظ: ع د ل، والعدل والقِسْط متقاربان في المعنى أو متطابقان كما يقول الرازي: انظر: مختار الصِّحاح، ص٤٦٤. لفظ: ق س ط.

## المطلب الخامس:
## في مجال القضاء

وأبرز القيم التي يجسِّدها المجتمع الإسلامي في مجال القضاء والفصل في الخصومات، إثنان هما:

**(المساواة بين المتخاصمين) و(التحاكم إلى الشريعة وحدها).**

أما المساواة بين المتخاصمين، فهي وظيفة الحكام والقضاة، إذْ يجب عليهم، ما داموا يعتبرون أنفسهم مسلمين، ويحكمون بما أنزل الله تعالى، أن يُسوّوا بين الناس المتحاكمين إليهم، بغض النظر عن دينهم، وعِرْقهم ونَسَبهم ومكانتهم الإجتماعية... إلخ، وواضح أن التسوية بين المتخاصمين، هي الركن الركين للعدل بين الناس، وأما التحاكم إلى شرع الله، فهو واجب كل من ولاة الأمور، والمتخاصمين جميعاً، وذلك لأن التحاكم إلى الشريعة وأحكامها العادلة، لِفَضِّ الخصومات وحلّ المشكلات وغيرها من الحالات، من لوازم الإيمان وشروطه التي لا يتم بدونها، والتحاكم إلى غير شريعة الله، يعتبر كفراً مخرِجاً من الملّة، وناقضاً من نواقض الشهادتين، ولكن الشخص الذي ظاهره إسلامٌ، لا يُحْكَمُ عليه بالكفر، وانْ وجد فيه مكفِّر، إلّا بعد إعمال قاعدة: (ثبوت الشروط وانتفاءِ الموانع) كما قلنا سابقاً، ولتجلية أهمية التسوية بين المتحاكمين، لنتأمل هذه الآيات المباركات:

١) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

وقد نزلت هذه الآيات التسع كلُّها، للدفاع عن يهودي مُتَّهم ظُلماً، وبرَّءه الله تعالى من فوق سبع سموات، في وقت كان اليهود يَحِيكون[1] المؤامرات الواحدة تلو الأخرى ضد الإسلام والمسلمين، ولكن عدل الله المطلق الذي لا يتأثر بشيء! وقد ذكرنا قصة وسبب نزول هذه الآيات في السابق، فلا نعيدها هنا[2].

٢) ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٣) ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة].

---

(١) حاك يَحيكُ حِياكةً: نَسَجَ. مختار الصِّحاح، ص١٥٤، لفظ ح و ك.

(٢) أُنظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٨٥، ٨٦، رقم: ٣٦٠ و٣٦١. وانظر: سنن الترمذي: ٣٠٣٦، والمستدرك للحاكم: (٤/٣٨٥- ٣٨٨) وتفسير الطبري: ١٠٤١٦، والطبراني (١٩/٩- ٢١).

**وبما أننا قد خصَّصنا الفصل الثامن من الكتاب الحادي عشر، لبحث القضاء، فستتحدث هناك بإذن الله عن موضوع المتخاصمين وكيفية تحقيق العدل في مجال القضاء والفصل بين الخصومات، ونكتفي هنا بهذا القدر، إذ قَصْدُنا هنا التنبيه على القيم التي يتعامل بها المجتمع الإسلامي، وليس تفصيل الكلام عنها.**

وبالنسبة لِمَسْأَلة التَّحاكم إلى الشريعة، نكتفي بإيراد هذه الآيات المباركات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وقد ذكر المفسِّرون حول سبب نزول هذه الآيات، عدة مناسبات وحوادث تَرِدُ في محتواها، منها هذه على سبيل المثال:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يَقْضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناسٌ من المسلمين، فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾ أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ في (الكبير)

رقم: (١٢٠٤٥) وإسناده حسن، كما قال عبدالرزاق المهدي مخرِّج أسباب النزول للسيوطي، لباب النقول. وكذلك أخرجه (الواحدي)، وقال: إسناده حسن[١]، وقال الحافظ في (الإصابة): إسنادُهُ جيدٌ[٢].

وهذه الآيات المباركات واضحة الدلالة على أن كل من لم يحكم بشريعة الله تعالى عند تحاكم الناس اليه، يُعتبر طاغوتاً، وكذلك كل من تحاكم الى من لا يحكم بشريعة الله يجعل على إسلامِهِ علامة استفهام كبيرة ويَنْقُضُ إيمانَهُ بموقفه ذلك.

هذا وقد فصلنا القول في قضية وجوب التحاكم إلى شريعة الله وحدها ووجوب الحكم بما أنزل الله تعالى في الكتاب الرابع، ولهذا أوجزْنا فيه الحديث هنا، وسنتطرق إلى جوانب شتّى من هذا الموضوع المهم، والخطير في الكتاب الحادي عشر، بإذن الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



(١) أسباب النزول، للواحدي: ٣٢٨.

(٢) الإصابة، للحافظ ابن حجر (١٩/٤). وانظر: لباب النقول، للسيوطي ص٧٤، تحقيق: عبدالرزاق المهدي.

## المطلب السادس:
## في الجانب الإجتماعي

وللمجتمع الإسلامي من الناحية الإجتماعية قيم راقية كثيرة، يمتاز بها عن غيره من المجتمعات التي لا تهتدي بهدى الله ولا تلتزم بشريعته، ولعل هذه الأربع هي أبرزها وأشملها:

**(الإحسان) و(التراحم) و(التعاون) و(التكافل).**

وسنعرِّف بكل منها، باختصار في ضوء آيات كتاب الله الكريم:

**أولاً: الإحسان:**

وهذه بعض الآيات التي تتحدّث عن الإحسان والمحسنين:

١ - ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].

٢ - ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].

٣ - ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].

٤ ـ ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ٨٣ .

٥ ـ ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

٧ ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

٨ ـ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

وبعد التدبّر في هذه الآيات وأمثالها، والتي تتحدث عن الإحسان والمحسنين، نَخْلُصُ إلى نتيجةٍ مفادها:

أن الإحسان كلمة تتضمَّن مفاهيم كثيرة تدور كلّها في دائرة (إيصال النَّفع إلى الغير)، سواء كان ذلك النفع معنوياً أو مادياً، وباللسان أو بالجوارح، ويتحدّد مفهوم الإحسان حسب المقام والسياق، فالإحسان إلى الوالدين مثلاً: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ هو قبل كل شيء إكرامهما وإجْلالهما ظاهراً وباطناً، وقولاً وفعلاً، ولكن الإحسان إلى المسكين والمحتاج، هو إعانته وإسناده مالياً، بالدرجة الأولى.

وأما تفسير رسول الله ﷺ الإحسان بقوله:

**«أن تعبُد الله كأَنَّك تَرَاهُ، فإن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاك»** في الحديث المشهور بحديث (جبريل) والذي رواه مسلم[1]، فهو شرح وتوضيح لأهم جزءٍ في الإحسان، وهو الإحسان في العبادة لله تعالى، وإلّا فمهموم الإحسان ليس منحصراً في شيء معيَّن، ولم يقصد رسول الله ﷺ تعريف الإحسان تعريفاً جامعاً مانِعاً، وذلك لأن الله تعالى عرَّف المحسنين في أكثر من موضع في كتابه الحكيم، بأوصاف كثيرة، فمثلاً عرَّفهم في سورة (الذاريات) بقوله:

(١) صحيح مسلم، باب: مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالْقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ، رقم: (٨).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

ثم إن رسول الله الكريم ﷺ نفسه عمَّم مفهوم الإحسان حتى يشمل كل تصرّفات المسلم، فقال: «**إِنَّ الله عَزَّ وجل كتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كلِّ شيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحدُكمْ شفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَه**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (١٩٥٥).

نعم: الإحسان صفة يتحلّى بها المجتمع الإسلامي على مستوى الأفراد والمجموع، وهي تَصْبَغُ كل تصرُفات المجتمع بِصِبْغَتها، فيصبح المجتمع محسناً قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، عبادة وعادة... إلخ، الأفراد بعضهم مع بعض، وشرائح المجتمع وفئاته بعضها مع بعض، وولاة الأمور مع الجماهير، والجماهير مع المسؤولين، والمجتمع الإسلامي عموماً مع غيره من المجتمعات، بل ومع الحيوان والنبات والجماد!

**ثانياً: التراحم:**

وهذه بعض الآيات والأحاديث حول التراحم:

١) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

٢) ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد].

٣) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً... ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

٤) ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ... ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء]

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

٥) «لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرِنَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد برقم: (٤٩٤٣)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (١٩٢٠) قال الشيخ الألباني: صحيح.

٦) «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٥٩٩٧)، مُسْلِمٌ برقم: (٢٣١٨).

٧) «ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (٦٤٩٤)، وَالبُخَارِيُّ في التاريخ الكبير (١٩٤/٧)، وَأَبُو دَاوُدَ برقم: (٤٩٤١)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (١٩٢٤) قَال: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالحَاكِمُ برقم: (٧٢٧٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

٨ «إِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٧٠١٦)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٥٢٣).

**والتراحم تفاعل من الترحّم، والمقصود به في ضوء آيات كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، هو رقّة قلب أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، وشفقة بعضهم على بعض، وكذلك الحرص والإهتمام المتبادل فيما بينهم، وعلاقة التراحم مع الإحسان، كعلاقة الشجرة بثمرها، إذ الرحمة والشفقة هي التي تدفع الإنسان إلى الإحسان مع الغير، وكذلك الرحمة والتراحم أساس كل من التعاون والتكافل اللّذَيْنِ سنعرِّف بهما بعد بُرْهة.**

ومن الواضح أن تراحم المجتمع الإسلامي ـ وكذلك إحسانه وتعاونه وتكافُلُه ـ لا يقتصر على المسلمين فحسب، بل شامل لكل المواطنين مسلمين وغير مسلمين، بدليل الآية المباركة: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، وأرى أن المقصود بالبرّ هنا هو الإحسان المعنوي، والإقساط هو الإعانة المادية، إذْ (أقسط فلانٌ إلى فلان) أي أعطاه قسطاً وقسماً من ماله، ومعلوم أن المقسط اسم للعادل أيضاً، بعكس القاسط الذي هو بمعنى الظالم والجائر، ولكن رَجَّحْتُ المعنى الأول، لأن العدل

مع الكفار واجب في كل حال، لِذا لا ينسجم تفسير الإقساط هنا بالعدل، مع قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ لأن المسلمين إنما كانوا يتحرّجون من الإحسان مع الكفار وإعانتهم، وليس من استعمال العدل معهم، والذي هو واجب في كل الأحوال، ولا يجوز التفريط فيه أبداً.

بل ويشمل تراحم المجتمع الإسلامي حتى الحيوانات، كما يدل عليه حديثا الرسول ﷺ الَّلذَيْنِ رواهما البخاري ومسلم، والذي يتحدّث أحدهما[1]: عن اُمرأة دخلت النّار بسبب هِرَّة حبستها حتى ماتت، وثانيهما[2]: عن اُمرأةٍ بغيٍّ دخلت الجنّة بسبب رحمتها كلباً عطشاناً، فسقته بخفّها من بئر!

**ثالثاً: التعاون:**

وهذه بعض الآيات والأحاديث عن التعاون في المجتمع الإسلامي:

١) ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

٢) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

**«والله فِي عوْنِ الْعَبدِ ما كان الْعَبْدُ فِي عوْنِ أَ ـِيهِ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٢٦٩٩).

والتعاون تفاعل من العون والمقصود به أن يعاون أفراد المجتمع المسلم وشرائُحه وفئاته بعضهم بعضاً، والملاحظ أن كتاب الله قيّد التعاون في المجتمع المسلم بدائرتي (البِرّ) و(التقوى) ولم يطلقه، كما أطلق الإحسان والتراحم، والحكمة في ذلك ـ والله هو العليم الحكيم ـ هي أن الإحسان والتراحم لا يدخل فيهما الإستثناء، أو قلّما يدخل، فهما خير

(١) رَوَاهُ البُخَارِي: ٣٤٨٢، ومسلم: ٢٢٤٢.

(٢) رَوَاهُ البُخَاري: ٣٤٦٧، ومسلم: ٢٢٤٥.

وبركة في أعم الأحوال، ولكن شأن التعاون ليس هكذا، إذ قد يكون التعاون ضاراً وشراً، وبالتالي يصبح منهياً عنه، وذلك كالتعاون على الباطل والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة].

والبرُّ كلمة إذا انفردت في سياق، كما في آية البرّ (١٧٧) من (البقرة) فهي شاملة للدين كله جملة وتفصيلا، ولكن إذا اقترنت بغيرها، يتحدّد معناها بحسب ما تقترن به، فهنا وقد قرنها الله تعالى بكلمة التقوى ـ والتي هي أيضاً من الكلمات الجامعة عند انفرادها في السياق ـ فالبِرُّ يشمل كلَّ ما هو خيرٌ ونافع ومصلحة للناس، والتقوى يشمل كل ما هو مرضيٌّ لله تعالى فيما بين العبد وربِّه سبحانه، وبناءً عليه: فقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ يعني: تعاونوا فيما بينكم لتحقيق كل ما هو خيرٌ ومصلحة فيما بينكم، وكل ما هو مرضيٌّ لله تعالى فيما بينكم وبين الله تبارك وتعالى.

ولم يكتف سبحانه وتعالى بتحديد دائرتي التعاون المشروع، بل وبيَّن عكسهما وضدَّهما أيضاً، أي: دائرتي التعاون اللاّمشروع بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ والإثم خلاف التقوى، لأن التقوى هو: (حِفْظُ النفس عمَّا يُؤْثِمُ) كما قال (راغب الاصفهاني)[1] رَحِمَهُ اللهُ وكذلك العدوان هو ضدُّ البِرّ، لأن البِرّ هو إيصال الخير والنفع للناس[2]، والعدوان بعكسه، هو التجاوز على حقوقهم والإضرار بهم.

والتعاون على البرّ والتقوى، له مقام عظيم في دين الله تعالى، لأن الله تعالى جعله في سورة (الماعون) شرطاً لاعتبار الإنسان مؤمناً ومصدِّقاً بالدين، وبخلافه جعل دفع اليتيم بِشدَّة، وعدم حثُّ الناس على إطعام المسكين، والغفلة عن الصلاة والرياء، وعدم إعانة المحتاجين، أوصافاً يعرِّف من خلالها الإنسانَ المكذِّب بالدين، والدين هنا بمعنى الجزاء بدلالة السياق، ويحتمل أن يكون المقصود به دين الله الحق.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٨١.

(٢) مختار الصِّحاح، ص٥٥. لفظ: ب ر ر.

**رابعاً: التكافل:**

وكذلك التكافل من القيم الرفيعة التي يتعامل بها المجتمع الإسلامي فيما بينه، ودائرة التكافل وان كانت واسعة تسع المجتمع كلَّهُ مبدئياً، ولكن عملياً، يتحقق على الأكثر في دائرة الأسرة والأقارب وأولي الأرحام والجيران.

وهذه بعض الآيات والأحاديث حول التكافل:

١) ﴿... وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ [: النساء: ٣٦].

٢) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

٣) ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

٤) **«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ بالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وفَرَّجَ بَيْنَهُما شَيْئاً»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٥٠١٣).

٥) **«مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٠١٤)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٦٢٤).

**والتكافل: تفاعل من الكِفْل الذي هو الرعاية والإهتمام والتعهّد**[1]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ...﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران]، وقال عن زكريّا بعد أن تعهّد برعاية مريم

---

(١) مختار الصّحاح، ص٤٩٧، لفظ: ك ف ل.

والإشراف عليها بعد أمر الله تعالى إياه بهذا الشأن: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

**والتكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي، لا يقتصر على الجانب المادي وان كان هو أبرز جوانبه، بل يشمل كل الجوانب الفكرية والعملية والخلقية والمهنية والإجتماعية والسياسية والجهادية... إلخ، وخاصة في حالة الأزمات يتأكد وجوبه أكثر.**

والفرق بين التكافل والتعاون، هو أن التعاون يحصل بين طرفين أو أكثر، كل يعاون الآخر، ولكن التكافل هو التعهد والرعاية من طرف لآخر.

والفرق بينه وبين الإحسان، وان كان الإحسان في حال انفراده يشتمل عليه ـ وهذا هو السبب في استدلالنا على التكافل ببعض الآيات التي استشهدنا بها أيضاً على الإحسان ـ هو أن الإحسان كما عرَّفناه سابقاً، هو إيصال النفع للغير مطلقاً جزئياً أو كلياً مرة أو أكثر، باستمرار أو بانقطاع، ولكن التكافل هو الرعاية المستمرة والتعهد الدائم، إلى بلوغ الغاية وتحقيق الهدف، وذلك مثل: كفالة اليتيم إلى حدّ البلوغ، ورعاية مال السّفيه إلى الرشد أو أبداً، وتَعليم الجاهل إلى أن يتعلّم، ونقصد بالجاهل جاهل الدين، وجاهل العلم، وجاهل المهنة والكسب، وقد جاءت أحاديث عن رسول الله ﷺ تأمر العارفين والعالمين في المجتمع بتعليم هذه الأشياء وغيرها، لمن يجهلونها[1].



(١) أُنظر: الترغيب والترهيب، للمنذري، ج١ ص٩٨. وانظر: مجمع الزوائد، للهيثمي، ج١ ص١٦٩.

## المطلب السابع:
## في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى

وفي مجال الدفاع والجهاد في سبيل الله تعالى، هناك قيم سامية للمجتمع الإسلامي، يتميّز بها من بين كل المجتمعات البشرية قاطبة، وتعطيه شخصيته الفريدة المميّزة، ولعل أهمها هي هذه الثلاث:

**١ ـ جعل إعلاء كلمة الله تعالى، هو وحده هدف الجهاد.**

**٢ ـ اعتبار المجاهدين في سبيل الله، أفضل الناس، والشهادة في سبيل الله أعلى الدرجات.**

**٣ ـ الشجاعة والإقدام وبذل المال والنفس بِسخاء في سبيل الله.**

وسنستشهد بآيات مباركة لكل من هذه القيم الثلاث، ثم نعلّق عليها بإيجاز:

### ١ ـ جعل إعلاء كلمة الله تعالى هو وحده هدف الجهاد:

قال الله تبارك وتعالى بهذا الصدد:

١. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة].

٢. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

٣. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

٤. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

٥. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

وقال رسول الله ﷺ وقد سئل هذا السؤال:

يا رسول الله ﷺ! الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليُرى مكانُهُ، فأيُّ ذلك في سبيل الله؟! [فأجاب]: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٢٨١٠)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٩٠٤)]. نعم إن دين الله القيِّم لا يُعلن الجهاد والقتال في سبيل الله بالنفس والنفيس، إلّا لَجَعْل كلمة الله تعالى هي العليا في حياة البشر، وذلك لأن كلمة الله عُلْيا، واسمه المبارك أعلى دوْماً في كل الوجود، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ ولكن المقصود إعلاء كلمة الله في حياة الناس، وذلك بتحكيم شريعته، وجعل دينه الحق ظاهراً على الأديان والمناهج كلها، وبنشر العدل والأمن، بحيث لا يُفْتَتَنُ في دينه أحَدٌ، ولا يكرَه على الكفر أحد، ولا يُمنع من التدين بدين الله الحق أحد، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ أي: قاتلوا الكفار حتى لا تبقى لهم شوكة يستطيعون بها تعذيب أهل الإيمان، والضغط عليهم لافتتانهم عن دينهم، ويكون الخضوع لله فقط، وكلمة (الدين) هنا بمعنى الطاعة والخضوع المطلق، وليس بمعنى الإسلام، وذلك لأن الإيمان بالإسلام والإلتزام به، إنما يحصل عن طريق الإقتناع العقلي والإعتقاد القلبي الحرّ، وليس للقتال دخل في هذا، وإنما القتال لإزالة الموانع والسدود أمام الدعوة الإسلامية، ثم الناس أحرارٌ يؤمنون أو لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ... ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ

﴿كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[يونس]، وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ... ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

وجلي أن جعل غاية الجهاد: إعلاءَ كلمة الله فحسب، يجعل الجهاد الإسلامي نظيفاً طاهراً نقياً سامياً، في كيفيته وطريقته ووسائله وأساليبه وعواقبه، وذلك لأن طبيعة الغاية هي التي تحدِّدُ طريقة الوصول إليها، والوسائل والأساليب التي تتخذ وتستعمل لتحقيقها.

وشتان بين دين الله الحق، الذي يجعل غاية الجهاد والقتال إعلاءَ كلمة الله فحسب، وبين الأديان والأنظمة التي تجعل تمجيد ورفع اسم شخص أو عائلة أو قبيلة أو حزب أو شعب... إلخ، هدفها الأعلى! إذ معلوم أَنَّ إعلاءَ كلمة الله تبارك وتعالى ـ بتحكيم شريعته ـ يعود على الجميع بالخير والبركة والأمن والسلام والعدل والإحترام، لأن الله تعالى ربّ الجميع ومالكهم، وقد خلق الجميع للإبتلاء، وأعطى الجميع فرصة حياة حرة كريمة، سواء آمنوا أو كفروا، كما قال جلَّ شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن]، وقال: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

ولكن الأديان الباطلة ـ وكل منهج متَّبع في الحياة: دين، فالعلمانية بأنواعها، والإشتراكية، والرأسمالية، والليبرالية، والعولمة... إلخ، كل منها دين، ولكنه دين باطلٌ ـ عندما تتحقق أهدافها الدنيئة ومراميها الوبيئة، فسيدفع الجميع ضرائب تحكّمها وتسلُّطها، والواقع المرّ الذي تعاني منه البشرية جمعاء، في ظلّ هيمنة الأديان الباطلة، والمناهج الطاغوتية، شاهد حاضر يعاينُه الجميع! إذ جعل أتباع كل دين باطل لأنفسهم، صنماً يعبدونه من دون الله ثم كل يريد رفع وإعلاءَ اسم صنمه وإلهه على اسم غيره، فيحصل من جرّاء ذلك تنافس باطل غير شريف، لأنه في سبيل تحقيق هدف وضيع، ومن ثم تتخذ طرائق ووسائل وأساليب شيطانية خبيثة ولئيمة، ويَنْتُجُ عن كل ذلك من المفاسد والشرور، ما لا يعلمه سوى الله تعالى!

## ٢ ـ إعتبار المجاهدين في سبيل الله أفضل الناس، والشهادة في سبيل الله أعلى الدرجات:

قال الله جلَّ شأنه في هذا المجال:

١. ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ [التوبة].

٢. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران].

٣. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾ [النساء].

٤. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

ونكتفي بإيراد هذه الآيات في فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله وفي رفعة مكانة الشهداء وسمو مقامهم، وإلّا فهناك آيات كثيرة جداً في هذا المجال، وكذلك هناك أحاديث نبوية غفيرة، ولكن ننبِّه على أن المقصود بأن المجاهدين هم أفضل الناس، يعني بعد النبيِّن والصديقين، كما رتَّبهم ربُّ العزَّة بهذا الترتيب في سورة (النساء) الآية (٦٩) حيث قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء].

ومجتمع ينظر بهذه النظرة القرآنية الرفيعة إلى الجهاد والمجاهدين، والشهداء ورفعة درجاتهم، دَعْ أنه لا يَهابُ الموت والقتل في سبيل الله، بل

ويستقبله بصدر رَحْبٍ وقلب مسرور وعزم راسخ، وكيف لا يكون هكذا، مَنْ يعتقد بأن روحه ستستقرّ بمجرد الخروج من البدن ـ ما دام مجاهداً مخلصاً ـ في جنّة الله ومحل رضوانه؟! وأنه سيلقى ربّه الكريم العظيم الرحيم جلّ شأنه! وأي غاية أسْمى عند المؤمن، وأحْلى في قلبه، من لقاء الله تبارك وتعالى؟!

## ٣ الشجاعة والإقدام، وبَذْل المال والنفس في سبيل الله بِسخاء:

وهذه القيمة العليا، ثمرة القيمتين السالفتين، وهذه بعض الآيات بهذا الصدد:

١) ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

٢) ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

٣) ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

وإنما نزلت هذه الآيات بمناسبة مبايعة الصحابة رسولَ الله على الموت والجهاد في سبيل الله عام الحديبية[(١)].

هذا وقصص الصحابة ﷺ مشهورة جداً في البطولة والفِداء والإستهانة بالموت، وكان خالد بن الوليد ﷺ عندما كان قائد جيش المسلمين، يكتب

(١) أُنظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٢١٤، رقم: ٩٥٩. وتفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٢٥.

في رسائله التي يرسلها إلى قواد جيوش فارس والروم: [**أدعوكم إلى الإِسلام، فإِن أَجَبْتُمْ إليه فأنتم من المسلمين: لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإِنْ أَبيتم فالجزية، فإِنْ أبيتم، فقد أَتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم علىٰ الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم**]. وفي رسالة أخرىٰ له: [...**لأَبْعَثَنَّ إليكم قوماً يُحِبُّون الموت كما تحِبُّون أنتم الحياة**]، كما جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير[١].

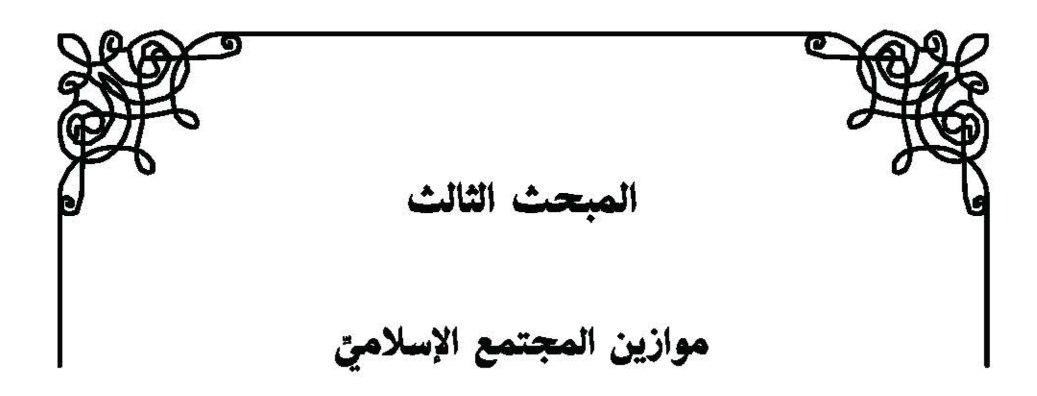
هذا ولنا عودة إلى موضوع الجهاد في سبيل الله في كافة جوانبه وبصورة أوسع، في الكتاب الحادي عشر، بإذن الله.

وبهذا نختم الحديث عن المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الكتاب العاشر، وننتقل إلى المبحث الثالث والأخير منه، بإذن الله وتوفيقه.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑




(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج٦ ص٤٢٠، ط١٤١٦هـ، دار أَبي حيّان.



# المبحث الثالث

## موازين المجتمع الإسلاميّ

كما أن المجتمع الإسلامي له تصوراته الخاصة، وقيمهُ المتميِّزة المستقاة من ينبوع شريعة الله الصافي، كذلك له موازينه التي ينفرد بها من بين المجتمعات البشرية، والتي يأخذها كذلك من ذلك الينبوع الصافي، ينبوع الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويمكن تقسيم تلك الموازين إلى أربعة أنواع:

١ ـ **نوع لمعرفة الحق والباطل، من المعتقدات والأفكار.**

٢ ـ **ونوع لتمييز المعروف من المنكر، من الأقوال والأفعال.**

٣ ـ **ونوع لفصل الحلال من الحرام، من الأشياء.**

٤ ـ **ونوع لتقييم الناس، كمجموعات وكأفراد.**

والآن سنلقي الضوء ـ ضوء كتاب الله ـ على كل واحد من هذه الموازين الأربعة، على حِدة باختصار شديد، في المطالب الأربعة الآتية بتوفيق الله تعالى:

## المطلب الأول:
## ميزان معرفة الحق والباطل

بدايةً نوضِّح أن الحق في اللغة العربية وفي استعمال كتاب الله الحكيم، هو الشيء الثابت المستقر، لكن الباطل بخلافه هو الشيء المتوهَّم، أو الزائل المتغيِّر[1]، ويدل جرس لفظ كل منهما على معناه، والمراد بكلمة (الحق) في كتاب الله هو الحقائق التي أخبر بها كتابُ الله تعالى، سواءً منها ما يتعلَّق بالمعرفة بالخالق جل جلاله وبالخلق، أو بالإيمان بأركانِهِ الخمسة، أو بالأحكام، أو بالأخلاق والسلوك، أو بأخبار الماضي، أو بأنباء المستقبل، والباطل هو كل ما يخالف ويضادُّ ما في كتاب الله، في أي جانب من تلك الجوانب المشار إليها.

ويرى المجتمع الإسلاميُّ أن المصدر الوحيد الصحيح، لمعرفة الحق والباطل في المعتقدات والأفكار، هو الله تبارك وتعالى، من خلال وحيه المعصوم المُتَجلِّي في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك لأن معرفة الحق والباطل في كل شيء، لا يَتَيسَّر الا لمن يملك العلم المحيط بأسرار الخلق كُلِّه وخفاياه، ومعلوم أن هذا العلم الشامل منحصر بالله تبارك وتعالى، خالق الخلق ومالك ورب العالمين جل جلاله، كما قال تعالى، بهذا الصدد:

١) ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب].

(١) مختار الصِّحاح، ص١٤٠، ١٤١، لفظ: ح ق ق، وص٦٢، لفظ: ب ط ل.

٢) ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ [التغابن].

٣) ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ [الفرقان].

٤) ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك].

وهذه بعض الآيات المباركات التي يعرِّف الله تعالى من خلالها الحق والباطل على مختلف الأصعدة:

١. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج].

٢. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان].

٥. ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس].

٤. ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

٥. ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس].

٦. ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝١٠٥﴾ [الإسراء].

٧. ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾ [الفتح].

٨. ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل].

٩. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر].

١٠. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

١١. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

١٢. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ].

١٣. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

١٤. ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال].

١٥. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

١٦. ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس].

١٧. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا

حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف].

وتَهَبُنا هذه الآيات الكريمات حقائق كثيرة، فيما يتعلق بالحق والباطل، ولكن نكتفي منها بهذه الخمس:

## الأولى: الله جلَّ جلاله هو وحده الخالق، الرّب، المالك، الإله الحق، وكل مَن ادّعى، أو ادُّعِيَ له شيء من الخالقية والربوية والمالكية والألوهية، فذلك الإدِّعاءُ من أبطل الباطل:

وتدلّ على هذه الحقيقة العظيمة، آيات كثيرة، منها: الآية (٦٢) من (الحج) والآية (٣٠) من (لقمان) وذلك لأن الله تعالى ذكر قبل كل من آية الحج وآية لقمان، آثارَ خالقيته وربوبيته وتدبيره، ثم قال بعد ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج]، و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان]، أي: ان الله تعالى هو وحده الخالق الرّب المالك الإله الحق، وأن كلَّ ما يُدعى سواه، باطل لا وجود له على أرض الواقع، وإنما يوجَدُ في أوهام المتوهمين فحسب، وأما الآيتان اللتان ذكرتا قبل آيتي الحج ولقمان، فَهُما على التوالي: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [الحج]، و﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان].

وكذلك ذكر سبحانه في الآية (٣١) من (يونس) سبعة من مظاهر خالقيته ومالكيته وربوبيته، وذلك بصيغة الإستفهام التقريري، وهي:

١ و٢ ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؟

٣ و٤ ـ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾؟

٥ و٦ ـ ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾؟

٧ - ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾؟!

وبما أن الإجابة على هذه الأسئلة ليست سوى واحدة، وهي: أن الله تعالى هو وحده الذي يملك هذه الأشياء، قال تعالى مخبراً عنهم، وبما هو مستقرٌ في فِطَرهم وعقولهم: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ وهناك يُلَقِّنُ سبحانه نبيه أن يقول للكفار ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾! أي: أفلا تتقون الله الذي بيده كلٍ هذه الأمور؟! ثم يأمره أن يقرِّر لهم الحقيقة التالية: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس]! أي: ليس لكم ربٌ حَقٌ الا الله تعالى، وليس ما عدا الحق سوى الضلال، إذاً: لِمَ تُحَرَّفون عن الله تعالى والعبادة له، وإنما استعملت صيغة (تُصْرفون) التي للمجهول، بدل (تَنصَرِفون) مثلاً، لتصوير مدى تمكّن الكفر والضلال منهم، فكأنّهم فقدوا إرادتهم، وأصبحوا لعبة في يد الشيطان والهوى!

**الثانية: الله تبارك وتعالى هو وحده الذي يملك الحق المطلق، وهو وحده الذي بيده الهداية للحق، سواء من جهة إنزاله إيّاها، أو من جهة التيسير لاتباعها والإهتداء بها:**

وتدل على هذه الحقيقة آيات كثيرة، منها الآية (٢٩) من (الكهف)، والآية (٣٥) من (يونس)، والآية (١٠٥) من (الاسراء)، والآية (٢٨) من (الفتح)، والآية (٧٩) من (النّمل).

وبما أنَّ دلالة تلك الآيات من الجلاء بحيث تدرك بأدنى تأمل، فلا أرى حاجة للتعليق عليها بشيء، ولكن أشير فقط إلى أن الله تعالى قال في الآية (٣٤) من (يونس) والتي هي قبل الآية (٣٥): ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس]، ومعنى هذا، أن الذي يملك الخلق ثم إعادته، هو وحده الذي يملك الهداية للحق، وهو الله تبارك وتعالى، لذا: كل من تصدّى لهذا الأمر من الخلائق، فهو يتكلّف ما ليس من شأنه، وهو متجاوزٌ لحدِّه، ولهذا عدّ الله تعالى كُلَّ الذين يدَّعون الربوبية والألوهية على البشر، سواء بلسان المقال والحال، مثل فرعون ونَمرود، حيث قال نمرود: ﴿أُحْىِۦ وَأُمِيتُ... ﴿٢٥٨﴾﴾

[البقرة]، وقال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ...﴾ [النازعات]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي...﴾ [القصص]، أو بلسان الحال والفعال فقط، كما هو شأن الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله، والمشرّعين للناس أدياناً لم يأذن بها الله، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ...﴾ [الشورى].

نعم، عدهم الله كُلَّهم شُركاء له وأرباباً مُزَيَّفةً، في أوهام المشركين وأَخْيلَتِهم.

**الثالثة: إن ديدن أهل الباطل بقيادة الطواغيت، هو رفض الحق الذي أرسل به أنبياءه عليهم السلام، واللجوء في مقابله إلى الجدال بالباطل، ثم في نهاية المطاف إلى التهديد والوعيد:**

وتدل على هذه الحقيقة كل من الآية (٥) من (غافر) والآية (٢٥) منها أيضاً، ودلالة الآيتين جلية لا تحتاج إلى توضيح، إذ يذكر سبحانه في الآية (٥) أن قوم نوح، وكل الأحزاب الكافرة من بعدهم، همّوا بالفتك والبطش بأنبيائهم، وجادلوا بالباطل لدحض الحق الذي تزول الجبال ولا يزول، فكيف يتزحزح أمام الجَدَل الباطل والسفسطة إذاً؟!

وفي الآية (٢٥) يذكر سبحانه موقف الثالوث المشؤوم: (فرعون، قارون، هامان) وكيف أنهم بعد أن جاءهم موسى بالحق الأبلج من الله تعالى، بدل الإستجابة لداعي الله تعالى، خطّطوا لذبح أبناء شعب بني إسرائيل المستضعف، والإبقاء على نسائهم للخدمة والإستمتاع!

**الرابعة: المصير النهائي لصراع الباطل مع الحق، هو زهوق الباطل واندحاره أمام الحق، ما دام الحق حقاً حقيقةً، وراعىَ أهلُهُ سُنَنَ الله تعالى، من إعداد القوة وشروط النصر:**

وتدل على هذه الحقيقة كل من الآيات:

**أ ـ (١٨) من (الأنبياء).**

**ب ـ (٤٨ و٤٩) من (سبأ).**

ج ـ (٨١) من (الإسراء).

د ـ (٥ إلى ٨) من (الأنفال).

هـ ـ (٤٧) من (الروم).

و ـ (١٠٢ و١٠٣) من (يونس).

وذلك لأن الله تعالى بيَّن في الآيات (١٨) من (الأنبياء) و(٤٨ و٤٩) من (سبأ) و(٨١) من (الإسراء) أنه من سننه الحكيمة أن يقذف بالحق على الباطل، فيصيب مَقْتَلَهُ ويُهْلِكُهُ، وأنه إذا جاء الحق إلى الميدان وواجه الباطل، يستحيل على الباطل أن يصمد بوجهه بل ينكسر ويندحر ويندثر.

وأما في الآيات (٥ إلى ٨) من (الأَنفال) فيشير سبحانه إلى الظروف والملابسات النفسية للصحابة ﷺ ـ أو لبعضهم على الأقل ـ قبيل بَدْءِ غزوة بدر الكبرى، وكيف أنهم كانوا يكرهون المواجهة ـ بتلك الحالة التي كانوا لم يتهيأوا جيداً للحرب، لأنهم خرجوا فور سماعهم نداءَ منادي رسول الله للتعرّض للقافلة التجارية لقريش القافلة[1] من الشام، بقيادة أبي سفيان ـ وكانوا يودّون أن يَغْنِمُوا القافلة، بدل أن يتواجهوا مع جيش المشركين الآتي من مكة، بقيادة أبي جهل لإنقاذ القافلة! ولكن الله تعالى أراد لهم ما كانوا يكرهونه، لما فيه من البركات والمصالح التي ما كانوا يعلمونها[2]، والتي يعبِّر عنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال].

وتستوقفنا عبارة: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، إذْ ما معنى جعل الحق حقاً، وجعل الباطل باطلاً؟ أَوَليس هذا تحصيل الحاصل؟!

---

(١) القُفُولُ: الرجوع من السَّفر، ومنه القافلة الراجعة من السَّفر. مختار الصحاح، ص٤٧٤، لفظ: ق ف ل.

(٢) أُنظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١١٤، رقم: ٤٨٦. وأخرجه الطبري في تفسيره، برقم: ٤٠٥٦، وحسَّنه الهَيْثمي في (مجمع الزوائد) برقم: ٩٩٥٠.

والجواب: كلاّ، وذلك لأن كون الحق حقا، عند الله وفي نفس الأمر، وكذلك كون الباطل باطلا، عند الله تعالى وفي ميزانه ونفس الأمر شيءٌ، وإبراز حقانية الحق، وبطلان الباطل، على أرض الواقع وفي حياة الناس، شيءٌ آخر، وهذا الثاني متوقف على تحرّك الحق ومجيئه للميدان متمثلاً بحامليه: جيش الحق وجبهته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١﴾ [الإسراء]، نعم، رَغْمَ كون الباطل زهوقاً، لكن إذا لم يأت الحق ويواجهه في الميدان ويقذفه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ [الأنبياء]، فلا يتبدّى زُهوق الباطل وبطلانُه وزَيْفُهُ، ولهذا قال جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال]، والمقصود بكلماته كما يبدو، هو أمره الشرعي بفرض الجهاد وقتال الأعداء، أي: أن المقصود بالكلمات هنا، هو كلماته الشرعية الأمرية، وليس الكلمات القدرية الخَلقية.

**الخامسة: في الآخرة وبعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، تتجلّى لِكلٍّ حقانية الله تعالى وأمره ونهيه ووعده ووعيده:**

وتدل على هذه الحقيقة، الآيات (٤٢ إلى ٤٤) من (الأعراف)، حيث يحمد أهل الجنّة ربّهم الكريم الهادي، أن هداهم ووفقهم لسلوك صراطه المستقيم ومنهجه القويم، ويُخْبِرون عن عين اليقين، بعد علم اليقين، أن رسل الله صلّى الله عليهم وسلم جاؤوا بالحق من الله تعالى، ثم ينادون أهل النّار ـ موبّخين وليس مستفسرين ـ بأنهم قد وجدوا وعد الله حقاً وثابتاً، فهل هم كذلك وجدوا وعيد الله حقا؟! فيجيبونهم: أن نَعَمْ!

## المطلب الثاني:
## ميزان تمييز المعروف من المنكر

وكذلك للمجتمع الإسلامي ميزانه الخاص الذي يَزِن به المعروف والمنكر، في مجال الأقوال والأفعال والتصرُّفات، ويُميِّز بعضه عن بعض، وذلك الميزان هو ميزان الشرع، أي الكتاب والسنة، وذلك لأن شريعة الله الحكيمة، لم تُبقِ شيئاً معروفاً، لم تأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وكذلك لم تبقِ منكراً، لم تَنْهَ عنه تحريماً أو تكريهاً وتنزيهاً.

ولتعريف المعروف والمنكر، نقول:

**المعروف: هو كل ما تعرفه الفِطَرُ والعقول السليمة، وتراه نافعاً وصالحاً، والمنكر: هو عكسه تماماً، أي هو كلُّ ما تنكره الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وتراه ضاراً وفاسِداً، وبما أن الله تعالى أنزل دينه موافقاً للفطرة ومتطابقاً معها، فما أمر الشرع بمعروف إلّا والفطرة السليمة تؤيده، والعقل الصحيح يُعَضِّدُهُ، وكذلك ما أنكره، يُوافقه عليه الفطر والعقول السليمة الصحيحة، وأما الفطر السقيمة، والعقول السخيفة، فهي نفسها بحاجة إلى العلاج والتصحيح، فأنَّى لها الإرشاد والتقويم!!** وقال تعالى في مجال تطابق دينه الحنيف مع الفطرة التي فطَر عليها الناس جميعاً:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم]، نعم إنَّ دين الله القيِّم مع الفطرة البشرية، وجهان لعمْلة واحدة، إذ الله تعالى هو وحده لَهُ الخَلْقُ والأمر، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]، فالدينُ أمرُهُ، والإنسان وفطرته خَلْقُه، وهل يمكن أن يتعارض أمرُ الله مع خلْقِهِ؟!

وهذه بعض الآيات المباركات حول المعروف والمنكر:

١ ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

٢ ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

٣ ـ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

٤ ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

كما نرى قد عرَّف سبحانه وتعالى كلاً من:

أ ـ **رسوله النبي الأمي (محمد) ﷺ.**

ب ـ **المفلحين.**

ج ـ **المؤمنين والمؤمنات.**

د ـ **الأمة الإسلامية جمعاء.**

بكونهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ومعلوم أن الأمر

بالمعروفات والنهي عن المنكرات، إنما يتأتّى لمن يعرف المعروف والمنكر ويميز بينهما، والميزان الذي تعرف به المعروفات والمنكرات، هو ميزان الشريعة، كما قلنا سابقاً، لِذا يجب على المسلمين جميعاً ـ كل حسب طاقته ـ أن يسعوا للإطلاع على شرع الله، الذي هو ميزانهم الوحيد الذي يميزون به بين المعروف والمنكر.

وجديرٌ بالذكر أن لفظي (المعروف) و(المنكر) وفي كل الآيات المشَار إليها آنفاً، بما أنهما جاءا معرّفين بالألف واللام التي هي للجنس هنا بدلالة السياق، فَلَفْظا (المعروف) و(المنكر) يستغرقان جنس المعروفات وجنس المنكرات كُلِّها، من دون استثناء شيء منهما، نعم إنَّ المعروفات التي أمر بها الشرع، وألزم المسلمين أن يأمروا بها، والمنكرات التي نهى عنها الشرع، وأوجب على أهل الإيمان النهي عنها، ليست منحصرة ـ كما يتصور كثير من الناس ـ في الجانب الأخلاقي، بل كلتاهما شاملتان لكل أنواع الأقوال والأفعال والمعاملات، في كل نواحي الحياة: **١ ـ العقدية، ٢ ـ والشعائرية، ٣ ـ والسياسية، ٤ ـ والإقتصادية، ٥ ـ والإجتماعية، ٦ ـ والثقافية، ٧ ـ والخلقية، ٨ ـ والعسكرية.**

ومَن تَتَبّع شريعة الله ودرس أوامرها ونواهيها بعمق، وصل إلى اليقين التام، بأنّه حقاً أَمَرَ دينُ الله بكل معروف (نافع وصالح)، ونهى عن كل منكر (ضارٍ وفاسد).

وهذه قائمة ببعض المعروفات والمنكرات في مختلف المجالات، ولا يسع مقامنا هذا التفصيل، لذا نكتفي لكل المجالات الثمانية المشار إليها آنِفا، بمثالين لكل من المعروف والمنكر:

**أولاً: في مجال العقيدة:**

في هذا المجال الذي هو أساس التديّن كله، أمرنا دينُ الله الحكيم:

١ ـ بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، الذي هو أعظم معروف على الإطلاق.

٢ ـ ونهانا عن الشرك أي: الإِشراك بالله في ألوهيته، الذي هو أعظم

المنكرات قاطبة، فقال تعالى في التوحيد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام]، وقال في الشرك: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزمر].

**ثانيا: في مجال شعائر التعبّد:**

وفي هذا الجانب أمرنا الشرع الحنيف:

١ ـ بتعظيم شعائر الله وإنما تُعَظم الشعائرُ بتقديمها لله فحسب، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج].

٢ ـ ونهانا عن التعبُّد الشكلي الخالي من المحتوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

وقال: ﴿فَوَيْلٞ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦﴾ [الماعون].

وواضح أنه بقدر ما هو تعظيم الشعائر، معروف عظيم، فالتهاون بها وتقديمها بشكل صُوريّ، منكرٌ قبيح.

**ثالثا: في مجال الحكم والسياسة:**

وفي هذا المجال الخطير:

١ ـ أمرنا الله تعالى وفرض علينا أن ندير شؤوننا ـ كمسلمين جماعة أو مجتمعاً ـ على أساس الشورى، والشورى أعظم معروف في مجال الحكم والسياسة، فقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

٢ ـ ونهانا عن الإستبداد والفردية والتسلّط، ببيان عاقبة المستبدين المتغطرسين المشؤومة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: عن (فرعون) مَضرَبِ مَثَلِ الإستبداد والتسلّط الفردي: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعٗا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص]، ولا شك أن الإستبداد والفردية، أعظم وأفظع منكر في مجال الحكم والسياسة.

**رابعاً: في مجال الإقتصاد والمال:**

وفي هذا المجال الحسّاس:

١ ـ أمر الله تبارك وتعالى المسلمين، بالإنفاق ومساعدة الآخرين، الذي هو أعظم معروف في مجاله، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة]، وأرى أن المقصود بالكافرين هنا، هم الّذين يكفرون نعم الله ولا يشكرونه عليها باستخدامها في مراضيه، ومراد الآية الكريمة ـ على هذا التفسير لكلمة الكافرين ـ يكون هكذا: أيها المؤمنون! أَنفِقوا من الأموال والممتلكات التي خوّلناكموها ـ على المحتاجين وفي وجوه الخير ـ قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي لا بيع فيه ولا صداقة ولا شفاعة ـ من دون إذن الله ـ والظالمون الحقيقيون يومئذٍ، هم المنكرون لنعم الله الّذين لم يشكروه في الدنيا باستعمال نعمه في مرضاته!

٢ ـ وكذلك نهى جل شأنه عن أفظع وأخطر منكر في هذا المجال وهو الرِّبا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟... ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة].

**خامساً: في الجانب الإجتماعي:**

وفي هذا المجال الواسع:

١ ـ أمر شريعة الله الحكيمة بكل من (العدل) و(الإحسان) و(إيتاء ذي القربى) والتي هي أعظم المعروفات في مجالها.

٢ ـ ونهت عن (الفحشاء) و(المنكر) و(البغي) والتي هي أيضاً أخبث وأضَرُّ المنكرات في هذا المجال، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقد وضَّحنا في السابق، مفهومَ كلٍّ من: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، فلا نعيده، وأما مفهوم ومعنى: الفحشاء، والمنكر، والبغي، والفرق بينها، فأرى أن هذه الألفاظ الثلاثة وان كانت في حالة انفراد كل منها في سياق، تتسع مدلولاتها أكثر، ولكن هنا في هذا السياق أرى ـ والله هو العليم الحكيم ـ أن لفظة (الفحشاء) تشتمل على كل الأخطاء والذنوب المرتبطة بالناحية الجنسية[1]، ولفظة (المنكر) تشتمل على كل الذنوب والمعاصي المتعلقة بالناحية العقلية والبيانية[2]، ولفظة (البغي) تشتمل على كل السيئات النابعة من القوة الغضبية في الإنسان[3].

**سادساً: في مجال الفكر والثقافة:**

وفي هذا المجال أمرنا دين الله الحق:

١ ـ بالإستماع لما عند الآخرين من علم وثقافة وفكر، ثم غربلة ما سمعناه واختيار ما هو صحيح ومفيد، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

٢ ـ ونهانا عن الجمود على الآراء والأفكار الموروثة وتقليد الأسلاف ـ ولا حاجة الى أن نقيِّد التقليد بكلمة (الأعمى) لأن التقليد لا معنى له إذا لم يكن أعمى!!ـ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف]، أجل، إنَّ تقليد الأسلاف، وإنْ تبيَّن خطأ أفكارهم وآرائهم

---

(١) لكن أهل اللغة عرَّفوا: الفُحْشَ والفحْشاء والفاحشة بكل شيء جاوز الحدَّ، وقالوا: الفُحْشُ: القُبْحُ. المصباح المنير، ص٢٤٠.

(٢) النكراء بمعنى المنكر والنُكْر: الأمر القبيح. المصباح المنير، ص٣٢١.

(٣) بَغىٰ على الناس بَغْياً: ظلم واْعتدىٰ. المصدر نفسه، ص٣٥.

واجتهاداتهم، والجمود على كل ما هو موروث وقديم، من دأب المشركين وأهل الكفر، لذا يجب أن يتجنّبه أهل الإيمان.

ومما لا شك فيه أن الإنفتاح على الآخرين، والإستماع لهم، والتسامح معهم، أعظم أو من أعظم المعروفات الفكرية والثقافية، كما أن الجمود والتقليد والتعصّب، أضرُّ المنكرات في مجال الفكر والثقافية!

**سابعاً: الناحية الخُلُقية (أي التعامل مع الناس):**

وفي هذا المجال:

١ ـ أمرنا الله تعالى بأداء الأمانة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا... ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

٢ ـ ونهانا عن الخيانة فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال]، وواضح أن الأمانة والخيانة هما طرفا نقيض، صلاحاً وفساداً.

**ثامناً: الجانب الجهادي:**

وفي هذا المجال:

١ ـ أمرنا دين الله القيّم، بإعداد ما يمكننا من قوة لإرهاب الأعداء وتخويفهم، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ... ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

٢ ـ ونهانا عن الإعتداء وتجاوز حدود الشرع، فقال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة].

ومعلوم أنّه بقدر ما يكون إرعاب الأَعداء وتخويفهم معروفاً، يكون الإعتداء عليهم وعدم مراعاة الحدود الشرعية معهم، منكراً وقبيحاً ومشوّهاً لوجه الإسلام المشرق الوضّاح.

## المطلب الثالث:
## ميزان الفَصل بين الحلال والحرام، من الأقوال والأفعال والأشياء

والميزان الوحيد الذي يميّز به المجتمع المسلم بين الحلال والحرام، ويفصل به بعضه عن بعض، هو شريعة الله تعالى، وجلي أن خالق الأشياء ومبدعها ومالكها جلّ شأنه، هو وحده يعلم العلم التام حقيقة الأشياء، والنافع منها والضار والطيب منها والخبيث، فيأمر عباده بتناول ما هو منها نافع ومفيد، وتجنّب ما هو منها ضارّ وخبيث.

وقد بيّن سبحانه وتعالى أن رسوله النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه، أحلّ للناس كلّ ما هو طيّب نافع، وحرّم عليهم كلّ ما هو ضارّ خبيث، كما قال تعالى:

﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

**نعم ما من طيّب نافع، إلّا وأحلّه الله لنا رحمةً بنا على لسان رسوله ﷺ، الذي بلّغنا كتابَ الله ووحيه الفاصل بين الحلال والحرام، وكذلك ما من ضارٍّ خبيث، إلّا وحرّمه الله علينا، رأفة بنا جلّ شأنه.**

هذا وفي مجال الحلال والحرام هناك قاعدة شرعية اتفق عليها العلماء قاطبة، لأنها مفهوم بَلْ منطوق كثير من الآيات المباركة، وهي: (الأصل في الأشياء كلها أنها حلال، الا ما دلّ الدليل الواضح على حرمته)، وهذه

القاعدة مثل قاعدة: «الأصل في الأشياء الطهارة، الا ما دلّ الدليل على نجاستها»، والآيات التي استنبط منها العلماء قاعدة حِلِّية الأشياء جميعها سوى المنصوص على حرمتها، كثيرة، هذه بعضها:

١ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا... ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة].

٢ ـ ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية].

٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً... ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان].

وبما أن الأصل في الأشياء كلّها ـ في ميزان الشريعة الربانية ـ هو الحلّية، سوى ما استثناها الدليل الشرعي الواضح، فقد أنكر الله الحكيم أشدَّ الإنكار على كل من تجاوز حدَّه، وقام بتحريم الأشياء، أو تحليلها، حسب هواه، فقال جلّت عظمته:

١. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس].

٢. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

٣. وقال تبارك وتعالى مُنبِّهاً المؤمنين وقد سولت لبعضهم أَنْفُسهم ـ كما ورد في المصادر التي تتحدث عن أسباب نزول الآيات[1] ـ اجتنابَ

(١) لُباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص١٠٢، رقم: ٤٣٢ و٤٣٣ و٤٣٤. وانظر: سنن الترمذي: ٣٠٥٤، وتفسير الطبري، ١٢٣٥٤، والواحدي في أسباب النزول، رقم: ٤١٠. وانظر: صحيح البخاري: ٥٠٧٣ و٥٠٧٤، وصحيح مسلم: =

بعض الطيبات وتحريمها على أنفسهم، زهداً في الدنيا وتقشفا في المعيشة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة].

٤. وقال تعالى آمِراً نبيَّه، أن يستفهم مستنكِراً على الكفار والمشركين الّذين كانوا يدّعون حرمة بعض الأشياء، بناءً على ظنونهم ووساوس الشياطين: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف].

**ثم بما أن الأقوال والأفعال والأشياء المباحة، من أنواع الكلام، وأنواع التصرُّفات، وأنواع الأشياء[1] المختلفة، من المناكح والمآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن، وسائر الممتلكات، كثيرة جداً، ولا يمكن إحصاؤها وضبطها للبشر، فقد حدَّد الله الحكيم ما حرَّم من هذه الأشياء[2]، لأن ضبطها أسهل لكونها معدودة، وذلك كي نعلم أنَّ ما عداها ـ أي ما عدا المنصوص على حرمتها ـ حلال وباق على أصل إباحتها الأصلية.**

وهذه أمثلة من الأشياء التي حَدَّدتها الآيات المباركة للذكر الحكيم، بكونها حراماً:

## أولاً: الأقوال والأفعال المحرَّمة:

قال سبحانه وتعالى في هذا المجال، محدِّداً أنواعاً رئيسية من الأقوال والأفعال الضارّة والخبيثة التي حرَّمها:

= ١٤٠٢، حيث ذكرا في صحيحيهما: أن عثمان بن مظعون نهاه رسول الله ﷺ عن التبتُّل، دون ذكر الآية.

(١) هنا استعمل لفظ (الأشياء) بمعناه العام الذي يشمل الإنسان والحيوان أيضاً.

(٢) وهنا استعمل لفظ (الأشياء) بمعنى شامل للأقوال والأفعال أيضاً.

أ - ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

كما نرى حدَّدت هذه الآية الكريمة، خمسة أنواع من الأفعال والأقوال المحرَّمة، وهي:

١) **الفواحش الظاهرة والباطنة**: والظاهر أن المقصود بها التصرّفات المحرَّمة المتعلقة بالناحية الجنسية، العلنية منها والسرِّية.

٢) **الإثم**: وهو كل معصية وذنب فيما بين العبد وربِّه، بدليل اقترانه هنا بالبغي، وفي سورة المائدة الآية (٢) بالعدوان، وهو قريب في المعنى من البغي، وكلاهما يقصد به التجاوز على حقوق الآخرين.

٣) **البغي بغير الحق**: أي الظلم والتجاوز على الآخرين، وأرى أن التقييد بقيد (بغير الحق) سَبَبُهُ أن ردّ العدوان والإنتقام والقصاص، وان كان تجاوزاً في الظاهر، ولكن بما أنه أجازَهُ الشرع، فهو بحق وليس حراماً.

٤) **الإشراك بالله**: وإنما وصف الشرك بقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف]، تنبيهاً على أن الشرك بالله، لا يسنده برهان ولا يؤيّده دليل، وإنما أضيف السلطان إلى الله تعالى، لأن الجهة الوحيدة التي يأتي منها البرهان على المعتقدات والأمور الغيبية، إنما هي جهة الله تبارك وتعالى فحسب!

٥) **القولُ على الله بغير علم**: وهذا يشمل كل الأقاويل والأفكار والتصورات التي تلوكها ألْسنة الناس، وتجول في أذهانهم بالنسبة لله تعالى وذاته وصفاته وأسمائه وشؤونه، من دون أن تستند إلى وحي الله تبارك وتعالى المتمثل في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

ب - ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

﴿بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام].

وهذه الآيات تتضمن الوصايا العشر، وهي عشرة أشياء يحتوي عليها عنوان: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، والملاحَظُ أن بعضها ـ حسب ظاهر الآيات ـ ليست حراماً بل هي واجبة، مثل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ ومعلوم أن المقصود بهذه الأشياء الواجبة، هو عكوسها وأضدادها، لا نَفْسُها، إذ هي ليست حراماً، بل هي واجبة، وأرى أن الحكمة في استعمال هذا الأسلوب، هي: أن التعامل مع الوالدين لا يكفي فيه أن يقال: لا تَعُقُّوا والديكم ولا تؤذوهم، بل علاوة على عدم العقوق وعدم الإيذاء، يجب البرّ والإحسان أيضاً، وكذلك بالنسبة للتعامل بالكيل والميزان، ومسألة أداءِ الشهادة، والوفاء بالعهد، لا يكفي فيها القول: لا تُطَفِّفُوا الكيل والميزان، ولا تكتموا الشهادة ولا تغيِّروها، ولا تغدروا، بل يجب في هذه الأشياء أيضاً، علاوة على عدم التطفيف، وعدم كتم الشهادة وتغييرها، وعدم الغدر ونقض العهد، إيفاءُ الكيل والميزان بالقسط، والعدل في الشهادة، والوفاء بالعهد أي إتمامه.

وبناءً على هذا: تُصْبِحُ الأشياء العَشرة المحرَّمة في الآيات الثلاث، على هذه الشاكلة:

**١ ـ إشراك أيِّ شيء بالله تعالى في العبادة له، بمعنى العبادة الشامل.**

**٢ ـ عقوق الوالدين والإساءة إليهما.**

**٣ ـ قتل الأولاد، من جرّاء الفقر والحاجة.**

**٤ ـ مقاربة الفواحش الظاهرة والباطنة.**

**٥ ـ قتل النفس التي حرَّم الله قتلها، بغير وجه حق.**

٦ ـ **التصرّف في مال اليتيم، بغير وجهِ شرعي.**

٧ ـ **عدم إيفاء الكيل والميزان.**

٨ ـ **عدم العدل في أداء الشهادة.**

٩ ـ **عدم الوفاء بالعدل.**

١٠ ـ **إتّباعُ السبل (أي الأديان والمناهج الباطلة).**

**ثانياً: النساءُ المحرّمات في مجال النكاح:**

قال سبحانه وتعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [النساء].

فالنساء المحرّمات على الرجل، هن هذه الأربعة عشر نوعاً من النساء:

(١) الأم (٢) والبنت (٣) والأخت (٤) والعمة (٥) والخالة (٦) وبنت الأخ (٧) وبنت الأخت (٨) والأم المرضع (٩) والأخت من الرضاعة (١٠) وأم الزوجة (١١) والبنت المُربّاة في الحجر، إذا تزوج الرجل أمها ودخلَ بها، ولكن بمجرّد العقد على أمها لا تحرم بخلاف الأم، حيث تحرم على الرجل بمجرد العقد على بنتها، وان لم يدخل بها (١٢) وزوجة الإبن (١٣) والجمع بين الأختين (١٤) والنساء المتزوجات المحصنات، إلّا إذا كُنَّ مملوكات.

## ثالثاً: المحرّم من الحيوانات ولحومها:

ذكر الله تعالى في أربعة مواضع من أربع سور مباركات، أنه لم يحرِّم من الحيوانات ولحومها، إلّا هذه الأربعة:

١) **الميتة** (أي الحيوان الذي مات بأي سبب من الأسباب، ولم تدركه الذكاة).

٢) **الدم المسفوح** (أي الدم المصبوب المسفوك من جسم الحيوان والمنفصل عنه).

٣) **لحم الخِنزير** (وكذلك كل شيء آخر منه، لأن الله تعالى علَّل تحريم لحمه بكونه رجساً، والخنزير كله رجسٌ، ولكن أفرد اللحم بالذكر، لأنه هو الذي يؤكَلُ منه غالباً).

٤) **ما أُهِل لغير الله به** (أي الحيوان الذي رُفِعَ الصَّوتُ عليه عند ذبحه بغير اسم الله، فَذُكِرَ اسم غير الله عليه).

**كما قال تعالى:**

أ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة].

ب - ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام].

ج - ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل].

د - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة].

ومن الملاحَظِ أن الآية (٣) من (المائدة) وبعد تعديدها المحرّمات الأربعة، كبقية الآيات من البقرة والأنعام والنحل، أضاف سبعة أنواع أخرى من المحرَّمات، وهي:

١. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

٢. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾.

٣. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾.

٤. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾.

٥. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

٦. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

٧. ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾.

ولكن بعد التأمّل في هذه السبعة، ندرك أنّها داخلة في الأربعة السابقة، وإنما ذكرت تفصيلاً وتوضيحاً لبعض أنواعها فحسب، ذلك لأن كلاً من ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أنواع من الميتة، إذ **المنخنقة**، هي الحيوان التي ماتت خَنْقاً، **والموقوذة**، هي التي ماتت بسبب الوَقْذ، وهو الضرب بعصى ونحوها، **والمتردِّية**، هي التي سقطت من علوٍّ وماتت، **والنطيحة**، هي التي نطحها غيرُها فماتت، **وما أكل السبع**، هو الحيوان والصيد الذي يأكل منه السبع، فيموت جراء ذلك.

وأما ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ فيدخلان في ﴿وَمَآ

﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ وذلك لأن ما يُذْبَحُ على النصب وهي الأصنام، لا يذكر اسم الله عليه، وحتى لو ذكر اسم الله عليه، فلا جَدْوى من ذكرٍ لساني يخالفه عمل وحال! وكذلك الحيوان الذي يُقَسَّمُ ويوَزَّع بواسطة الأزلام، والذي هو نوع من القمار المرتبط بالأصنام، أيضاً يدخل في مسمّى ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾.

ونكتفي بهذا القدر، من موضوع التمييز بين الحلال والحرام من الأقوال والأفعال والأشياء، ولكن أُنبِّه على نقطة وهي:

أن مفهوم كل من المعروف والمنكر من جانب، والحلال والحرام من جانب آخر، قد يشتمل على الآخر باعتبار، إذ كلّ حلالٍ معروفٍ، وكل معروفٌ حلالٌ، كما أن كل حرام منكرٌ، وكل منكرٍ حرامٌ، ولكن مفهوم المعروف والمنكر، بالأقوال والأفعال أليق، ولذا استعمل فيها أكثر، وكذلك مفهوم الحلال والحرام بالأشياء - بمفهومها العام - أجدر، ولذا استعمل فيها أكثر.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## المطلب الرابع:
## ميزان تقييم الناس كمجموعات وكأفراد

وكذلك للمجتمع الإسلامي، ميزانه الخاص لتقييم الناس، إِن على مستوى الأقوام والمجموعات، أو على مستوى الأفراد، وواضح أنه يجب على المجتمع الإسلامي، أن يُنْزِلَ الناس منازِلَهم، ويعامِلهم كما يليق بكل منهم، تحقيقاً للعدل وتجنّباً للجور والظلم، كما قال رسول الله ﷺ: «**أنزِلوا النَّاسَ منازِلَهُمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٤٨٤٢)، وَقَالَ الأَلباني: ضَعيف، وقالت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ﵄: «أَمَرنا رسولُ الله ﷺ أن نُنْزِل الناس منازلهم» رواه الحاكم وصَحَّحَهُ، ورواه مسلم تعليقاً[1]. وجلي أنه إنما نتمكّن من إنزال الناس منازلهم، إذا ما وزنّاهم بميزان عدلٍ، لا بَخْسَ فيه ولا شَطط، وهو ميزان كتاب الله ووحيه المعصوم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى]، والمعنى ـ كما أرى ـ هو: الله جلّ جلاله هو الّذي أنزل القرآن بالحق أي مشتملاً على الحق كله، وأيضاً لإحقاق الحق، وأنزله بالإضافة إلى الحق بالميزان، فهو حاوٍ للحق المطلق، وللميزان الدقيق، وهذا المعنى للميزان، إذا ما قرئ لفظ (الميزان) بالجرّ، لأنه حينئذٍ يكون معطوفاً على (الحق)، أو المعنى هكذا: الله الذي أنزل القرآن بالحق، وكذلك أنزل الميزان، وهذا إذا

---

(١) صحيح مسلم: المقدِّمة (ج١ص٦)، وصحّحه الحاكم في كتابه: (معرفة علوم الحديث) وقال: هو حديث صحيح. انظر: رياض الصالحين، للنووي، ص١٦٢.

قريء (الميزان) بالنصب، فيصير مفعولا ثانياً لأنزل، ومآل المعنيين واحد، لأن الله تعالى لم ينزل علينا إنزالا مباشراً من عنده سوى كتابه، وعليه: فالميزان أيضاً في كلا الحالين، داخل في القرآن، ولكن أفرد بالذكر مع اشتمال الكتاب عليه، تنويهاً بشأنه، كما قال تعالى في مقام آخر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]، ومعلوم أن لفظ الملائكة شامل لجبريل وميكال المذكورَيْن بعده، ولكن تنبيهاً على مقامهما الرفيع، خُصّا بالذكر، بعد أن ذكرا مع العموم.

هذا ويوزن الناس كمجموعات وكأفراد ويُقَيَّمون ـ حسبما تبيَّن لي بعد استقرائي لآيات كتاب الله الحكيم في هذا الموضوع ـ من خمس حيثيّات:

١) **من حيث سلامةُ أجهزة الإِدراك والمعرفة عندهم، أو تعطيلُهم لها وفسادُها.**

٢) **من حيث إيمانُهم أو كفرُهم.**

٣) **من حيث اَستقامتُهم أو إِنحرافُهم.**

٤) **من حيث إِصلاحُهم أو فسادُهم.**

٥) **من حيث فلاحُهم أو خسرانُهم.**

وقد رتبت هذه الحيثيات الخمس ترتيباً منطقياً متدرجاً، وذلك لأن الإنسان إذا سَلِمَتْ أجهزةُ المعرفة والإدراك لديه من الفساد ولم يُعَطِّلْها ـ أي عقله وقلبه وسمعه وبصره ـ، فإنه يدرك ويعرف بها الحق ويؤمن به، ومن آمن بحق اهتدى واستقام، ومن استقام في نفسه أمكنه إصلاح غيره، ومن كان صالحاً في نفسه ومصلحاً لغيره، فإنه يكون مُفْلِحاً فائزاً بإذن الله الكريم، ولكن على العكس منه: مَنْ عطَّل أجهزة الإدراك والمعرفة لديه وأفسدها، بسبب عدم استخدامها فيما خلَقه الله لها وأقْدَرها عليه، إنْ أراد صاحِبُها، مِنْ إِدْراكِ سرِّ هذا الوجود إجمالاً، وأنه له خالق ومالك يُدبِّره،

ومِنْ إدراكِ حكمة خلق الإنسان، وأَنه لم يُخْلَقْ ولم يُؤْت به إلى هذه الحياة الدنيا المؤقتة، عبثاً وسُدىً... إلخ، فإنه سيكون مآله الكفر، ومَن كفر، ضلّ وانحرف عن جادة الفطرة والشريعة، كِلْتَيْهِما، ومن انحرف وفَسَد، فَسَيُفْسِدُ غيره أيضاً، إلّا أن يكون عاجزاً، والفاسد المفسد خاسرٌ شقي.

والآن لِنُلْقِ شيئاً من الضوء على هذه الحيثيات الخمس، كلٌّ منها في فقرة خاصة، لتتوضح صور الناس أمام أنظارنا إيجاباً أو سلْباً:

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





## ١ ـ الناسُ من حيث سلامَةُ أجهزة الإدراك والمعرفة لديهم، أو فسادُها

ولنتأمَّلْ أولاً هذه الآيات المباركات، التي يعرِّف الله تعالى من خلالها كلا صنفي الناس: السالمة عقولهم وقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم، والمعطّلة الفاسدة، تلك الأجهزة المعرفية لديهم:

١. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران].

٢. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف].

٣. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ [يونس].

## الصِّنف الأول: الّذين سَلِمَ أجهزة المعرفة لديهم:

الآيات (١٩٠ إلى ١٩٤) من (آل عمران)، تمنحنا هذه الحقائق التِّسع عن هؤلاء المحظوظين:

**الأولى: إنهم أصحاب عقول سليمة، يشاهدون بها آيات الله وعلامات ربوبيته على صفحات الخلق:**

وهذا ما تبيّنه الآية المباركة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، إذ تعلن هذه الآية الكريمة أن من كان ذا لُبٍّ (عقلٍ) فهو يدرك آيات (علامات) في: السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، أو تنوّعهما، كدليلٍ على ربوبية الله تبارك وتعالى ومالكيته، لهذا العالم العجيب المليء بالأسرار، ويقرأ بوضوح على صفحات هذا الوجود المتقن الصنع: أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وشؤونه المثلى.

أَجل، كلّما كان الإنسان أكثر عقلاً وأرجح رأياً، كان أكثر شهوداً لربوبية الله تعالى لهذا الخلق، من سماوات وأرض وما تحتويان عليه، مما لا يعلمه سوى الخالق الحكيم، ومن الظواهر التي تَحْدُثُ فيهما باستمرار وتتكرَّرُ، وخصوصاً تعاقب الليل والنهار.

**الثانية: وإنهم أصحاب قلوب حيّة، ودائمة الذكر لله تعالى، وفي كل الحالات:**

وهذا ما يبيِّنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران]، فهم كما أنهم لم يعطِّلوا عقولهم عن وظيفتها الفطرية، وهي التأمل في الأشياء، وخصوصاً في هذا الخلق العجيب، ثم رَبْطِهِ بخالقه العظيم وربِّه الحكيم، كذلك لم يعطّلوا قلوبهم عن وظيفتها الفطرية، وهي حبُّ فاطرها واللهج بذكره محبةً واشتياقاً، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

**الثالثة: وإنهم يستعملون عقولهم، في التفكير في أسرار الخلق ومعرفة حِكَمها:**

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [آل عمران]، وهذا التفكر غير الأول، إذ الأول عبارة عن تأمّل إجمالي في الخلق ومظاهره ككلٍ، وربْطِه بخالقه وفاطره، ثم مشاهدة آيات وعلامات عظمة الله وخالقيته وربوبيته ومالكيته فيه، ورؤية أسماءِ الله الحسنى وصفاته العُلى ـ إجمالاً ـ على صفحات الوجود، الذي ليس سوى مرآة مجلّية لأسماءِ خالقه الحسنى، وصفات ربه العلى، وشؤون مالكه المثلى جل وعلا، ولكن هذا التفكر الثاني عبارة عن إعمال العقل في التأمل في أسرار الخلق وخفاياه، ومحاولة الإطّلاع على حِكَمِه، وإنما علمنا الفرق بين التفكُرَيْن، بسبب اختلاف نتيجتَيْهما، إذ نتيجة الأول هي معرفة الخالق جلّ جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، ولكن نتيجة الثاني هي: إدراكُ حكمة الوجود وسرّ خلقه، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران].

**الرابعة: وإنهم نتيجة التأمل والذكر والتفكر، يُدرِكون حكمة هذا الخلق ـ اجمالاًـ وأنَّ الله تعالى لم يخلقه باطلاً وعبثاً:**

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران]، أي: إنَّهم بعد تدبُّرهم في المخلوقات، وإجالَةِ عقولِهم في ميادين التفكر في أسرارها وحِكمها ودقائق صنعها، لا يرون شيئاً ولو صغيراً من المخلوقات، خُلِقَ من غير حكمة، ويُدْرِكون أن الخلق ككل لا يمكن أن يكون قد خلق من غير حكمة، وقَبْل ذلك بعد ما يعرفون شيئاً من أوصاف الله تعالى المتجلية في مرآة خلقه، يستيقنون بأن الله العظيم العليم الحكيم، لا يليق به أبداً، أن يكون قد خلق هذا الخلق من غير حكمة، إذ الخلق بالباطل والعبث، نَقْصٌ وأيُّ نقصٍ! والله تبارك وتعالى سبّوح قدُّوس، لا نقص فيه ولا قصور ولا خلل، تباركَ اسمُهُ، وتعالى جِده، ولا إله غيره.

وبما أَن التأمل في أسرار الخلق، بغية الإِطِّلاع على حِكَمِه، إنما يتم غالباً عن طريق النظر والبصر، إذاً: فهم كذلك لم يعطلوا حاسة البصر لديهم عن وظيفتها الفطرية، التي هي النظر الهادف.

**الخامسة: وإنَّهم بعد كل هذا، تستولي خشية الله وهيبته وجلاله وكبرياؤه والخوف من عقابه على قلوبهم، لذا يدعونه أن يَقِيَهُمْ من عذابه وعقابه:**

ويدل على هذا، قوله تعالى على لسان أولئك الكرام الأشراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

نعم إن عدم خلق الله الخلق باطلا وعبثاً، يستلزم وجودَ حسابٍ وكتاب وجزاء (ثواب وعقاب) ولهذا لَزِمَ الإِستنجادُ به واللجوء إليه.

فهؤلاء قلوبهم بالإضافة إلى أنها عامرة بحب الله وذكره، كذلك وَجِلَةٌ من خشيته واستشعار جلاله وعظمته وكبريائه، تبارك وتعالى.

**السادسة: وإنهمُ بالإضافة إلى خوفهم من عذاب النار، كذلك يتخوفون من الخِزي والعار الذي يلحق المجرمين من جرّاء دخولهم النّار:**

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران]، وإذا كان النّار بالدرجة الأولى يُعَذِّبُ بها الجسد، فالخزي والعار مُنْصَبٌّ على الروح بالأساس!

**السابعة: وإنَّهم يُقِرّون ويُعْلِنون، أنهم لما سمعوا منادي الله تعالى ـ وهو رسول الله ﷺ ـ ينادي للإيمان بالله، آمنوا فوراً:**

كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾ [آل عمران]، فهم كذلك لم يُعَطِّلوا أيضا سمعهم عن وظيفته الفطرية، وهي الإِستماع لنداء الحق وفهم ندائِه، ثم الإِستجابة له من غير تلكؤ.

وهذه الآيات بترتيبها الذي نراه، تدل على أن العقل والقلب والبصر، حتى قبل ورود الوحي الذي يُدْرَك عن طريق السمع فقط، يمكن أن تساعد الإنسان - شريطة استعمالها استعمالاً صحيحاً - في معرفة الله تعالى، وكونه خالق الخلق وربه، ومالك الملك، ومعرفة بعض من أسمائه وصفاته، واستشعار حبّه وتعظيمه وإجلاله، والإطلاع على كثير من أسرار الخلق وحكمه الدقيقة، ولكن هذا كله ليس إيماناً، بل يعتبر مقدمة وتمهيداً للإيمان، إذ الإيمان لا يعرف على حقيقته الشرعية المطلوبة، إلّا بعد ورود الوحي، وسماعه من رسول الله ﷺ، المبلِّغ لكلام الله ووحيه.

**الثامنة والتاسعة: وأخيراً، إنهم يسألون ربهم المغفرة والستر لذنوبهم وعيوبهم في الدنيا، وأن يحقق لهم بفضله وكرمه ما وعدهم إياه على ألسنة رسله الكرام:**

ويدل عليه قوله تعالى على لسان أولئك السعداء المحظوظين: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران].

وذلك لأنهم بعد ما يعرفون شيئاً من عظمة الله تعالى وربوبيته وألوهيته ومقامه الأرفع، يدركون أن مقام الله تعالى من الرفعة والعلوّ، بأنهم مهما بذلوا جهودهم في طاعته وعبادته، فَستَقْصُرُ طاعتهم وعبادتهم عن مقامه، وعمّا هو جديرٌ به! لِذا لا مندوحة لهم من طلب المغفرة لذنوبهم، والستر على تقصيراتهم وتفريطاتهم، في جَنْبِهِ سبحانه وتعالى.

أجَلْ، هذه هي أوصاف الّذين لم يعطلوا قواهم الإدراكية والمعرفية، من عقل وقلب وبصر وسمع، عن وظائفها الفطرية، ولهذا نالوا ما نالوا وشَرَّفهم الله بمعرفته وذكره، وإدراك حكمة خلقه، والخشية منه، والخوف من عذابه، والإيمان به، والقرب منه، والّذي يتجلّى في سؤالهم إياه، ومناجاتهم معه، وطلبهم منه خير الدنيا والآخرة!

## الصِّنف الثاني: الّذين عطّلوا قواهم الإدراكية عن وظائفها الفطرية:

وللإطلاع على أوصاف هؤلاء التعساء، تعطينا الآية (١٧٩) من (الأعراف) والآيتان (١٠٠، ١٠١) من (يونس) الحقائق الأربع التالية:

**الأولى: إنهم عطّلوا عقولَهم وقلوبهم وأبصارهم وسمعهم، عن وظائفها الفطرية:**

كما يبيّنه قوله تعالى في الآية (١٠٠) من (يونس): ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وقوله تعالى في الآية (١٧٩) من (الأعراف): ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾.

ومن الواضح أن المقصود بعدم التعقل والتفقّه والإبصار والسّمع، هو عدم التعقل والتفقّه والإبصار والسمع المؤدّي إلى إدراك حكمة هذا الخلق، ورَبْطِهِ بخالقه وفاطره ومالكه، ومن ثم اتخاذ الموقف الصّحيح تجاهه سبحانه وتعالى، المتمثل في العبادة له.

**الثانية: وإنهم كنتيجة طبيعية لتعطيلهم قواهم الإدراكية وإفسادها، أدّى بهم عملهم هذا إلى الكفر وعدم الإيمان:**

كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس]، ونوضحُ دلالَةَ الآيتين على المعنى المراد، في بَنْدَين:

**أولاً:** لا يتم الإيمان لأحد إلّا بمشيئة الله وإذنه، ويشاء الله الإيمان ويأذن بالإيمان لكل من يريده ويرغب فيه، وقرينة تلك الإرادة وتلك الرغبة، هي استعمال الشخص قواه الإدراكية في معرفة الحق، ولذلك يجعل الله رجس الكفر وعدم الإيمان على الّذين لا يعقلون، أي: الّذين لا يرغبون في الإيمان ولا يريدونه، بقرينة عدم تحريكهم قواهم الإدراكية تجاهه!

ثانياً: ان السموات والأرض مملوءتان بالآيات العجيبة والأسرار المدهشة، ولكن لمن يريد أنْ يؤمِنَ، أما الّذي لا يريد الإيمان، فلا تنفعه الآيات والنذر!

**الثالثة: وهم بموقفهم المذكور، ساووا أنفسهم بالحيوانات، بل هم أسوأ منها، لأنهم غافلون عما خلقوا من أجله، وهو العبادة لله، ولكن من يجعل نفسه حيواناً بهيماً، أنّى تكون له تلك الوظيفة الجليلة:**

ويدل على هذه الحقيقة، قوله تعالى من الآية (١٧٩) من (الأعراف): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾، وأما وجه مساواتهم بالأنعام، فهو أنه كما أن الحيوانات لا تملك من العقل والقلب والسمع والبصر، ما تدرك بها ما هو وراء الأكل والشرب والسّفاد، ولا تعلم شيئاً عن غاية الخلق وحكمة الخالق الحكيم من إيجاده، كذلك أولئك التعساء!، وأما سبب كونهم أضلُّ وأسوأ منها، فهو أن الله تعالى خلق الحيوانات ورتّب عليها وظائف غريزية، تؤدّيها على خير وجهٍ، ومن دون تفريط أو شطط، ولكن أولئك الأشقياء، بما أنهم لم يؤدّوا الوظيفة التي أوجبها الله عليهم، ولم يحققوا الحكمة التي أوجدهم من أجلها، وهي العبادة لله، لذا فهم أحطُّ منها شأناً، وأسوأ حالا ومآلا، وأيضاً لأن الله تعالى جعل الحيوان حيواناً، ولا يسعه إلّا أن يكون كما فطره الله، ولكن الإنسان خلقه الله في أحسن تقويم، وبإمكانه ألّا يجعل نفسه حيواناً، لذا إذا قلب وضعه من إنسان كريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء]، إلى حيوان بَهِيم، فهو يصير أسوأ حالاً منه.

ولكن ههنا حقيقة يجب التنبّه لها وهي: أنَّ تعطيل القوى الإدراكية، أو إبقاءَها سالمة، كلاهما في عهدة الإنسان نفسه، وهو حرٌّ في اختيار أيّهما شاءَ، ثم يتحمل نتيجة اختياره، كما قال تعالى في هذا المجال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس].

ونأخذ من هذه الآيات الحقائق الأربع الآتية، فيما نحن بصدد بحثه:

١ ـ ينسب الله تعالى كلاً: من الإيمان، وعدم الإيمان إلى الناس أنفسهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

٢ ـ ويأمر الله تعالى رسوله، أن يعلن براءته من أعمال الكفار، كما أنهم بريئون من عمله هو: ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٣ ـ ثم يبيِّن تعالى لرسوله، أن من الكفار مَنْ يستمع إليه، ومنهم من ينظر إليه، ولكن كيف يقدر هو على إسماع الصُمِّ الّذين لا يعقلون، ودلالة العمي الّذين لا يبصرون! ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤ ثم يبيِّن سبحانه وتعالى حقيقة أخرى، تُنير الحقائق السابقة أكثر، وتزيحُ حولَها ضبابَ أي إِشكالٍ محتمل، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: إن الله تعالى لم يظلمهم، إذ انطبقت عليهم سُنَّتُهُ القاضية، بأنَّ من لم يؤمن ولم يستسلم لخالقِهِ ومالكه، فإنه يُفْسِد بموقفه السلبي ذلك، ويُخرِّب قواه الإِدراكية، بل هم الّذين ظلموا أنفسهم بتعْريضها لتلك السنة الربّانية، وقد كان بإمكانهم لو أرادوا، أن تنطبق عليهم سنة ربّانية أخرى، وهي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت].

ومِمّا سبق ذكره ندرك أن بين الإبقاءِ على القوى الإدراكية سالمة صالحة، وبين الإيمان، توجد علاقة تأثير متبادل، أي: إِن سلامة القوى الإدراكية سبب لحصول الإيمان، وكذلك الإيمان بدوره يؤثر في الإبقاءِ على القوى الإدراكية سالمة، بل وتنميتها وتقويتها، ومن الجهة المعاكسة: فساد الأجهزة المعرفية لدى الإنسان، سبب للوصول إلى الكفر، ثم الكفر أيضاً

بدوره، يؤثر سلبياً في زيادة الفساد والخراب في القوى الإدراكية، وكل ذلك يجري وفق مشيئة الله الحكيمة وسننه العادلة.

**الرابعة: وأخيراً وبناءً على ما مرَّ ذكره عنهم: استحقوا بعدل الله المطلق، عذابَ جهنّم، الذي ينتظر كل جني وإنسيٍ لم يحقق حكمةَ وجوده في حياته الدنيا، ولم يؤدِّ وظيفته التي أوجبها الله تعالى عليه فيها:**

وهذا أيضاً ما صرَّح به كلام الله العظيم في الآية (١٧٩) من (الأعراف): ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف].

نعم إن كلّ ما يُخِلُّ بواجبه الذي أُوجِبَ عليه، ووظيفته الفطرية التي أوجِدَ من أجْلها، فإنه يَفْقِدُ مبرِّر وجوده وبَقائه، فالقلم الذي لا يكتب يُرْمى به، والشجرة التي لا تثمر - إذا زرعت للإثمار - تقطع وتحرق، والزوجة الناشزة تُطلق - بعد استنفاد كل الطرق الشرعية في معالجتها وعدم انصلاحها -، والزوج الناشز غير المرغوب فيه، يُخْلَعُ، والولد العاق يُطْرَد، والموظَّف الخائن يُفْصَلُ... إلخ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض.

وبناءً على ما مرَّ ذكره، نقول:

إن المجتمع الإسلامي الّذي يزن الناس أفراداً وجماعات، بميزان شرع الله، إذا ما أراد تقييم فردٍ أو أفرادٍ أو جماعةٍ أو مجموعاتٍ من الناس، ينظر إليهم أوَّل ما ينظر، إلى موقفهم من الله تعالى ورسوله ودينه القيِّم، ثم في ضوء موقفهم من الله تعالى ورسوله ودينه، يُقَيِّم شخصياتهم ويُحدِّد أوزانهم، من حيث تَمتُّعهُم بعقولٍ صحيحة أو سخيفة، وبقلوبٍ سليمة أو مريضة... إلخ، وواضح أنه ليس المقصود، بعدم سلامة وصحة قلوب وعقول الكفار، اختلالَها العضوي الظاهري، بل المقصود هو اعتلالُهَا الباطني، المتمثِّل في عدم أداء وظيفتها الفطرية، وإلّا لو اعتبروا مجانين، لوجب أن يُرفع عنهم التكليف الشرعي!

## ٢ ـ الناس من حيث إيمانُهم أو كفرهم

الحيثية الثانية التي ينظر منها المجتمع الإسلامي إلى الناس ويُقيِّمهم على أساسها، هي النظر إليهم من جهة إيمانِهم أو كفرهم، وهذا كما تحدثنا عنه باختصار، نتيجةٌ لسلامة القوى الإِدراكية أو فسادِها.

والناس من هذه الحيثية قسمان لا ثالث لهما: مؤمنون وكافرون، كما قال الله الحكيم جلَّ شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن]، ولكي نكون على بصيرةٍ من كيفية تقييم المجتمع الإسلامي، لكل من الكافرين والمؤمنين، لا بُدَّ لنا من أن نعرِّف بهم، إذْ كما قيل (الحكم على شيء، فرعٌ عن تصوّره) ولكن بما أننا قد عرَّفنا الإيمان وأهل الإيمان، في الكتاب الثاني بما فيه الكفاية، فلا داعي للتكرار هنا، ولذلك نكتفي بإيراد بعض الآيات المباركات، التي عرَّف الله تعالى من خلالها بأهل الإيمان وأوصافهم التي تدل عليهم:

١ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

٢ ـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

٣ - ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

هذا بالنسبة للمؤمنين وأوصافهم للتعريف بهم، وأما بالنسبة للكفار، فنقول:

لقد عرَّفنا الكفر أيضاً، عند تعريفنا الإيمان، في الكتاب الثاني، وكذلك سلَّطنا الضوء على كثير من صفات الكُفّار، ولكن سنعود إلى التعريف بالكفر والكافرين وأصنافهم وأوصافهم، في الكتاب الثاني عشر، ولهذا نكتفي هنا بتعداد أصناف الكافرين إجمالاً، إلى أن نتحدث عنهم ونعرِّف بهم في المستقبل تفصيلاً، بإذن الله الكريم وتوفيقه.

وأصناف أهل الكفر إجمالاً: خمسة، كما يتبيَّن لنا، بعد استقراء آيات كتاب الله الحكيم بهذا الصَّدد، وأصناف الكافرين الخمسة، هي:

١ ـ الملحدون.

٢ ـ أهل الكتاب.

٣ ـ المشركون.

٤ ـ المنافقون.

٥ ـ المرتدّون.

**وكيفية تصنيف الكفار عموماً إلى هذه الأصناف الخمسة، هي:**

١) إما أنَّهم كافرون بكل شيء، ولا يقرّون بشيء من دين الله الحق، بدأً بالله تبارك وتعالى، وإلى كل شيء آخر له ارتباط بالله العظيم الحليم، من كتب الله وأنبيائه وملائكته واليوم الآخر... إلخ، وهؤلاء في السابق، أُطلق عليهم لقب (الدهريين) و(الزنادقة)، وفي عصرنا يسمون بـ(الملاحدة) و(الماديين)، وهم في كل عصر قلة قليلة وتافهة.

٢) وإِمّا أنَّهم يَعْرِفون الله تعالى ويقرّون بربوبيته، ولكنهم لا يؤمنون بالنبيِّ الخاتم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين، وهؤلاء قسمان: قسم يؤمنون بالأنبياء الآخرين أو أكثرهم، ولكن لا يؤمنون بخاتمهم وسيدهم (محمد) ﷺ جميعاً، وقسم لا يؤمنون بأي نبيٍّ من أنبياءِ الله تبارك وتعالى، وهم قِلَّةٌ من أهل الكتاب ارتدّوا عن أديانهم المحرَّفة، من كثرة ما رأوا من الخُرافات والإنحرافات، ولم يطّلعوا على الدين الرباني الوحيد الذي بقي محفوظاً لم يُمَسّ (الإسلام)، فخرجوا عن دينهم المحرَّف، ولكن لم يلحدوا ولم ينكروا خالقية الله وربوبيته.

٣) وإِما أَنَّهم يَعْرفون الله تعالى، ولكنهم يشركون به شيئاً من مخلوقاته، وهؤلاء يسمون: (المشركين) أو (الوثنيين)، ومن هؤلاء من يعتقد

بنبيّ أو أكثر، أو لا يعتقد بأي من الأنبياء المعروفين، والبوذيون والهندوس والمجوس من هذا الصنف.

ولكن جديرٌ بالذكر أن اليهود والنصارى بهذا الإِعتبار - أي الإِشراك بالله تعالى - أيضاً مشركون وخصوصاً النصارى الذين بَنَوْا - بعد تحريف المسيحية من أساسها - دِيْنَهم النصراني كُلَّه، على الإِعتقاد الباطل بِبنوَّة عيسى ابن مريم عليه السلام، لله تعالى، ثم إضافة روح القدس أيضاً إليهما، فصارت الأقانيم المكوِّنة لربّهم ثلاثة: الآب، الإِبن، الروح القدس!! ومعلوم أن هذه الخرافة ليس من الدين الربّاني الذي أرسل الله به عيسى وكلَّ أنبيائه الآخرين عليهم الصلاة والسلام، في شيء[1]!

٤) أو أَنَّهم يعتقدون عقيدة أحد الأصناف الثلاثة المار ذكرهم، ولكن يُخْفُون عقيدتهم عن المجتمع الإسلامي، ويُظْهِرون أنفسهم كمسلمين، وهم المنافقون.

٥) أو أَنَّهم كانوا مؤمنين مسلمين، ولكنهم ارتدّوا على أدبارهم ورجعوا إلى الكفر، وهم المرتدّون.

وكما قلنا آنفاً: سنفصل القول بإذن الله وتوفيقه في التعريف بكل من هذه الأصناف الخمسة من أهل الكفر، في الكتاب الثاني عشر، وكذلك التعامل الشرعي الصحيح مع كل منهم.

والآن إلى الحيثية الثالثة، وهي:



(١) وقد زيّفنا فكرة الثالوث في الكتاب الأول، والكتاب الخامس.

## ٣ ـ الناس من حيث استقامَتُهم أو انحرافُهم

ان الإِستقامة ثمرة الإيمان، كما أن الإِنحراف نتيجة الكفر، ولهذا ذكر الله تعالى جملة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ في الموضعين الوحيدين اللَّذَين وردت فيهما بهذه الصيغة، بعد جملة: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

٢. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف].

**وكلما رسخ الإيمانُ في القلب وكمُل أكثر، كلَّما أثمرَ استقامة أفضل، وكذلك الكفر، كُلَّما كان أغلظ وأخبث، نَتَج عنه انحراف أكبر.**

إذن: فالإيمان كما أنه سبب فلاح الإنسان في الأخرى، فهو أيضاً سبب إستقامته وسلوكه السويّ في الدنيا، وكذلك الكفر، يجرُّ لصاحبه الشقاء الأخروي، وقبله الضّلال الدنيوي.

والكلمة المفضّلة في كتاب الله الحكيم للتعبير عن الإِستقامة ـ مع استعمال كلمة الإِستقامة نفسها في بعض الأحيان ـ هي كلمة (الهُدى) بصيغها التعبيرية المختلفة، كما أن كلمة (الضّلال) بصيغها المتعدّدة، اختيرت للتعبير عن الإِنحراف.

والمقصود بالإِستقامة، هو الإِلتزام بدين الله والسّير وفق شريعته، وعدم الحَيْدَةِ عنها يميناً أو يساراً، كما أن المقصود بالإنحراف، هو الحَيْدَةُ عن دين الله القيم، والميل عن شريعته الحكيمة.

وسنوضِّح بإذن الله هذه الحيثيَّة الثالثة من حيثيات نظرة المجتمع الإسلامي للناس وتقييمه لهم، في البنود السبعة الآتية، فهاكها متدرِّجة متسلسلة:

**١ ـ معنى الهُدى والضَّلال.**

**٢ ـ الله الخالق الرّب المالك جلَّ شأنه، هو وحده الهادي.**

**٣ ـ يَهتدي الإنسان أو يَضِل باختياره، ضمن مشيئة الله الكلية.**

**٤ ـ لا يمنع شيء اهتداءَ الإنسان، إن أراده، ولا شيء يفرض عليه الضلالَ، انْ لم يُرِدْهُ.**

**٥ ـ يتجلّى اهتداءُ الإنسان، في اتِّباعه لشريعة الله، ويتبدَّى ضلاله في انحرافه عنها.**

**٦ ـ حكمة تكرار الإِنسان طلب الهداية من الله تعالى، هي حاجته الدائمة إلى الهداية.**

**٧ ـ لماذا إذا اهتدى المسلمون، لا يضرّهم أعداؤهم؟!**

## ١» معنى الهُدى والضَّلال:

**خلاصة معنى كلمة (الهدى) هي: معرفة الطريق الصحيح، أو وجدان الطريق السويّ، والضلال عكس الهدى تماماً، إذْ هو عدم معرفة الطريق الصحيح، أو عدم وجدانه.**

**والهداية هي الدلالة على الطريق السويّ، والإِضلال بخلافه، هو الإنحراف بالإنسان عن الطريق الصحيح وإبعاده عنه، هذا هو معنى الكلمتين في أصل اللّغة[1].**

وقد استعمل كتابُ الله الحكيم كعادته، كلتا الكلمتين على أصل معناهما اللّغوي، ولكن قيَّد معنى الهُدى، بمعرفة صراط الله المستقيم،

(١) مختار الصِّحاح، ص٣٣٩، لفظ: ض ل ل، وص٥٤٩، ٥٩٥، لفظ: هـ د ي.

والضَّلال بافتقاده والبعد عنه، وهذه بعض الآيات المباركات، نتبيَّن من خلالها معنى الهدى والضّلال:

١. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة].

٢. ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [النور].

٣. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة]

٤. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ... ٢٧﴾ [إبراهيم].

٥. ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل].

**وقد جاءَ في كتب السِّيرة النبويّة وصحيح البخاري أن رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق رضي الله عنه لقيا في سفر هجرتهما إلى المدينة رجلاً من المشركين وهو لا يعرفهما فسألهما: مَنْ أنتما؟! فقال أبو بكر: هذا الرجل يهديني السَّبيل[1]، ففهم الرجل: أنه يقصد دلالة الطريق المحسوس، وكان قصده دلالته إياه الى صراط الله المستقيم.**

(١) صحيح البخاري: ٣٩١١، وأنظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ج١ ص٢٠٨، ٢٠٩. محمد الصّوياني.

## ٢» الله الخالق الرب المالك جلّ شأنه، هو وحده الهادي:

نعم إن الذي يَجْدُرُ بهِ ويحِقُّ له أن يتولّى هداية الناس في حياتهم الدنيا بكل جوانبها، هو خالقهم وربّهم ومالكهم عزّ وجلّ، وليس ذلك سوى الله العلي العظيم تبارك وتعالى، وذلك لأن للإنسان ارتباطات شتى بهذا الوجود: غيبه وشهادته، سمائه وأرضه، دنياه وأخراه، وكل شيء صغير أو كبير فيه، إذن: ينبغي أن يتولّى أمرَ هداية الإنسان فرداً ومجتمعاً، مَنْ هو مطّلع على أسرار الوجود كلّها، وليس ذلك سوى خالقه وربّه ومالكه، الذي لا يغفل عن خلقه لحظة، ويدبّر أمره تدبيراً لا يتأتى من غيره، وهو عليمٌ وبصيرٌ بأصغر شيء فيه، جلّ جلاله، كما قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ... ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس].

ولهذا نزل الله تعالى كتابه الحكيم تبياناً لكل شيء: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ... ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، ولا يمكن لكتاب أن يكون فيه بيان كل شيء - يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا - إلّا إذا كان مصدره مطّلِعاً على أسرار الوجود كلها، ولهذا عرّف سبحانه نفسه بقوله: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان]، وكذلك وصف سبحانه نَفْسَه على لسان (موسى) عليه الصلاة والسلام، في جواب فرعون، عندما سألهُ عن ربّه قائلاً: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه]، وعليه:

فالله تعالى هو وحده خلق كل شيء، وهو وحده كذلك القادر على هداية كل شيء، إلى وظيفته التي خَلَقَهُ من أجلها، وكذلك عرّف ربوبيته في سورة (الأعلى) بأربعة أشياء هي: (١ - الخلق، ٢ - التسوية، ٣ - التقدير ٤ - الهداية) حيث قال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي

﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى]، وهذا هو السرُّ في أن الله تعالى لم يعتبر الحجة قائمة على البشرية، إلّا بإنزال كتبه الحاوية على الهدى التام، والحق المطلق، عن طريق رسله المبشرين، لِمُتَّبِعِي الهدى والمُنذِرين لسالكي طريق الضلال، فقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وكذلك هذا هو السرُّ في أن الله تعالى سمّى حُكْمَهُ ودينه الحقَّ الصادرَ عن علمه المحيط وحكمته المطلقة، بالحق، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...﴿٢٨﴾﴾ [الفتح]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ...﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]، وسمّى حُكْم غيره، وكُل الأديان سوى الإسلام، باطلاً وضلالاً وجاهلية، فقال: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ...﴿٣٢﴾﴾ [يونس]، وقال: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ...﴿٥﴾﴾ [غافر]، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وأيضاً هذه هي حكمة تحريم الله تحريماً مطلقاً أن يتصدى أحد من البشر ـ أو الجن ـ لتشريع الدين والمنهج للناس، واعتبار كُلِّ مَنْ يُشرِّع للناس من عنده وحسب اشتهائِه، جَعْلِهِ نَفْسَهُ شريكاً لله، واعتبار التابعين لدينه وشرعه مشركين بالله تعالى، كما قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى]؟!، وعلى هذا الأساس، حَسَبَ الرب الحكيم تبارك وتعالى، اليهودَ والنصارى المتَّبعين لأحبارهم ورهبانهم المشرِّعين لهم، عباداً لغير الله تعالى، ومتخذين من دونه أولياء وأرباباً! كما قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وبعد استقراء آيات كتاب الله الحكيم، يتبيَّن لنا أن هداية الله تبارك وتعالى ثلاثة أنواع، أو على ثلاث درجات، هي:

**الأولى: هِداية عامة لجميع المخلوقات:** وتدل على هذا النوع من الهداية، أو تبيِّن هذه الدرجة الأولى منها، الآية (٥٠) من (طه): ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾، والآيات (١، ٢، ٣) من

(الأعلى): ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾، والآية (٦٨) من (النحل): ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾، ويتمثّل هذا النوع من هداية الله تعالى لكافة مخلوقاته، في سننه التي وضعها في خلقه، والتي يَسيرُ كلُّ مخلوقٍ وفقها.

**الثانية: هداية خاصّة للجن والإنس عموماً:** وتدل على هذا النوع من هداية الله تعالى، الآية (١٨٥) من (البقرة): ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، والآية (٩٦) من (آل عمران): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦﴾، والآيتان (١٢، ١٣) من (الليل): ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾، والآية (٥٢) من (الشورى): ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

**الثالثة: هداية أخص لأهل الإيمان والتقوى:** وتدل على هذه الدرجة الخاصة من الهداية، الآية (٥٧) من (يونس): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾، والآية (١) من (البقرة): ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]، والآية (٥٤) من (الحج): ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾.

وهناك بعض الآيات يُعْلِنُ فيها تعالى، أنه يَحْرِمُ الكافرين من هدايته، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ ... ۝١٠٤﴾ [النحل]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل].

ويُخيَّل إلى النظر السطحيِّ، أن بين هاتين الجملتين القرآنيتين، وبين الآيات السابقة التي أعلنتْ أن هداية الله المتمثلة في القرآن، والنبي ﷺ، والكعبة، عامةٌ لجميع الناس، تصادماً وتناقضاً! ولكن ليس الأمر كذلك، وذلك لأن هاتَين الآيتين - أو الجملتين القرآنيتين - المقصود بالهداية فِيهما، هو الهداية الخاصة بأهل الإيمان والتقوى، ومن الواضح أن هذا النوع من

الهداية، غير الهداية العامة التي تتحدث عنها الآيات الأخرى، ومن الجلي أن حرمان الكافرين من الهداية الخاصة بأهل الإيمان، لا ينافي تمكنهم من الهداية العامة التي تعم الجن الإنس، ولكن من أعرض عن هداية الله العامة المتمثلة بالقرآن، حَرَمَهُ الله من هدايته الخاصة، ومن استجاب لهداه العام، أتحَفَهُ بهداه الخاص كذلك، كما قال تعالى عن قوم (ثمود) الرافضين لهداية الله العامة: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ... ﴿١٧﴾﴾ [فصلت]، وقال عن أهل الإيمان المستجيبين لهداية الله العامة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد]، وهداية الله الخاصة، تتمثل في توفيق الله تعالى وتيسيره وتثبيته لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ... ﴿٣٥﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل]، وقال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

## ٣» يَهْتَدِي الإنسان أو يَضلُّ باختياره، ضِمن مشيئة الله الكلّية:

لقد ذكرنا سابقاً أن الله تعالى ابتلاءً منه للإنسان، أعطاه من بين المخلوقات كلّها ـ وكذلك الجن ـ إرادة حرّة يختار بها ما يشاء، وينتخب بها أيّهما أرادَ: الهدى أو الضلال، كما قال تعالى:

١. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان].

٢. ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

٣. ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم].

ويتبيَّن من هذه الآيات بوضوح:

**أولاً: أنَّ الإنسان قادرٌ على تعيين مصيره بنفسه، وبإرادته الحرة، وأن يختار الشكر لله، أو الكفران بحقه.**

**ثانياً: وأن مسؤولية كل إنسانٍ منوطة بعنقه، ويوم القيامة يُخرج له كتابُه، ويَشهَدُ هو على نفسه.**

**ثالثاً: وأنه سواء اهتدى بهُدى الله أو ضلَّ عن طريقهِ، فلنفسه يهتدي، ويعود نفع اهتدائه إليه فحسب، وكذلك يَضِلُّ على نفسه ولا يَضُرُّ بضلاله سواه!**

**رابعاً: وأن الله تعالى ببعثه الرسل، قد أرسل هدايته للجميع، ولكن البشر هم الّذين يَقبَلون هداية الله أو يرفضونها، ولم يشأ الله أن يؤمِنَ الناسُ إلّا باختيارهم**، ولهذا فمن لم يرغب في هداية الله، لَيس بوسع أحد، حتى رسول الله الخاتم ﷺ أن يُسْمِعَهُم الحقَّ ويريهم إياه.

ولكن كل هذا لا يعني أنَّ الإنسانَ حُرٌّ حريّةً مطلقة، وليس فوق إرادته إرادة! كلاّ، بل ليست إرادة الإنسان الجزئية إلّا مخلوقاً من مخلوقات الله التي لا تتحرك إلّا ضمن دائرة مشيئة الله العامة، وتحت هيمنته، كما قال تعالى:

١. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

٢. ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].

نعم، عندما يشاء الإنسانُ أَنْ يستقيم على جادة الشريعة، وصراط الله المستقيم، إنما يفعل ذلك بالمشيئة الحرة الجزئية التي وهبها الله إيّاه، وكذلك عندما يريد التذكُر، إنما يختاره بتلك الإرادة التي أعطاها الله إياه، وليس هذا في مجال الطاعة فَحَسْبُ، بل هو كذلك في مجال المعصية،

وربما يظن البعض، أن هناك تصادماً بين المشيئة الربانيّة الكلية، والمشيئة الإنسانية الجزئية، ثم يستنتج من ذلك بأن الإنسان في النهاية ليس بيده شيء، وذلك لأن المشيئة الربانيّة المطلقة لا يقف أمامها شيءٌ، وبالتالي ليس الإنسانُ سوى دُمْيةٍ تحركُها المشيئة الربّانيّة!

ولكن ليس الأمر كما ظن، وسنوضح هذه المسألة، في البند التالي بإذن الله تعالى.

## ٤» لا يمنع اهتداءَ الإنسان شيءٌ إن أراده، ولا شيء يفرض عليه الضلال، إن لَم يشأهُ:

ولنتأمَّلْ هذه الآيات بهذا الصَّدد:

١. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ... ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة].

٢. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ... ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

٣. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

٤. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

٥. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ... ﴿٣١﴾﴾ [المدثر].

٦. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد].

٧. ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

٨. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ

مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة].

٩. ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

١٠. ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام].

١١. ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس].

١٢. ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر].

**ونأخذ من هذه الآيات المباركات، الحقائق الثماني الآتية:**

**الأولى:** أما الآيات: (١٨٥) من (البقرة) و(٥٢) من (الشورى) و(١٠٧) من (الأنبياء)، فيعلن الله تعالى فيها، أن القرآن هدىً للناس جميعاً من دون استثناءِ أحد، إذاً: مَن أراد الهداية، فها هو مصدر الهداية في متناول يده بلا مانع! وكذلك يعلن فيها أن رسول الله ﷺ، يهدي الجميع إلى صراط الله المستقيم، وأنه رحمته المهداة للعالمين جميعاً!

**الثانية:** وفي الآيتين (١٢٣، ١٢٤) من (طه) خاطب الله كلاً من: آدم وحوّاء عليهما السلام، وابليس، وذريتهم من ورائهم، أنه سيرسل لهم هدايته على الأرض، ثم نسب كلاً من الإهتداء والإعراض إليهم هم، مُرتِّباً النتائجَ على كل من الإهتداءِ والإنحراف.

**الثالثة:** وفي الآية (٣١) من (المدثر) يعلن سبحانه وتعالى أنَّ مَنْ شاءَ ضلالَه، أضلَّه، ومن شاءَ هدايته، هداه!

وهھنا مكان العُقْدَة التي نبحث عن حَلِّها، وإنما تَنْحلّ تلك العقدة، إذا علمنا كيفية هداية الله للناس وإضلاله لهم، أي كيْفَ ولماذا وعلى أيِّ أساس يُضِلُّ بعضَ الناس، فيكون مصيرهم الشقاء الأبدي، ويهدي بعضهم الآخر، فَيُفْلِحون فلاحاً لا شقاءَ بعده؟! وقد أجاب كلامُ الله الحكيم على هذا السؤال بوضوح، كما يأتي توّاً:

**الرابعة:** حيث بين الله تعالى في الآية (٢٧) من (الرعد)، أنه يهدي إليه مَنْ رجع إليه: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ وفي الآية (٢٧) من (إبراهيم) بيَّن أنه يضل الظالمين: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي الآيتين (٢٦ و٢٧) من (البقرة) بيَّن أنّه لن يُضِلَّ بأمثال القرآن سوى الفاسقين الناقضين لعهد الله والقاطعين لما أمر به أن يوصل، والمفسدين في الأرض، ومن الواضح أن كلاً من الإِنابة التي هي أساس التوبة وروحها، والظلم والفسقِ ونقض العهدِ وقطع الصِّلة والإفساد، أعمال يقوم بها الإنسانُ بإرادته ويختارها بنفسه، وعليه:

فمن أناب إلى الله تعالى وتاب إليه، هداه الله إليه، ولكن من ظلم وفسق ونقض العهد وقطع الصلات، التي أمر الله بوصلها وأفسد في الأرض، أضلَّه الله من جرّاءِ أعماله تلك !

**الخامسة:** وفي الآيات (١٨ و١٩ و٢٠) من (الإسراء) بيَّن الله تعالى أنه يُمِدُّ ويُعين كلاً من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ ومعنى هذا الكلام المبارك الحكيم: أن الإنسان أينما اتَّجه بِمَشيئتِهِ الحرة، صَوْبَ الدنيا أو الآخرة، فالله تعالى يُمِدُّه ويُعطِيه من عطائِه، وعطاؤه ليس عليه حَجْرٌ تجاه أحد من الناس، بِغَضِّ النظر عن إيمانهم وكفرهم.

والملاحظ أن الله تعالى قال: ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل: (من رحمة ربّك)، لأن العطاءَ يشمل كلّ ما يحبه الناس عامة، بغض النظر عن كونه شراً أو خيراً، باعتبار الحقيقة، والله تعالى جعل عامة الناس مشمولين بعطائِه وإِمْداده، كل حسب جهده المبذول، كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَن لَّيْسَ

لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم]، ولكنه خصَّ أهل الإيمان برحمته (الخاصة) وفضله، ولهذا قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف].

**السادسة:** وفي الآية (١٥٢) من (الأنعام) يَنسِبُ سبحانه وتعالى شرح صدور المؤمنين، وتَضييقَ صدور الكافرين إلى نفسه، لأنهما بمشيئته، ولكنه في آخر الآية، يبيِّن أنه إنما يضيِّق صدور الّذين يرفضون الإيمان فقط.

**السابعة:** وفي الآيتين (٩٩ و١٠١) من (يونس) يبيِّن الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ، أنه لم يشأ بداية أن يُكرِهَ الناس على الإيمان، فيؤمنوا مُكْرَهين ومجبولين على الإيمان، وإلّا لآمن كل من في الأرض، ولم يتخلّف منهم أحد، وذلك لأن مشيئة الله تعالى، لا يمكن أن يشذَّ عَنها شيء، إذا توجّهت إليه، وكيف يستعصي المخلوق على الخالق جلّ شأنه! ثم يقول له - أي للنبي الخاتم ﷺ -: أَوَ إذْ لم أكْرِهْ أنا عبادي على الإيمان، ولم أُرِدْ منهم أن يؤمنوا مَجْبرَين، بل أردتُ منهم الإيمانَ الإختياري، وأنا خالقهم وربُّهم! أأنت تريد أن تُجبِرهم على الإيمان - شفقة منك عليهم -؟!.

ثم يبيِّن جلَّ شأنه، أنّه توجد كثرةٌ من الآيات والبراهين في السموات والأرض لمن رَغِبَ في الإيمان، ولكن مَنْ لم يُرِدْ أن يؤمن، لا تنفعه الآيات والنذر: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس].

**الثامنة:** وفي الآية (٣٧) من (المدثر) بيّن سبحانه أنَّ كلاً من التقدّم إلى طاعة الله ورضوانه، والتأَخُّر عنهما، إنما هو بيد الإنسان نفسه وطَوْعَ إرادته، فَلْيختر أيّهما شاءَ، ولكن يجب أن يتحمَّلَ أيضاً نتيجة اختياره.

وهكذا تَوَضَّح لنا الآن، في ضوء آيات كتاب الله المبارك، أنه فعلاً،

لا يمنع شيءٌ اهتداءَ الإنسان إنْ أراده، ولا يجبِره شيءٌ على الرضوخ للباطل والضلال، انْ لم يَخْتَرْهُ بنفسه.

## ٥» يتجلَّى اهتداءُ الإنسان في اتباعه لشريعة الله، ويتبدَّى ضلاله في انحرافه عنها:

ولنتأمل هذه الآيات في هذا المجال:

١. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)﴾ [الجاثية].

٢. ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ [البقرة].

٣. ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾ [الملك].

٤. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ [الأنعام].

وتهبنا هذه الآيات الحقائق الأربع الآتية، فيما نحن بصدد بحثه:

**الأولى:** يفهم من الآية (١٨) من (الجاثية) أَن الإنسان بين خيارين اثنين لا ثالث لهما، فهو إمّا أن يتبع الهُدى، وامّا أن يهوي في هاوية الهَوى، إمّا شريعة الله الحكيم العليم جلَّ شأنه، وامّا أهواءُ الّذين لا يعلمون، والّذين لا يعلمون هم كل البشر الّذين يلتمسون الهداية من غير دين الله، ولو أن البشر كان بوسعهم تنظيم حياتهم الأرضية وإدارتها بمعزلٍ عن الوحي، كما هو لائق بحامل أمانة الله المخلوق في أحسن تقويم، ووفق الحكمة التي خلقهم الله تعالى لها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات]، لما أرسل الله تعالى رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام،

ولَما أنزل كتبه إليهم، بل تركهم وشأنهم يدبِّرون أمورهم بأنفسهم!

**الثانية:** ويفهم من الآية (١٢٠) من (البقرة) أن هدى الله الكريم، هو العلم الحق الوحيد، الذي يستحق أنْ يُسْلِمَ إليه الإنسانُ زمام أموره، على كلا صعيدي الفرد والمجتمع، وليس وراء ذلك العلم والهدى، سوى الجهلِ والهوى.

ومَن دَرَس المناهج البشرية والنظريات التي طرحت وتطرح باستمرار، في مختلف مجالات الحياة الفكرية والخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية، وكيف أنها في تغيّر وتبدّل مستمر، وكيف أنها فيما بينها في تصادم وتناقض! ثم عرف دين الله الحق معرفة وإيماناً وخلقاً وشريعة وسياسة وحكماً، علم بمقدار معرفته، الفحوى العظيم لهذه الآية المباركة وأمثالها.

**الثالثة:** وفي الآية (٢٢) من (الملك) يصوِّر الله تعالى الناكِبَ عن طريقه القويم، بالماشي على قوائمه الأربع، والمُنْكَبُّ على وجهه كالحيوان البهيم، والمتبع لشريعته، بالماشي قائماً سوياً على طريق عدلٍ مستقيم.

**الرابعة:** وفي الآية (١٢٢) من (الأنعام) يُشبِّه الله تعالى المهتدي الملتزم بشريعته، والضال المنحرف عنها، بحال شخصين: أحدهما كان ميتاً (أي في حكم الميت، بسبب الجهل والبعد من الله تعالى) فأحياه الله تعالى، وأعطاه نوراً يتحرك به في وسط الناس، ويُبصر به طريقه، والآخر غارق في ظلمات كثيفة، فهو يتخبّط خبط عشواء، ولا يمكنه الخروج منها، فهو في حيرة وتعب وشقاءٍ!

ومن يتأمل بإنصاف، حال المهتدين بهداية الله والملتزمين بشريعته، وما هم عليه من معرفةٍ حَقَّةٍ، بالخالق والخلق وإيمانٍ وعبادةٍ وتقوىً وصلاحٍ، وخلقٍ رفيع وأدبٍ جَمٍّ، وزكاءِ نفسٍ، وعلوِّ هِمَّةٍ، ورحمةٍ واتّزانٍ، ثم يقارنهم بأهل الضلال، وما هم فيه من عكوس وأضداد ما عليه أهل الهداية، يعرف أن الله تعالى صوَّر في آيتي (الملك) و(الأنعام) حال كل من المهتدين والضالين، أحسن تصوير وأصدقه وأدقَّهُ.

## ٦» حكمة تكرار طلب الهداية من الله تعالى، هي الحاجة إلى الهداية دوْما:

نعم إنَّ حكمة تكرار الإنسان المسلم طلب الهداية من الله تعالى يومياً، بل آناءَ الليلِ وأطراف النهار، كما قال تعالى على لسان عباده المصلين ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، مع أن المؤمنين المقيمين للصلاة قد اهتدوا، وإقامتهم للصلاة إحدى ثمار اهتدائهم، هي: حاجةُ الإنسان الدائمة لهداية الله وتوفيقه، كما أن جسمه يحتاج دَوْماً إلى الهواء والماء والطعام، ما دام على قيد الحياة، نعم كما أن قشرة جسمه بحاجة إلى أن يستمر له الهواء والماء والغذاء، كذلك لُبُّ روحه سواء بسواء.

وذلك لأن الإنسان بِطَبْعِهِ دائم الحركة والنشاط بعقله وقلبه ولسانه وجوارحه، ثم إنَّ الشيطان متربِّص به في كل هذه المجالات، أن يُزِلَّه على حين غفلة عن صراط الله المستقيم، تنفيذاً لوعيده القديم الذي قَطَعه على نفسه ضدَّ آدم عليه السلام وذريته، وذلك بعد أن أصابتهُ اللعنة من جرّاء عصيانِهِ لأمر الله الحكيم بالسجود لآدم، حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف].

إذاً: طالما أَنَّ عَدُوَّنا هو ذلك القاطِعُ المجرِّب، الذي صرف عمره الطويل كُلَّه بِخُبْثٍ ودهاءٍ، في إِضلال الناس وقطع طريق الله تعالى عليهم، ثم هو بإمكانه الهجوم علينا والظفر بنا، من جهاتنا الأربع: اليمين واليسار والخَلْفِ والأَمام، فإنه لم يبق لنا حَلٌّ سوى الإلتجاءِ إلى الله تعالى من الجهتين العليا والسُّفْلى، بالدعاءِ والعبادة، كما علَّمنا الله تعالى أن نقول، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، وقد وعدنا الله تعالى، ألّا يظفر بنا اللّعين، إذا ما حقّقنا في أنفسنا العبودية لله تعالى، حيث قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النحل]، وبما أن العبادة لله تعالى تتمثل بصورتها الكاملة، في الخضوع له والطلب منه، أَمَرنا ربُّنا الكريم الرحيم جلَّ شأنه، بكل من الدعاءِ والسجود، في أكثر من موضع في كتابه المبارك،

حيث قال ـ مثلاً: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر]، وقال: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق].

## ٧» كيف، إذا اهتدى المسلمون، لا يضُّرهم أعداؤهم الضالّون؟!

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة].

قرأ ذات يوم أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ هذه الآية على المنبر، وقال: ياَ أيُّها الناس! إنّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقابٍ مِنْهُ**» أَخرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٤٣٣٨)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢١٦٨) َقَالَ: صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَه برقم: (٤٠٠٥)، وَالنَّسَائِيُّ في (الكبرى) برقم: (١١١٥٧) وَقَالَ الأَلباني: صحيح.

وقصد الصديق ﷺ هنا هو: أنّكم تخطؤون في فهمها، وذلك لأن كثيراً من الناس يتصورون، بأن الوعد الذي تشتمل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات المشابهة لها، سيتحقق لهم ـ أي للمسلين ـ في كل الأحوال وكيفما كانوا! ولكن وكما صحّح لهم خليفة رسول الله ﷺ: ليس الأمر كما ظنّوه، وذلك لأن الله شَرَطَ لِحالة عدم استطاعة الأعداءِ الإِضرار بأهل الإيمان والنيل منهم، كونَهُم (مهتدين) إذْ قال: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ والإِهتداء، كما أكّدنا مراراً، إنما يتم عبر التمسك الفردي الجادّ، والإِلتزام الجماعي التام بشريعة الله، ومعلوم أن المسلمين عندما يلتزمون بالشريعة كلِّها، ويُطبِّقون أحكامها بحذافيرها، على جميع جوانب حياتهم الشخصية والأسرية والجماعية والدولية، يكونون في القمة في كافة الميادين: إيماناً وعبادة وخلقاً وتعاملاً وسياسة واقتصاداً وإعلاماً وفناً ودفاعاً وجهاداً، ومجتمع كهذا، لا يضره كيدُ الأعداء أبداً، كما قال تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران .

## ٤ ـ الناسُ من حيثُ إصلاحُهم أو إفسادُهم

الحيثية والناحية الرابعة، التي يُعْرف منها الناسُ، ويُقَيَّمون في منظار المجتمع الإسلامي، هي النظر إليهم من حيث ما هم عليه، من إصلاح أو إِفساد.

وكما قلنا سابقاً: إن إصلاح الناس أو إفسادهم، ناتجٌ عن استقامتهم (اهتدائهم) أو انحرافهم (ضلالهم)، أي كلّما ازداد الإنسان اهتداءً، زاد إصلاحه، وكلما ازداد ضلالاً، زاد إفساده، فالإصلاح زكاة الصّلاح، كما أن الإفساد ضريبة الفساد، والآن لنتأمل هذه الآيات البيِّنات، لنتعرَّف من خلالها على الإفساد والمفسدين أولاً، ثم على الإصلاح والمصلحين ثانياً:

١) ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

٢) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

٣) ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

٤) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

٥) ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

٦) ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة].

٧) ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

**أ ـ الإفساد والمفسدون:**

ونأخذ من الآيات المدرجة أعلاه، الحقائق السّت الآتية، عن الإفساد والمفسدين:

**الأولى:** من الواضح في الآيات المباركات عموماً، أَنَّ الإفساد والإصلاح، والمفسد والمصلح ضدّان، وكذلك الفساد والصلاح، فالإفساد والإصلاح فعلان وفاعلاهما: المفسد والمصلح، والفساد والصلاح أثرهما

ونتيجتهما التي تنشآن عنهما، والفساد عبارة عن الخلل والخراب الذي يحدث في حياة الناس، وأوضاعهم الفكرية والأسرية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية.. والصلاح هو عكسه تماماً.

**الثانية:** ولا يحدث الفساد في حياة مجتمع ما ويستشري فيها، إلّا نتيجة خراب عقائدهم، وفساد قلوبهم وخوائها من الإيمان، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ [الفجر]، وعليه: فالطواغيت والطغاة، هم مصدر الفساد والإفساد دَوْماً في المجتمعات البشرية، وجليّ أن الإنسان لا يطغى، إلّا بعدما ينْسى ربَّه وتنقطع صلته به، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، والمقصود بالإستغناءِ هنا هو شعور الإنسان الكافر، بأنه غني عن ربّه ومستغنٍ عنه! وبما أن السلطة السياسية والثروة المادية، هما العاملان الأساسيّان في إحداث حالة الغرور عند الإنسان المنقطع الصلة بالله تعالى، لذا فأكثر الناس ـ من الكافرين ـ طغياناً، هو طبقتا الحكام المتسلِّطين والأغنياء المترفين، وهذا ما سنبيِّنه في البند التالي:

**الثالثة:** ذكر الله تعالى كلاً من فرعون الطاغوت وقارون المُتْرَف في أكثر من آية، ووصف كِلَيهما بالمفسد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص]، وقال عن قارون أيضاً على لسان قومه الناصحين له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

وأرى أن الحكمة في إكثار الله تعالى من ذكر فرعون وقارون ووصفهما بالمفسد، هي أن يُلْفِت أَنظارَنا إلى أن كلاً من السلطة السياسية والثروة الإقتصادية، إذا صارتا ألعوبة بيد الحكام المستكبرين والأغنياء المترفين ـ الّذين يمثلهما فرعون وقارون ـ فإنه لا يكون نتيجة هذا سوى الإفساد في الأرض، واستشراءِ الفساد في كل نواحي الحياة.

**الرابعة**: وما من مفسدٍ، ولو بلغ إفساده ما بلغ، إلّا ويرى نفسه صالحاً مصلحاً، ويرى عمله إصلاحا، كما قال تعالى عن المنافقين الّذين هم أخطر الناس من حيث الإفساد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة]، وسبب ذلك هو تزيين الشيطان لهم، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر]، والإنسان عندما يُفسِدُ الكُفرُ مِزاجَ روحه وقلبه، تراه يَسْتَعْذِبُ الظلم والإثم والفساد ويَسْتمْرِؤها، كالجعل الّذي من سوء طبعه وخُبْث مِزاجِه يعشق النَّتَنَ، ويُصاب بالصّداع والدّوار عندما يشم العطر والرَّيحان، كما يقال!

**الخامسة**: ومن جرّاءِ إفساد المفسدين في الأرض، ينتشر الفساد حتى يَعُمَّ كلَّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم]، ويفهم من هذه الآية، أن الذنوب والمعاصي والظلم والإفساد، تؤثر سَلْباً في الموجودات التي حولنا من برٍّ وبحر وأرض وسماءٍ... إلخ، وتجعلها لا تتعاطى معنا إيجابياً، ولا تعطينا البركات التي تتحفنا بها في حالة طاعتنا لله تعالى، ويدل على هذه الحقيقة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

**السادسة**: ويعطينا الله تعالى مثالا بارزاً وشاخصاً لكل من الإفساد والإصلاح، في الآية (٢٢٠) من (البقرة)، وذلك في كيفية التعامل مع مال اليتيم الّذي يكون تحت رعاية الإنسان وفي كفالته، إيجابيا بإصلاح ماله وانمائِه له، أو سلبياً بإفساده والإضرار به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

**ب ـ الإصلاح والمصلحون:**

وأمّا بالنسبة للإصلاح والمصلحين: أي توضيح ماهية الإصلاح وشخصية المصلح، فلنتأمل الآيات (٨٤ إلى٩٠) من (هود)، ونأخذمنها الحقائق الثماني الآتية:

**الأولى**: إذا كانت الطواغيت المتحكِّمون على رقاب المجتمعات ظلماً واستبداداً، والأغنياء المستحوذون على ثرواتهم بغياً وعدواناً، هم الوجه الأبرز للإفساد والمفسدين، فإن الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم الصّادقون في مقابلهم، هم الوجه الأنور للإصلاح والمصلحين، وإذا مثَّلنا للمفسدين بفرعون وقارون، نُمَثِّلُ للأنبياءِ المصلحين بـ(شعيب) عليه وعليهم الصلاة والسلام:

**الثانية**: وأول ما يبدأ به نبي الله (شعيب) عليه السلام خطته الإصلاحية في قومه (مَدْين)، هو إصلاح عقولهم وقلوبهم بالإيمان والتوحيد، وتطهيرها من رجس الشرك والكفر والمعتقدات الفاسدة والأفكار الكاسدة، فيقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾.

وهذه الخطوة هي الخطوة الأولى والأهم، لكل إصلاح إسلاميّ جدّي في حياة الناس، وكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبلا استثناء، بدأوا عملهم الإصلاحي النبوي بهذه الخطوة، إذْ نراهم كما قصَّ الله تعالى قصصهم علينا في كتابه الحكيم:

أ - في سورة الأعراف: كلٌّ من: (نوح، وهود، وصالح، وشعيب) عليهم السلام في الآيات (٥٩ و٦٥ و٧٣ و٨٥) يقول أول ما يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

ب - وفي سورة هود: يقول (نوح) عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾، ويقول (هود) عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ... ﴿٥٠﴾﴾، ويقول (صالح): ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ... ﴿٦١﴾﴾، ويقول (شعيب): ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ... ﴿٨٤﴾﴾.

ج - وفي سورة الشعراء: يكرِّرُ كلٌّ من: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) عليهم السلام هذا القول: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء]، كما في الآيات (١٢٤ إلى ١٢٧) و(١٤٢ إلى ١٤٥) و(١٦١ إلى ١٦٤) و(١٧٧ إلى ١٨٠).

والحكمة في هذا الأمر واضحة وضوح الشمس، إذ الإيمان والإرتباط الصحيح بالله، وإعلان العبادة لَهُ أساسٌ، وهل يبدأ البناء **إلّا بالأساس؟!**

**الثالثة:** ثم يبدأ (شعيب) عليه السلام بالدعوة لتطهير حياة المجتمع (أي بالنهي عن المنكر) فيقول: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود]، وإنما قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف، لأن نبتة المعروف لا يمكن أن تعيش وسط أعشاب المنكر، ولأن التخلية قبل التحلية، ويبدأُ بجانب المال والإِقتصاد، لأن الإِقتصاد عصب الحياة المادية، وقد سمَّى الله تعالى المال فضلاً وخيراً، واعتبره سبب قيام الحياة، فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء]، وآية الدَّين (٨٢) من (البقرة) هي أطول آية في كتاب الله وتتحدَّث عن الأمور المالية.

**الرابعة:** وبعد أن نهاهم عن مُنكَري التطفيف والخيانة في الكيل والوزن، يَأمرهم بمعروفي: إيفاءِ الكيل والميزان بالقسط: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [هود].

**الخامسة:** ثم ينهاهم عن مُنكَرَيْن آخرين لهما ارتباط خاص بالجانب الإجتماعي، وارتباط عام بكل جوانب الحياة الأخرى وهما:

١ ـ تنقيص أشياء الناس والتهوين من شأنها، أياً كانت هذه الأشياء، مادية أو معنوية، وشخصية أو أسرية أو قبلية أو قومية.

٢ ـ نشر الفساد في الأرض: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود]، وكما أن التنقيص من شأن أشياء الناس، مفهومه عام، كذلك مفهوم نشر الفساد في الأرض، شامِلٌ يشمل كل الجوانب الفكرية والخلقية والإِجتماعية والإقتصادية والسياسية.

**السادسة والسابعة:** وبعد ذلك يُلْفِتُ أنظارَهم إلى حقيقتين أخريين، هما:

١ ـ أن الرزق الحلال الطيِّب ـ وان كان قليلا كما يدل عليه لفظ (بقيت) ـ أفضل بما لا يقاس من الحرام الكثير، وذلك إذا كانت النظرة إلى المال نظرة إيمانية: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود].

٢ ـ وأنا لست عليكم حفيظاً أحفظكم من الكفر والضلال ـ بل إنما أنا ناصح أمين فحسب ـ: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود].

**الثامنة:** بعد أن يجيبه الملأ المستكبرون من قومه كعادة كل المستكبرين، بتهكم لاذعٍ بقولهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود]، نعم بعد أن يجيبه الملأ المتكبّرون، بهذه الإجابة الساخرة، والتي تَتَمثَّل في أمرين: أولاً: إنتقادهم لـ(هود) عليه السلام على تدخله في أمورهم العَقَدِيَّة والفكرية، ثانياً: إِعتراضهم عليه، تدخّلَهُ في شؤونهم الإِقتصادية!

**ومعلوم أن هذه هي عادةُ كلِّ الطواغيت قديماً وحديثاً، إذ يعترضون على دعاة دين الله الحق، على تَدَخلهم في قضاياهم التي يعتبرونها من المنطقة المحظورة، وخاصة: في المجال الفكري والعَقَدِي، وفي الجانبين: السياسي والإِقتصادي!**

نعم بعد هذه الإجابة التي لا تصدر إلّا من أهلها، يحتفظ نبي الله الكريم (شعيب) بتوازنه، ولا يُكَدِّر بَحْرَ حِلْمِهِ، هذا الجهل المؤذي والأسلوب الهابط، لأن القلب الموصول بالله تعالى، لا تهزّه هذه السفاسف، لذا يجيبهم على نفس وتيرة كلامه السابق ويقول بهدوء، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

ويتضمَّن هذا الجواب الرصين، من ذلك النبي الرّزين ﷺ، حقائق كثيرة منها هذه العشر:

١) **يبيِّن لهم أنه ﷺ في دعوته الإصلاحية، على بصيرة تامة من ربِّه، فهو منوَّر العقل والقلب، بالحقيقة التي يحملها:** ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾.

٢) **ثم يبيِّن لهم: كما أنه من حيث العقيدةُ، على بيّنة من الله، فهو من حيث المعيشةُ والجانب الإقتصادي، ليس له أي طمع أو توقُّع فيهم ومنهم، لأن الله تعالى أغناه بحلاله عن حرامهم:** ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

٣) **ثم هو في كل ما يدعوهم إليه، سواء في جانب العقيدة والعبادة أو سائر الجوانب الأخرى، يبدأ بنفسه ولا يدعوهم إلى شيء، إلّا بعد أن يَتَّصِفَ به هو فعلاً، وذلك كي تكون دعوته بحاله وفعاله قبل كلامه وأقواله:** ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾.

٤) **ثم يصرّح لهم بجلاءٍ، أنه ليس له قصد وهدف من دعوته النبوية الإصلاحية، سوى إصلاح حالهم وتغييرها من أسوأ ما هي عليه، إلى أحسن ما أمر الله تعالى به، حَسْبَ ما يتيسَّر له ويتمكن منه:** ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾.

٥) **ثم يبيِّن لهم أن تَيسير أمره هو بيد الله تعالى وحده:** ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

٦ و٧) **ثم يعلن لهم بوضوح أنه لا يعتمد في عمله الإصلاحي الربّاني، إلّا على الله تعالى، وأنه مستيقن بالرجوع إليه:** ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ **ومن استيقن من قرارة نفسه، أنَّ زِمامَ أمره بيد الله تبارك وتعالى، ثم إليه يعود كما منه بدأ، مثل هذا الشخص لا يُهِمّه شيء في الوجود، سوى مرضاة الله ورحمته ومغفرته!**

٨) **ثم يحذِّر تحذير مشفق ناصح، من أن يؤدّي بهم التمادي في**

**رفض دعوته المباركة وخلافهم معه وعدائِهم إيّاهُ، إلى مصيرِ كمصير كلٍ من: قوم نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، أو قوم لوطِ القريبين منهم زمناً ومكاناً: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ [هود].**

٩) **ثم في نهاية المطاف يناديهم بندائه اللطيف ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ مرة أخرى، كي يذكرهم بانتمائِه القومي إليهم، فهو منهم وليس غريباً عنهم، والمرءُ لا يريد لقومه فطرةً إلّا الخير!**

١٠) **ويختم كلامه معهم بالطلب منهم، أن يستغفروا ربَّهم ويرجعوا إليه، ويعرِّف الرّب الكريم بصفتين تنضحان رحمة وفضلاً وكرماً وجوداً ولطفاً، فيقول: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود].**

**إذن:**

فهذا هو الإِصلاح النبوي الإسلامي، بخطَّته الشاملة، وخطواته المتدرِّجة الحكيمة، وهذا هو المصلح بعلمه وحِلْمهِ ونزاهته، وصراحته ووضوحه، وحكمته وثوريَّته وجذريته في التغيير، واعتماده على الله تعالى، وشفقته ورحمته على الناس.

وبناءً عليه نقول:

من تحدث عن الإِصلاح باسم الإِسلام، ينبغي له أن يكون إصلاحه على هذه الشاكلة (أي على طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) أمّا أن يُشْغِل نفسه وغيره بمسائل جزئية وفرعية، لا يغيِّر تحقيقها ولو تم له ما أراد، من الواقع الفاسد شيئاً، ويترك القضايا المصيرية والأساسية التي لم يصطدم الأنبياء الكرام بالطواغيت والملأ المستكبرين، والمترفين إلّا من أجلها، وأوَّلها وأولاها قضية الإيمان والتوحيد، ثم تغيير البُنية الأساسية لحياة المجتمع الإِجتماعي والإِقتصادي والسياسي، نعم مَنْ يشغل نفسه وغيره بالمسائل الجزئية التي لا يمكن إصلاحها، إلّا بعد إصلاح وتغيير

البنية الأساسية لحياة المجتمع، ثم يجعل هذه الآية المباركة شعاراً لنفسه وعمله، فهذا التصرّف مع عدم واقعيته، تشويه كبير أيضاً لمعنى الإِصلاح، إذْ يتصور الناس أن الإِصلاح الإسلامي، ليس سوى التفكير والإنشغال بمثل هذه المسائل الفرعية، ولكن من الجلي البيِّن أن الإصلاح الإسلامي، لا يبدأ بالجزئيات بل بالكليات والأساسيات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد]، إذْ واقعُ الملل والمجتمعات، ليس سوى انعكاس ما في أذهانهم وقلوبهم، ولا أريدُ أن يُفْهَم أحدٌ خطأً من كلامي هذا، بأني أريد أن يتحول العاملون في سوح العمل الإسلامي إلى (فلاسفة) لإصلاح أذهان الناس وتنوير عقولهم، و(وعاظ) لإيقاظ قلوبهم، كما يفعل واحداً من ذينك العملين بعضُ المسلمين، ويَقْصرُون هَمَّهُم وَهِمَّتهم عليه، مِن دون أن يلتفتوا إلى غيره! ولا شك أن كلاً من تنوير العقول وتهذيب النفوس، ضروريٌّ ومن صميم دين الله والعمل الإسلامي الصحيح الشامل، ولكن عدّ شيء جزءاً مهماً من هيكلة عملٍ ما وخطَّته الشاملة، شيءٌ، واعتباره كُلَّ العمل وكل الخطة المطلوبة، شيءٌ آخر! بل الذي أقصدُهُ بقولي السابق هو:

أنْ يسير العاملون للإسلام والحاملون للواءِ تجديد الدين والإِصلاح الإسلامي، على خُطى الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، فيبدأوا من حيث بدأوا، بالصَّدْع بكلمة الإيمان والتوحيد صريحاً ومُدَويّاً، والسَّعي الجاد لتفهيم الناس حقيقة العبادة لله تعالى، والدينونة الكاملة الشاملة له، ثم السَّعي الجادّ لاجتثاث جذور الشرك والتعلق بالأوثان، بكلِ أنواعها والتي أخطرها هو الطواغيت المتحكِّمون على رقاب الناس والمُحَكِّمون لدساتير وأنظمة جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان، ويجب أن يتجّهوا ومنذ الخطوة الأولى بعملهم الإصلاحي، نحو تغيير الواقع الفاسد من أساسه، وليس ترقيعه باسم الإصلاح! إذ كيف يكون ترقيع واقع جاهلي يحكم عليه طاغوتٌ، إصلاحاً؟! أَوَ جاءَ الأنبياءُ الكرام لستر عورات الطواغيت، وإصلاح بعض العيوب الجزئية من أنظمتهم الطاغوتية، ذرّاً للرَّماد في عيون البسطاء من الناس؟! أم جاؤوا لتغييرها وَلَقَلْبِها رأساً على عَقب، ثم بنائِها من

جديد، وإعادة صياغتها على أساس الإيمان والتوحيد والإلتزام بشريعته؟![1].

وبناءً على ما مرّ ذكره نقول:

لنكن نحن الإسلاميين وقد رفعنا على رؤوسنا شعارَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حذرين ومتيقظين، فلا نخالف طريقة الأنبياء ومنهجهم عملاً، وقد رفعنا شعارهم قولاً، وذلك لِئلّا نشوّه منهجهم في أنظار الناس، ونجعلهم بسبب عملنا المعوج، يُسيؤون الظن بدين الله الحق وأنبيائه الكرام، وبالنتيجة يُصْبِحُ عملُنا مصداقاً للجملة القرآنية الكريمة: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ [البقرة]!!

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑




(١) وهذا لا يعني أن هذا النوع من الإصلاح الجذريّ الشامل، لا يُبْقي على شيء من تلك الأنظمة! إذ الخير والصواب يجب الإبقاء عليه والإحتفاظ به في كل الأحوال، كما فعل رسولُ الله ﷺ بواقع المجتمع العربي الجاهلي الأول، الذي أقام فيه كيانه الإسلامي الأول.

## ٥ ـ الناس من حيث فلاحهم، أو خسرانهم

الحيثية الخامسة والأخيرة التي يقيِّم المجتمع الإسلامي منها الناس، هي: فلاحُهم وفوزُهم وسعادتُهم، أو خيبتهم وخسرانهم وشقاؤهم.

والآن لنتأمل هذه الآيات المباركات كي نبصر في ضوء كتاب الله المبين، كلاً من المفلحين والخاسرين، والصفات والأعمال التي أثمرت لهما الفلاح أو الخسران.

ونبدأ بالمفلحين وأهمّ أسباب فلاحهم:

### ١ ـ المفلحون وأهم أسباب فلاحهم:

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه:

١. ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون].

٢. ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

٣. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران].

٤. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ [الأنفال].

٥. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس].

٦. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور].

٧. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة].

٨. ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم].

٩. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران].

١٠. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [التوبة].

١١. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣٥﴾ [المائدة].

١٢. ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

١٣. ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

أَجل: هؤلاءِ الموصوفون في هذه الآيات المباركات، هم المفلحون الفائزون في ميزان الله تعالى، وبالتالي في منظار المجتمع الإسلامي، وسَنُدْرِجُ صفاتِهم التي عرَّفهم الله بها في الآيات الكريمات، في البنود الثلاثة عشر الآتية:

**أولاً: الإيمان**: وما يُثمرها من الأعمال الصالحة والفضائل، من: صلاة خاشعة، وإعراض عن اللّغو والعبث، والتزكية، وحفظ الفرج من الحرام، وحفظ الأمانة، والوفاء بالعهد، والمحافظة على الصلوات ـ بأدائها في أوقاتها بخشوع وقنوت ومراعاة واجباتها وسننها ـ، الآيات: (١ إلى ١١) من (المؤمنون).

**ثانياً: التقوى**: وما يسبقه من إيمانٍ بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالقرآن العظيم، وبكل كتب الله السابقة المنزلة على الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والإيقان باليوم الآخر، الآيات: (١ إلى ٥) من (البقرة).

**ثالثاً: الصَّبر**: وما يتفرَّع عنه من مصابرة ومرابطة وتقوى، الآية (٢٠٠) من (آل عمران).

**رابعاً: الذكر**: وذكر الله تعالى في كل الأحوال، مِمّا أكد عليه كتاب الله أعظم تأكيد، وفي أكثر من موضع، الآية (٤٥) من (الأنفال).

**خامساً: التزكية**: الآيات (٧، ٨، ٩) من (الشمس)، وقد فصَّلْنا فيها القول سابقاً، وكذلك فيما تقدَّم ذكرها من الصفات، وفيما يأتي ذكرها، لذا نكتفي هنا بالإشارة إليها فحسب.

**سادساً: الإلتزام بالشريعة**: الآية (٥١) من (النور).

**سابعاً: تجريد الولاءِ للمؤمنين والبراءة من الكفار**: الآية (٢٢) من (المجادلة).

**ثامناً: مساعدة العناصر الضعيفة في المجتمع**: الآية (٣٨) من (الروم).

**تاسعاً وعاشراً: دعوة الناس إلى الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: الآية (١٠٤) من (آل عمران).

**حادي عشر: الهجرة والجهاد في سبيل الله**: الآية (٢٠) من (التوبة)، والآية (٣٥) من (المائدة).

**ثاني عشر: الإيواءُ للمهاجرين والإنفاق عليهم**: الآية (٩) من (الحشر).

**ثالث عشر: الإتِّباع الجيد للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار**: الآية (١٠٠) من (التوبة).

نعم هذه هي أسباب الفوز والفلاح المطلق في الدنيا والآخرة، والمتَّصِفون بها، هم الفائزون المفلحون بفضل الله وكرمه.

والآن لننظر من هم الخاسرون الأَشقياء، وما هي صفاتهم وأعمالهم؟

**٢ ـ الخاسرون وأهمُّ عوامل خسرانهم:**

وقال سبحانه وتعالى بهذا الصَّدد:

١. ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل].

٢. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ [النمل].

٣. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

٤. ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

٥. ﴿...لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر].

٦. ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

٧. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف].

٨. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

٩. ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

حسبما يَتراءى لنا في هذه الآيات البيِّنات، أهمُّ عوامل خسران الخاسرين الأشقياء، هي هذه العوامل الإثنا عشر:

**أولا: الكفر بالله العظيم**: وما يستتبعه من الرذائل والأعمال الفاسدة المختلفة، منْ طبع على القلوب والأسماع والأبصار، وطمس نور البصيرة، واحتضان الحياة الدنيا ونسيان الآخرة، الآيات: (١٠٦ إلى ١٠٩) من (النحل).

**ثانياً: عدم الإيمان بالآخرة:** الآيتان: (٤ و٥) من (النمل).

**ثالثاً: الكفر بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ورفض دعوتهم:** الآيات (٨٢ إلى ٨٥) من (غافر).

**رابعاً: الإشراك بالله تعالى:** الآية (٦٥) من (الزمر).

**خامساً: الكفر بآيات الله (المقرؤة والمنظورة):** الآية (٦٣) من (الزمر).

**سادسا: نسيان ذكر الله تعالى:** الآية (١٩) من (المجادلة).

**سابعاً: جعل الحياة الدنيا أكبر الهموم وأعظم الآمال:** الآيات (١٠٣ إلى ١٠٥) من (الكهف).

**ثامناً: إخفاءُ النفس تحت ركام الآثام، وإماتَةُ التقوى فيها:** الآيات (٧ و٨ و٩ و١٠) من (الشمس).

**تاسعاً وعاشراً وحادي عشر وثاني عشر: عدم الإيمان بأي شيء ممّا يجب الإيمان به، وعدم القيام بالأعمال الصالحة، وعدم التواصي بالحق، وعدم التواصي بالصبر:** (العصر) الآيات (١ إلى ٣).

وجديرٌ بالذكر أن سورة (العصر) المباركة مع اختصارها، جمعت في طيّاتها كلاً من أسباب الفلاح وعوامل الخسران بصورة إجمالية، وذلك لأن الله تعالى في بداية تلك السورة، يُقْسِمُ بالعصر على أَنَّ جنس الإنسان - أي من دون استثناء أحد منهم - سيكون مصيره الخسران، سوى الّذين يتصفون بهذه الصفات الأربع:

١ - آمنوا: ومفعول (آمنوا) محذوفٌ، كي يدلّ على كل ما يجب الإيمان به شرعاً.

٢ - وعملوا الصالحات: ولفظ (الصالحات) صفة لموصوف محذوف، وذلك أيضاً لكي يشمل لفظ (عملوا) كل أنواع الخصال والأعمال والمواقف والتصرّفات المحمودة.

٣ ـ وتواصوا بالحق: وإنما يوصي الآخرين بالحق (المُتَمثِّل في دين الله) واتِّباعِه، مَن حققه في نفسه من قبل، والمقصود بالتواصي ليس مجرد القول، بل السَّعي الجادُّ لتثبيت الحق بالقول والفعل.

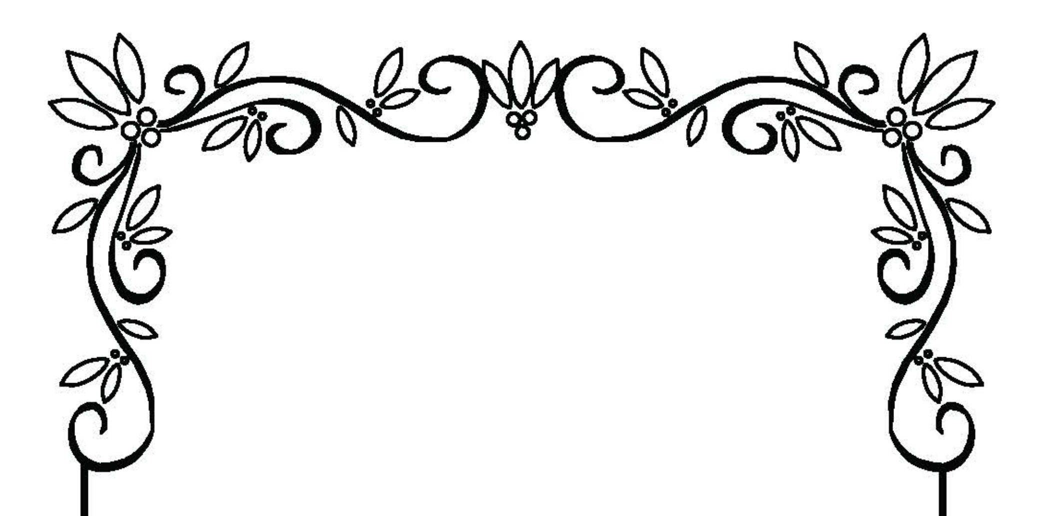
٤ ـ وتواصوا بالصَّبر: وكذلك لا يحثُّ الناس على الصبر في اتِّباع الحق وتثبيته، إلّا مَنْ تحلَّى به قبلهم، في ميادين العبادة والتقوى في نفسه، ثم الدعوة والتعليم والتزكية لغيره.

فهذه هي كيفية دلالة تلك السورة المباركة على كل أسباب الفلاح، وأما كيفية دلالتها على عوامل الخسران، فهي:

أن بديل الإيمان هو الكفر، وبديل عمل الصالحات، هو ارتكاب الموبقات والسَّيئات، وبديل التواصي بالحق، هو الترويج للباطل ومعاداة الحق، وبديل الصبر على الحق وحَثِّ الناس عليه، ليس سوى الصبر على الباطل والضلال، وحضِّ الناس عليه، ومن الواضح أن ما يُفْلِحُ به الإنسانُ، يَخْسَر ويَشْقى بضدّه.

وبهذا نُنهي الكلام عن الحيثيات التي يُقيِّم منها الناسُ في منظار المجتمع الإسلامي، وبه نختم الحديث عن موازين المجتمع الإسلامي، الذي خَصَّصْنا له المبحث الثالث من الفصل الأول، ونَنْتَقِلُ إلى الفصل الثاني، من هذا الكتاب.





# الفصل الثاني

## إقامة شعائر الدِّين، كما حدَّدتها السنَّة النبوية، واجتناب الإِنحرافات الشركية والبدعية




لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapirı
archive.org/details/@alibapir
PDF
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر




إنَّ الخطوة الأولى لبناء مجتمع إسلامي يريد أن يُقيم شريعة الله تعالى في حياته، وينظِّم بها كافة شؤونه، ثُم يَديرَهُ بِها، هي ـ كما ذكرنا سابقاً ونذكر بها هنا للتأكيد ـ استقاءُ التصوّرات والقيم والموازين كلِّها من معين دين الله وحده، وذلك لأن العلم قبل العمل، وَمَنْ لم يعرف الحق لا يمكنه اتِّباعُهُ، ثم تَأْتي بعدها الخطوة الثانية، وهي: (إقامة شعائر الدِّين) وذلك لأن الهدف من تكوين المجتمع الإسلامي، هو إظهار دين الله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وتحقيق العبودية الإختيارية لله تعالى، في كافة نواحي الحياة، وان أوّل وأهمَّ ما يُظْهِرُه الدين في واقع الحياة، ويحقق به الناس عبوديَّتَهم لله ويعلنونها له، هو إقامة الشعائر على كلا الصعيدين الفردي والجماعي.

ولهذا خصَّصْنا هذا الفصل الثاني من هذا الكتاب العاشر، لتوضيح موضوع شعائر التعبّد وكيفية إقامتها.

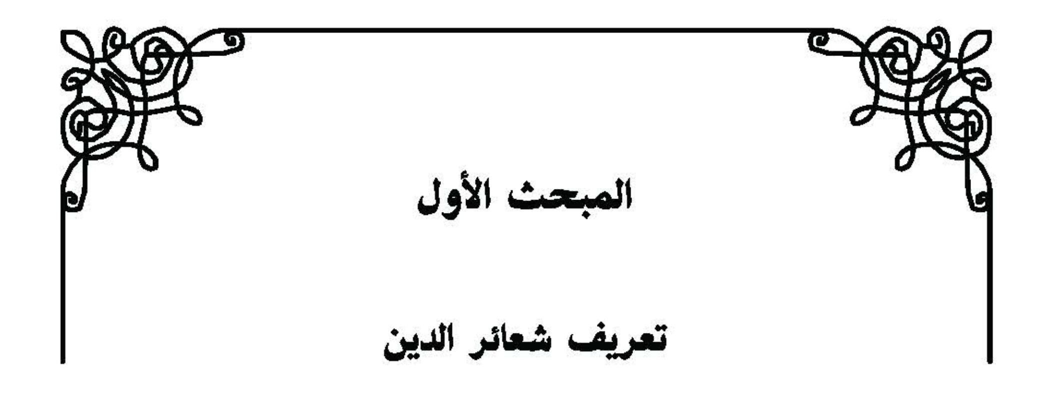
وسنفصِّل القول في موضوع شعائر التعبّد، في المباحث الأربعة الآتية:

١. **تعريف شعائر الدين.**

٢. **إِقامةُ شعائر الدِّين طبقاً لما حَدَّدْته السنَّة النبوية.**

٣. **الشركيات والبدع في مجال الشعائر وكيفية إزالتها.**

٤. **الشعائر مع أهميتها جزءٌ من شرائع الدين، والدين ليس منحصراً فيها.**



# المبحث الأول

## تعريف شعائر الدين

**كلمة (الشعائر) جمع (شعيرة) وهي (فعيلة) بمعنى (فاعلة)، والمقصود بالشعائر التعبّدية، هو كل ما يشعر بعبودية الإنسان لله تعالى، ويعلن الإنسان به عن عبادته لله تعالى[1].**

وقد ذكرت كلمة الشعائر في كتاب الله أربع مرات، هي:

١. ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة].

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ. . . ٢﴾ [المائدة].

٣. ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [الحج].

٤. ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ. . . ٣٦﴾ [الحج].

---

(١) الشعائر: أعمالُ الحج، وكل ما جُعِلَ عَلَماً لطاعة الله تعالى، الواحدة: شعيرة. والمشاعر: مواضع المناسِكِ، والمشعر الحرام: أحد المناسك. مختار الصِّحاح، ص٣٠٢، لفظ: ش ع ر.

ونستنتج من الآيات المباركات، وفي مجال التعريف بالشعائر الحقائق الآتية:

**الأولى:** في المرات الأربع أضاف الله تعالى (الشعائر) إلى اسمه الكريم، هكذا: (شعائر الله) وهذا يعني:

أولاً: أن الشعائر يجب أن تؤدَّى لله وحده، فهي مختصة به سبحانه، كما قال بالنسبة للمساجد ودعاءِ الله فيها وحده: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

ثانياً: أن الشعائر ينبغي أن تؤخذ من الله وحده، لأنه هو وحده يعلم، بماذا وكيف يجب أن يُعبد ويُعلَن له بالعبودية الإِختيارية!

وإنما قلنا إن كلمة (شعائر الله) تُعطي - على الأقل - هذين المعنيين، لأن من الواضح أَنَّ الله تعالى هو مالك كل شيء ومليكُهُ، إذاً: لا بدَّ من معنى زائد على الملكية، عندما يضيف الله الحكيم شيئاً من بين الأشياء التي هي مِلْكه جميعاً، إلى نفسه الكريمة، والمعنيان المذكوران، هما أوضح ما تدل عليه الكلمة والسياقات التي وَرَدَت فيها.

**الثانية:** وفي الآيتين: (٣٢ و٣٣) من (الحج) سمّى الله تعالى (الهدي، الأَضاحي) شعائر الله، وذلك لأنّها تُذْبَح لوجه الله وباسمه العظيم، ولكن الهدي والأَضاحي ليست كل شعائر الله تعالى، كما سنبين فيما يأتي.

**الثالثة:** وفي الآية (٣٦) من (الحج) يبيِّن الله تعالى أن ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ وهي جمع (بَدَنة) وهي الناقة، من ضمن شعائر الله، لأنه جعلها بعضاً منها بقوله: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾، إذاً: هناك شعائر أخرى غيرها، ومعلوم أن المقصود بالشعائر في هذه الآية، هي مناسك الحج والعمرة، لأن السياق يتحدَّث عنهما، ولكن الشعائر لا تنحصر في مناسك الحج والعمرة أيضاً، كما تدل عليه آية (المائدة).

**الرابعة:** وفي الآية (٢) من (المائدة) يوجِّه الله تعالى الخطاب

للمؤمنين، ألّا يُحِلُّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام، ولا الهدي، ولا القلائد، ولا آمِّين البيت الحرام (أي: لا يُخِلّوا بها ولا يَتَعرَّضوا لها بسوء)، وهذه الآية المباركة يُفْهَمُ منها بوضوح أن شعائر الله تعالى، وان كانت مناسك الحج والعمرة من أخصها، لكنها ليست منحصرة فيها، وذلك لأن الله عطف كلاً من المناسك: (الشهر الحرام، الهدي، القلائد، آمِّين البيت الحرام) على شعائر الله، وبما أن الآيتين (٣٢ و٣٣) من (الحج) دلّتا على أن مناسك الحج من شعائر الله، وعليه: فشعائر الله، هي مناسك الحج والعمرة، وكذلك هي غيرها أيضاً.

**الخامسة:** وتدل الآية (١٥٨) من (البقرة) على أن الأماكن التي تؤدّى فيها مناسك الحج والعمرة، هي أيضاً من ضمن شعائر الله تعالى.

ومِمّا مرَّ ذكره، نخلُص إلى القول:

أن كلمة ﴿شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ كما يفهم من آيات كتاب الله البيِّنات، تشمل كلَّ الأقوال والأعمال والأماكن التي تُشْعِرُ بالعبودية لله تعالى، ولكن بما أن العبودية التي تتجلّى في الحج والعمرة وأعمالهما، هي أجلى وأوضح صور العبودية الإِختيارية لله، أُطْلِقَتْ كلمة (الشعائر) على مناسك الحج والعمرة بصورة خاصة، كأوضح مِصْداقٍ من مصاديق العبودية لله.

هذا وقد أطلق العلماء كلمة (الشعائر) على كل أنواع العبادة ـ بمعناها الخاص ـ من: صلاة: فرضاً ونفلاً، وصيام: واجباً وتطوعاً، وحج وعمرة، وزكاة، وذكر ـ وقراءة القرآن منه، بل أفضل أنواعه ـ وأذانٍ وإقامةٍ، ودعاءٍ، وذبحٍ، وحَلِفٍ[1]، ونذرٍ.. وقد اصطلح بعض العلماء على تقسيم أحكام الإِسلام كلها بصورة عامة، إلى قسمين:

**١ ـ الشعائر: وهي التي تخصّ كل فردٍ على حِدةٍ، وان كانت تؤدى جُلُّها جماعية، ولها ارتباطٌ خاصّ بالجانب المعنوي في الفرد والمجتمع.**

---

(١) الحَلِفُ: القَسَمُ واليمين، والحِلْف: العَهد. مختار الصحاح، ص١٤٣، لفظ: ح ل ف.

٢ - **الشرائع: وهي التي تَعُمُّ الجميعَ، وقلّما يمكن تطبيقها إلا بصورةٍ جماعيةٍ، ولها ارتباط بكل جوانب الحياة الفردية والجماعية، وسنفصل القول في الشرائع - بإذن الله - في الكتاب الحادي عشر.**

وجديرٌ بالذكر أن مفهوم الشرائع يشتمل على الشعائر أيضاً، وذلك لأن الشعائر جزءٌ من شريعة الله ونوعٌ خاص من شرائع دين الله الحكيم، ولكن غَلَب استعمالُ كلمة الشعائر في الأمور المعنوية التي تخصُّ كل مسلم بعينه، وينبغي عليه القيام بها ولو منفردا، إنْ لم يتيسَّرْ القيامُ الجماعي، كما وغَلَب استعمال كلمة الشرائع في الأمور العامة، التي تعم الجماعة والمجتمع ككل، وذلك لأنه لا يمكن القيام بها وتنفيذها، إلّا بصورة جماعية، وان كان الإِثم يَلْزَم كل فردٍ بعينه، إنْ قصروا فيما يجب عليهم تجاهها!

وفي ختام هذا المبحث أقول:

لقد أعلن ربّنا تبارك اسمه وتعالى جِدُّهُ ولا إله غيره، أن تعظيم حُرُماتِ[1] الله (وشعائره من حرماته) هو خيرٌ لنا عنده: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج]، وكذلك نبَّهنا جلَّ شأنه، أن تعظيمَ شعائر الله، لا يتأتى إلّا مِمَّن استقرَّ التقوى في قلبه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

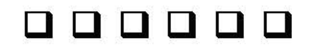
ومن الواضح أن تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائره، يتجلّى في ثلاثة أشياء:

أولا: احترامها وتبجيلها، قلباً ولساناً وجوارحَ.

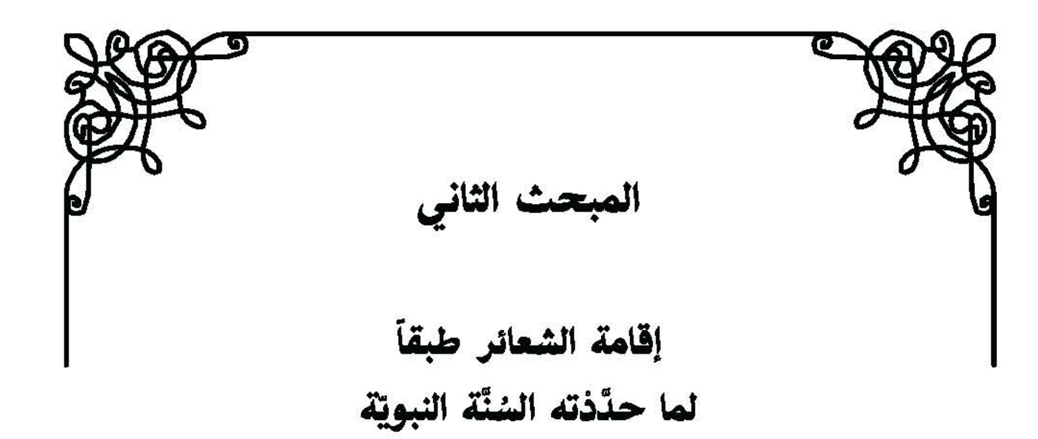
ثانياً: عدم المساس بها، وعدم الإِخلال بها مُطْلقاً.

ثالثاً: الإتيان بها على الوجه المأمور به ظاهراً وباطناً.

وهذا ما سنوضِّحه بإذن الله في المباحث الآتية:



(١) الحُرْمَة: ما لا يَحِلُّ انتهاكُهُ، وكذا: المَحْرُمَة. مختار الصِّحاح، ص١٢٨، لفظ: ح ر م.



## المبحث الثاني

## إقامة الشعائر طبقاً لما حدَّدته السُنَّة النبويّة

من الواضح أَنَّ إقامة الشعائر التعبّدية، انَّما تحقق أهدافها الشرعية في الدنيا والآخرة، إذا ما روعيت في أدائها والقيام بها، الكيفية التي أمر بها الشرعُ (وهذه قاعدة عامة في القيام بالشرائع أيضاً)، إذ الكيفية التي حدَّدها الشرعُ الحكيم لتنفيذ أحكامه، ليست أقلَّ أهمية من نفس القيام بها، وقد قلنا سابقاً في تعريف العبادة، العبادة: هي ألّا يُعبد إلّا الله، وألاّ يُعْبَد إلا بما شرّعه لنا، وبالطريقة التي بيَّنها رسوله ﷺ.

والآن ندخل في صلب الموضوع ونقول:

إنَّ الله تعالى إنما أرسل إلينا رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، بالهُدى ودين الحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة]، كي يُعلِّمنا سبحانه بنفسه، ومن خلال أقوال وأفعال رسوله، الدينَ كُلَّه بِدقَّةٍ ووضوح: أي الإيمان والإسلام والتقوى والإحسان والذكر والتزكية والسياسة والمعاملات والجهاد... وبكلمة واحدة: **«الشعائر والشرائع كلها»**، كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وبما أنَّ للشعائر التعبّدية شأناً عظيماً ومكانة كبيرة في دين الله، إذْ هي التي تُشْعِرُ بِوجُودها، بأن فلاناً من الناس أو المجتمع الفلاني، مسلمٌ عابدٌ لله، أو بخلافه تُشْعِرُ بِفَقْدِها، بأنهما ليسا مسلمين، لهذا كان رسول الله ﷺ يُولِي أَمْرَ الشعائر وإقامَتها، اهتماماً خاصّاً، إذْ كان يتولّى القيام بالشعائر بنفسه، فهو الذي:

١) **يعيّن المؤذِّن والمقيم للصلاة بنفسه، ويَؤُمُّ الناسَ في الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة، وفي صلاة الجمعة، وصلاة الجنازة وصلاة العيدين (رمضان والأضحى) وصلاة الإستسقاءِ، والكسوف والخسوف، وحتى في صلاة الخوف التي تقام في خضمِّ المواجهة مع الكفار، وهذا كله معلوم وواضح وضوح الشمس في سيرته المباركة.**

وصعد يوما المنبر وصلّى عليه أمام أنظار الصحابة ـ ثم قال: «**وصَلّوا كما رأيتموني أُصلي**»، كما رواه البخاري في صحيحه: ٦٣١[1]، وهذا كلّه احتياطاً منه ﷺ، أن يعلّم أمته بِدِقَّةٍ ووضوح تام، كيفية أداءِ الشعيرة الكبرى (الصلاةِ)، والتي هي أعظم شعائر التعبّد، وأكثرها تكراراً، وأحسَنِها تأثيراً في تحقيق العبودية في الإنسان، ولهذا جعلها النبي الحكيم ﷺ الفاصل بين الإيمان والكفر، فقال: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيبة برقم: (٣٠٣٩٦)، وَأَحْمَد برقم: (٢٢٩٨٧)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٦٢١)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيح غريب، وَالنَّسَائِيُّ برقم:

---

(١) وهذا هو نص الحديث بكامله: [حدثنا مالك ابن حويرث: أتينا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَة مُتقاربون فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة وكان رسول الله رحيماً رفيقاً، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قدَ اشتَقْنا، سألنا عَمَّن تركْنا بعدنا، فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلّموهم ومروهم، وذكر أشياء أحفظها، أو لا أحفظها: «**وصلّوا كما رأيتموني أُصلّي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمّكم أكبركم**»].

(٤٦٣)، وَابْنُ مَاجَه برقم: (١٠٧٩)، وَابْنُ حِبَّان برقم: (١٤٥٤)، والحَاكِمُ برقم: (١١)، وَقَالَ: صَحِيح الإسناد، وَصَحَّحهُ الألباني في (صحيح إبنُ مَاجه) رقم: (٨٨٤).

ويبدو أن صلاة النبيِّ الخاتم على المنبر أمام الصَّحابة، تكرَّرت في الأَقلِّ مرتين، إِذ جاءت الرواية بمثل هذه الصَّلاة بالإِضافة إلى رواية مالك بن حويرث المتقدمة عن سهل بن سعد، والتي هذا نَصُّها:

قال: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة ـ قال أبو حازم: إنَّه يُسَمِّيها يومئذٍ ـ أُنظري غُلامكِ النّجار يعملُ لي أعواداً أُكلِّمُ الناسَ عليها، فَعَمل هذه الثلاثَ درجاتٍ، ثم أمر بها رسولُ الله فوضِعتْ هذا الموضِع فهي من طَرْفاءِ الغابة. ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ قام عليه، فكبَّر وكبَّر الناسَ وراءه وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرىٰ، حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبَل على الناس فقال: «**يا أيها الناس! إني إنما صَنَعْتُ هذا لتأتَمّوا بي ولتعلموا صلاتي**». رواه البخاري: ٢٠٩٤، ومسلم: ١٢١٦ (٥٤٤).

وقَال عَبْدالله بْنِ شَقِيق التَّابِعيّ المُتَّفَق عَلَى جَلَالَتِه رَحِمَهُ اللَّهُ: كَان أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ «**لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ**» رَواهُ التِّرمِذِيُّ برقم: (٢٦٢٢) وَقَال الشيخ الألباني: صحيح.

٢) **وكذلك كان هو الذي يحدِّد للناس متى يبدؤون بصيام شهر رمضان، ومتى يُفْطرون، ويُعيِّدون في الأول من شهر شوّال.**

٣) **وكذلك هو الذي علَّم المسلمين بِدِقَّةٍ كل أعمال الحج والعمرة ومناسكهما، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة، وقد سُمِّيت حجَّته تلك فيما بعد بحجَّة الوِداعِ، لأنه لم يحج بعدها حجةً أخرى، وكان يقول للمسلمين: «لِتَأْخذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّى لا أَحُجُّ بَعْدَ حجتِي هَذِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (١٢٩٧).**

٤) **وكذلك هو الذي شرح لنا كيفية أداءِ الزكاة، وبيّن لنا أنصبة أصناف الأموال التي تجب فيها الزكاة، وحدَّد مقادير زكاة أصناف الأموال**

**بدقة، كما هو معلوم في كتب السنة.**

5) **وكذلك هو الذي علَّم الصحابة رضوان الله عليهم، كيفية تلاوة كتاب الله المبارك، وكان الصحابة فيما بعد، يقرأ أحدهم السورة أو الآية من كتاب الله للناس، ثم يقول: هكذا أخذته عن في رسول الله ﷺ أو هكذا سمعته منه.**

6) **وهو الذي علَّم المسلمين ذكر الله تعالى بكلِّ أنواعه، سواء أذكار دُبُرِ الصَّلوات المكتوبات، أو أذكار الصباح والمساء، أو الأذكار التي تقرأ عند مختلف الحالات، كالنوم والإستيقاظ منه، والطعام والشراب، ولُبْسِ اللباس، وركوب الدابة، والسفر والرجوع منه... إلخ.**

7) **وأخيراً وليس آخراً، هو الذي علَّم الصَّحابة ـ وسائر أمته مِنْ خِلالِهِم ـ كيفية الدّعاء والأدعية المختلفة في الأحوال والمناسبات المتعدِّدة.**

وبناءً على ما مرّ ذكره، نقول:

ان الشعائر التعبّدية هي أخص أنواع العبادة (العبادة بمفهومها القرآني الشامل)، وقد سمّاها بعضُ العلماء بـ(العبادات المحضة) تمييزاً لها عن باقي الطاعات، وسائر أنواع العبادة التي تتجلي عبودية الإنسان لله فيها كلِّها، وبما أن الشعائر أمور تعبّدية محضة، ومن الواضح أن الأصل في الأمور التعبّدية المحضة: الحَظْرُ، إلّا ما عيَّنه الشارع الحكيم، وذلك بخلاف أمور المعاملات التي الأصل فيها هو الإِباحَةُ، إلّا ما مَنَعه الشارع[1]، وذلك لأن للعقل دوراً وأيُّ دورٍ، في معرفة حِكَم المعاملات وأسرارها، ولكن الأمور

---

(1) وهذه القاعدة محلّ اتفاق بين العلماء المحققين، ولا شك أنهم وضعوها بعد استقراءٍ تام للنصوص كلها، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (القواعد النورانية الفقهية)، ص: (112)، وكذلك غيره من العلماء الباحثين في مجال القواعد الشرعية، فعلى سبيل المثال يُورِدُ عبدالرحمن بن ناصر السّعدي هذه القاعدة ناقلاً عن العلماء بهذا اللفظ: «**الأصْلُ في العبادات الحَظْرُ: إلّا ما ورد عن الشارع تشريعه، والأصل في العادات الإباحة، إلّا ما ورد عن الشارع تحريمُهُ**» أصول الفقه المهمة، ص: (105، 106).

التعبّدية فوق العقل، وان كان العقلُ يمكنه الإطّلاع على كثير من حِكَمِها، ولكن تبقى منها رموز وأسرار مجهولة، نعم بما أن الشعائر هي على هذه الشاكلة، فقد تولّى الله تعالى من خلال رسوله الكريم أَمْرَها بنفسه، ولم يَدَعْ منها شيئاً صغيراً أو كبيراً لعقول الناس واجتهاداتهم، بل عيّنها كلَّها من عنده، وحَدَّد كيفية إقامتها بِدِقَّةٍ بالغة، عَلِمَها مَنْ عَلِمَها وجَهِلَها مَنْ جَهِلَها، ولهذا:

فليس للمسلمين تجاهَ تلك الشعائر العظيمة المباركة حَقٌّ، سوى اتِّباع رسول الله ﷺ، واقتفاءِ أثره، وتَتَبُّع خطاه.

وقد أجمع المحققون من العلماء، بأنَّ أيَّ إحداث أو تغيير في مجال الشعائر، يعتبر إحداثاً وابتداعاً في الدين، والإحداث في الدين أو الإبتداع حرامٌ، وقد كان رسول الله ﷺ يكرِّر في خطبه أيام الجمع وغيرها من المناسبات الشعائرية قوله: **(أمّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله وخير الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ وشرَّ الأمور مُحْدَثاتها، وكلُّ محدثةٍ بِدْعةٌ، وكلُّ بِدْعَةٍ ضلالة)**[1].

وقال ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٧١٨)، وقال: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٤٥٩٠).

وأمّا الذين قسَّموا البدعة إلى قسمين: بدعة حسنة، وبدعة سيئة، أو إلى خمسة أنواع: واجبة ومندوبة ومباحة ومكروهة ومحرَّمة، من العلماء الكبار أمثال: النووي، والعِزّ بن عبدالسلام، وابن حجر الهيتمي، وابن حجر العسقلاني رحمهم الله تعالى، فهم على ما يبدو لي استعملوا كلمة البدعة بمعناها اللّغوي، والمعنى اللّغوي للبدعة هو: كلُّ شيءٍ جديدٍ مُسْتَحْدَثٍ، بغض النظر عن حُسْنِهِ أو سوئِه، وكونه في مجال العبادات أو المعاملات، كما أن قول الخليفة الثاني عمر بن

---

(١) صحيح مسلم: ٨٦٧.

الخطاب ﷺ، لصلاة التراويح الجماعية، بعد ما جمع الناس لها في المسجد النبوي، وعيَّن لهم إماماً: «نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ برقم: (٢٠١٠)، هو بهذا المعنى، إذ من الواضح أن عمر ﷺ لم يقصد بكلامه هذا ـ وهو الخليفة الراشد والمحتاط جداً في اتّباع سنة النبي ﷺ ـ أنهم استحدثوا أحسن بدعة!! وذلك لأن صلاة التراويح في ليالي رمضان، إنَّما سَنَّها لهم رسولُ الله ﷺ بنفسه، وقد روى البخاري أنه ﷺ صلَّى بالناس ثلاث ليالٍ صلاة التراويح حتى اكتظّ المسجد بالناس في الليلة الرابعة، ولكن الرسول ﷺ لم يخرج إليهم في تلك الليلة، ثم بَيَّن لهم أن عدم خروجه، إنَّما كان بسبب مخافته من أن تفرض عليهم[1]، إنْ هو واظب عليها معهم جماعة، إذاً: كان قصد عمر بقولته تلك: أن هذه الكيفية لصلاة التراويح ـ والتي كانت في الأصل مسنونة من الرسول ﷺ ولكنه لم يواظب عليها للحكمة التي بيَّنها ـ أحسن شيء اسْتُجِدَّ وجودُهُ، بعد فقدِ استمرَّ عدة سنوات.

وبما ان كلمة البدعة بمفهومها اللّغوي تشمل كل شيء جديد مُسْتَحْدَث، بغض النظر عن كونه في مجال العبادات (بمفهومها الخاص) أو المعاملات، وعمّا إذا كان سيئاً أو حسناً، لذا فلا بدّ من تذييلها وتقييدها بالحسنة أو السيئة عند استعمالها بمعناها اللّغوي، وذلك لتمييز جيِّدها مِنْ رديئها!

أو بتعبير آخر نقول: ان هؤلاء الأفاضل رحمهم الله وتأسيساً على استعمالهم كلمة البدعة بمعناها اللُّغوي، قد خلطوا بين مسألتي (الإِبتداع في أمور الدين) والتي تخص مجالي العقيدة والعبادة (بمفهومها الخاص)، و(الإبداع في أمور الدّنيا) والتي تتسع للمعاملات الجارية بين الناس كلها، بجوانبها الإِجتماعية والإِقتصادية والسياسية، ومعلوم أن كلمة البدعة ـ بمفهومها اللّغوي المشتمِل على كلا مجالي الإِبتداع في الدين والإِبداع في الدنيا ـ لا بدّ عند استعمالها من أن يقال: البدعة منها ما هو حسن، ومنها

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٢٠١١).

هو سيءٌ، أو أنها تنطبق عليها الأحكام الخمسة: (الوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرمة).

نعم هذا - في نظري - هو أقصى ما يمكن قوله، في توجيه وتبرير تعريف أولئك العلماء الكرام للبدعة.

ولكن الحق أحق أن يقال، وأولئك الأفاضل أحِبّاءٌ إلينا، ولكن الحق أحبُّ إلينا منهم، بما أن رسول الله ﷺ وصف البدعة مطلقاً بالسوء، واعتبرها كلَّها ضلالة (وكلّ بدعة ضلالة) فلا حاجة، بل لا عُذْرَ للجوء إلى تأويلات شتّى، لتوسيع مفهوم البدعة، حتى يشمل المستحدثات كلَّها، سواء كانت في مجال التعبد أو التعامل، ثم إنَّ الأمثلة التي يأتي بها العلماء المشار إليهم وأمثالهم، على أن البدعة: فيها حسن وفيها سيء، مثل: جمع القرآن في مصحف، وتدوين الحديث، وتمصير الأمصار، وشق الأنهار، وبناءِ المدارس، وتدوين الدواوين، وتأليف الكتب... إلخ، نعم إنَّ هذه الأشياء وغيرها كثير، كلّها تدخل في باب المصالح المرسلة، أو الإستصحاب، أو العرف، أو الأصل في الأشياء الإباحة.

وإنما قلنا بأن البدعة الشرعية تخصُّ - على الأغلب - مجالي العقيدة والعبادة (بمفهومها الشعائري)، لأنَّ دين الله القيِّم في هذين المجالين، وضع النقاط على الحروف، ولم يترك فراغاً لِيَمْلأه العقلُ البشريُّ باجتهاده، وبالتالي: فكل استحداث فيهما، مَذْمومٌ ويعتبر ابتداعاً في الدين، بخلاف مجال المعاملات - بمفهومها الشامل الواسع - الذي اكتفى دينُ الله القيم فيه بوضع أصول كلّية ومعالم عامة، حتى لا يَضِلَّ العقل ولا يَزِلَّ، ثم ترك فراغاً كبيراً ليملأه العقل باجتهاده، حَسْبما يُمليه عليه تجدّد وتطور المجتمع البشري في الجانب المادي، وحسبما تقتضيه حاجات الناس المتجدّدة، ومن الواضح أن الإبداع في مجال المعاملات (الأمور الدنيوية) مطلوبٌ وممدوحٌ، بقدر ما هو الإبتداع في مجالي العقيدة والعبادة، مرفوض ومذموم.

وتلخيصاً للقول نقول:

إن كلمة البدعة وان كانت في أصل اللّغة تشمل كل استحداث خير أو شرٍّ، ولكن بما أن رسول الله ﷺ استعملها بمعناها الخاص - أي بجزءٍ من معناها الكلي - وهو الإِستحداث الحرام والمذموم في الدين، فيجب أن نتوقف نحن أيضاً عند هذا الحد، ولا نرجع مرة أخرى ونتذرَّع بمفهومها العام، وذلك لأن الشارع إذا استعمل كلمة بمعنى خاص، وجعلها مصطلحاً خاصاً وعنواناً لشيء معيَّن، مثل كل من كلمات: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الجهاد، العبادة، التقوى... إلخ، ينبغي الوقوف على تلك المعاني والمفاهيم التي قصدها الشارع من تلك الكلمات، إذ لا يجوز لنا أن نعود إلى تلك الكلمات التي جعلها الشرع مصطلحات شرعية خاصة، وتحمل معاني ومفاهيم خاصة، فَنَسْتَعْمِلَها بمفاهيمها اللغوية الأصلية، اللّهم إلّا إذا اضطرتنا إليها السياقات والقرائن الواضحة.

ولكن ههنا لا بدَّ أن ننبِّه على مسألة مهمة في مجال معرفة البدعة، وهي:

انه لا يعتبر الإِبتداع والإِحداث في الدين بدعة بمفهومها الشرعي، إلّا إذا كان بدافع التديُّن والتعبّد والتقرّب إلى الله، وهذا هو الفارق بين الإِبتداع في الدين في أي مجال من مجالاته، وسائر الذنوب والمعاصي الأخرى، إذْ كل من الإِبتداع والذنوب الأخرى، انحراف في الدين وحيدة عن جادة الشرع، ولكن الفرق بينهما، هو أن الذنوب والمعاصي الأخرى، إنّما يقوم بها أصحابها، تحت ضغط الشهوة والغضب وسائر الغرائز الأخرى، ولكن المبتدع إنما يُحدِث ما يُحدِثُ، ويبتدع ما يبتدع، بظنه تعبُّداً وتديّناً وتقرُّباً منه إلى الله تعالى!!

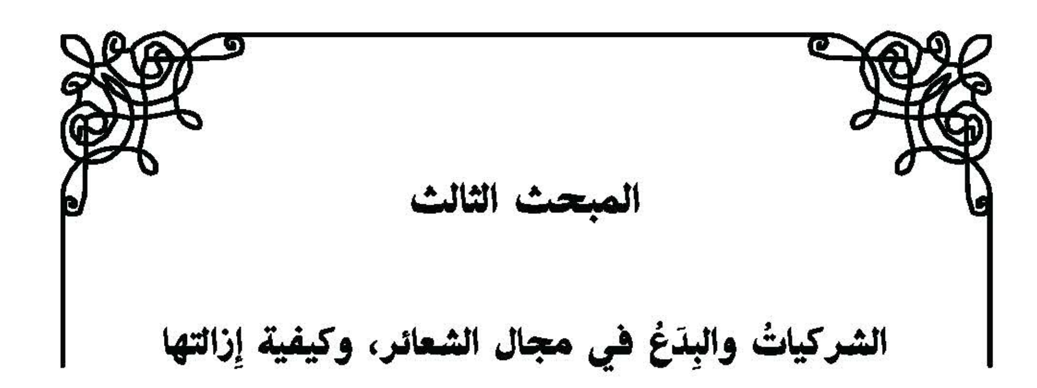
ولهذا تختلف الحالة النفسية للعاصي عن الحالة النفسية للمبتدع، فالعاصي يرى نفسه مُذْنِباً مسيئاً، ويسعى للتوبة والإنابة، ولكن المبتدع يشعر بالرضى عن نفسه، ويرى نفسه بأنه فاعل خيرٍ يستحق الثواب!

ولهذا قال العلماء: (قلَّما يتوب صاحب بدعة)، وذلك لأنه لا يرى نفسه عاصيا، كي يدفعه شعوره بالإثم للتوبة والإِستغفار.

والآن إذ انتهينا من الإجابة على سؤال: ما المقصود بإقامة شعائر الدين كما حدَّدَتْهُ السُّنة النبويّة؟! فلْنتتقلْ إلى المبحث الثالث، وهو:







## المبحث الثالث

## الشركياتُ والبِدَعُ في مجال الشعائر، وكيفية إِزالتها

قد عرَّفْنا سابقاً كلاً من (الشرك بالله) و(البدعة) فلا داعي للتكرار هنا، ولكن توطئة للدخول في بحثنا المعنون أعلاه، نقول:

كما أن التوحيد (توحيد الله تعالى في خالقيته وربوبيته وأسمائِه وصفاته وألوهيته) أعظم الحسنات في الإسلام، بل هو أصل الإسلام ولُبُّه ومقصده ومحوره الذي يدور حوله كل أجزائِه الأخرى، كذلك في المقابل الشرك (الشرك بالله العظيم في خالقيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته أو ألوهيته) أسوأ السيئات وأكبر الذنوب في الإسلام.

وقد ذكرنا من قبل أن توحيد الله في ألوهيته (أي اتخاذه سبحانه إلهاً ومعبوداً واحداً بالمعنى القرآني الواسع للعبادة) وهو يَسْتَلْزِمُ دَوْماً كلاً من توحيد الله في خالقيته وربوبيته وأسمائِهِ وصفاته، نعم هذا التوحيد هو الذي كان عليه مدار دعوة الأنبياء، ومن أجله اصطدموا بالطواغيت، ثم إنَّ الجانب الأكثر بروزاً من توحيد الألوهية، والأحسن مُجلِّياً للعبادة لله تعالى هو جانب الشعائر، وكذلك في المقابل: إنَّ الشرك بالله في ألوهيته والعبادة له وحده، وخاصة في مجال الشعائر التعبدية، هو النوع الأكثر رواجاً في الإِشراك بالله، عند انحراف الناس عن التوحيد.

أَجَلْ ان شعائر التعبد هي الوسيلة الأكثر تجلية وإبرازاً لعبودية الفرد والمجتمع لله تعالى، إذا ما أقيمت على وجهها الحقيقي الذي أَمَر به الشرعُ

وحَددَتْه السُنَّة النبويّة، ولكن إذا وقع فيها الإنحراف بسبب البعد عن كتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ، فإن أكثرَ أنواعِ الشرك شيوعاً وأَفْظَعها، تَدخلِ الدينَ مِنْ بابِها، وكذلك البدع تجد مجالاً خَصْباً في هذه الشعائر، إذا ما أُبْعِدَت عن نهج السُنّة النبويّة وحُرِّفت وغُيِّرت.

وسنشير إلى أبرز أنواع الشرك والبدع، وأكثرها شيوعاً، وكيفية إزالتها، في ثلاثة مطالب، ففي الأول نتحدَّث عن أنواع الشرك، وفي الثاني نتحدثُ عن البدع، وفي الثالث نتحدَّث عن كيفية وطريقة إزالة الشركيات والبدع.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

## المطلب الأول:
## أبرز أنواع الشركيات التي تدخل في مجال شعائر التعبُّد

ويحتوي هذا المطلب على خمس فقرات، سَنُدرِجها تِباعاً:

### ١) التصوّرات والمشاعر المناقضة لأعمال القلوب اللازمة لتوحيد الله:

من الواضح أن التصوّرات والمشاعر، ليست من باب الشعائر، لذا لم نتحدَّث عنها ونحن نعرِّف بالشعائر وأنواعها في المبحثين الأول والثاني، ولكن رأينا أنه من الضروري الإشارة إليها في بداية حديثنا عن الشركيات في مجال التعبّد، لأنها هي الأساس والينبوع للأقوال والأعمال الشركية، أي كما أن الإيمان والتوحيد، هو أساس وينبوع الأقوال والأعمال الشرعية الصالحة، كذلك التصورات والمشاعر الشركية، هي التي تُوَلِّدُ الشركيات الظاهرة، وبتعبير آخر: الشرك الباطني الخفي المستكِنّ في القلب، هو الذي يدفع بصاحبه، إلى التلبّس بالأعمال والأقوال الشركية المعلنة الظاهرة.

وهذه هي أهم التصورات والمشاعر الشركية الخفيَّة، وسَنُرتِّبُها في خمسة بُنود:

**أولا: حبُّ غير الله تعالى مثل حُبِّه أو أكثر:**

وهذا شرك، كما صرَّح به قول الله المبارك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ... ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة]، إذاً: من أحبّ شيئاً أو شخصاً، مثل حبِّه لله تعالى أو أكثر، فهو مشرك بالله في هذا الجانب.

**ثانياً: الخوف من غير الله، مثل الخوف من الله أو أشد:**

وهذا نوع آخر من الشرك القلبي، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً... (٧٧)﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران].

**ثالثاً: الإعتماد على غير الله، مثل التوكُّل على الله تعالى أو أكثر:**

وهذا الشعور القلبي أيضاً نوع آخر من الشرك بالله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ... (١٦٠)﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)﴾ [يونس]، ومعنى الآيتين هو: أن المؤمنين يجب أنْ يتوكلوا على الله وحده، وأنَّ مَن اعتمد على غير الله، فليس من المسلمين!

**رابعاً: الإعتقاد: بأن غير الله يعلم شيئاً من الغيب:**

وكذلك هذا التصور نوع آخر من أنواع الشرك القَلبي، وذلك لأن الله تعالى حَصَر معرفة الغيب في نفسه العلية، وبيَّن بوضوح أن غيره أياً كان، لا يعلم الغيب، وهذه بعض الآيات بهذا الصَّدد:

١. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)﴾ [فاطر].

٢. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾ [الحشر].

٣. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ [الجن].

٤. ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ... (٦٥)﴾ [النمل].

٥. ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ [سبأ].

**خامساً: الإعتقاد: بأن غير الله تعالى يملك شيئاً من النفع والضر، بسبب قُربِهِ من الله تعالى:**

وهذا أيضاً نوع آخر من الشرك بالله، لأنه ليس للخلق مالك ولا مدبّر سوى ربّه ومالكه جل شأنه، وقد صرّح كتاب الله بأجْلى من الشمس، بأن الإعتقاد بامتلاكِ غير الله تعالى للضرّ والنفع، من عقائد المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان].

وكذلك صرّح كلامُ الله المبارك: بأن الّذين يدعوهم المشركون جهلاً وظلماً من الملائكة والأنبياء والصالحين، معتقدين فيهم أنهم يكشفون الضرّ عنهم، أولئك مهما كانوا قريبين من الله تعالى، لا يملكون لا رفع الضرِّ، ولا حتى تحويله إلى جهة أخرى! بل من كان من أولئك المدعوين الصالحين، أقرب إلى الله، فهم يبتغون وسائل التقرّب إلى الله أكثر، وهم راجون رحمة الله وخائفون من عذابه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

نعم إن الإعتقاد: بأن غير الله تعالى يملك شيئاً من كشف الضرِّ والسوء، أو إيصال النفع، سواء على سبيل الإستقلال، أو بسبب قربه من الله تعالى، وكرامته عنده، هو نوع من الإشراك بالله تعالى.

وكيف يجوز أن يُسْنَد شيء من دفع الضرّ، أو إيصال الخير إلى غير الله تعالى، من الملائكة والأنبياء والصلحاء، بعد أن قال جلَّ جلاله لسيِّد الأنبياءِ وأصلح الصلحاء وإمام الاتقياءِ (محمد) خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن].

ولا أدري بأيّ عقل أو على أساس أيّ دينٍ، يُسْنِدُ بعضُ الجَهَلةِ من

الصوفية والشيعة، معرفةَ الغيب، وامتلاك دفع الضرِّ، وإيصال النفع الى غير الله تعالى، بعد أن سَلَبَ الله تعالى هذه الأشياء، من أحبِّ الناس إليه وأكرمهم لديه، وهو نبيّه الخاتم ورسوله الأعظم! وهل يجوز أن يكون لغيره من الإِمتيازات والفضل ـ حسب زعمهم أنَّ هذه الأشياء فَضْلٌ وأَمتيازٌ ـ ما ليس له؟!



### ٢) دعاءُ غير الله تعالى والإستغاثة به، مع عدم[1] حضوره بسبب غيبة أو موت:

إنَّ دعاءَ غير الله تعالى والإِستغاثة به بالصورة التي يُدعى بها الله تعالى، وفي المجالات التي يُستغاث فيها بالله تبارك وتعالى، إشراكٌ بالله، بل هو من أكبر أنواع الشرك بالله وأكثرها شيوعاً ورواجاً، وقد حاول قديماً ويحاولون دَوْماً المتلبِّسون بالشرك، أن يبرِّروا تصرُّفهم الشركي هذا، بتأويلات وتبريرات شتَّى، ولكن في هذا الأمر الخطير الذي حَسَمَتْهُ عشرات الآيات المباركة والأحاديث النبويّة الشريفة، لا مجال مطلقاً لمثل تلك التأويلات الباردة، والذرائع الواهية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولنتدبّر مجموعة من الآيات المباركة، التي وضعت النقاط على الحروف، بوضوحٍ لا يَدَع أي مجال لِلجَدَل في هذا الأمر الجَلَل:

١. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

٢. ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر].

٣. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ۝٤٨ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ۝٤٩﴾ [مريم].

٤. ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ... ۝٧١﴾ [الأنعام].

٥. ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن].

---

(١) وإنما قيَّدنا الدعاء والإستغاثة الشركيين بهذين القيدين، لأن من كان حاضراً ودعوته ليُعينكَ في أمرٍ هو في مقدور البشر، أو استَغَثتَ به، كما فعل الإسرائيلي الذي استنجد بـ موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ... ۝١٥﴾ [القصص]، نعم ان هذه الأشياء وأمثالها، لا دخل لها في الشرك ولا علاقة لها به.

٦. ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

٧. ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

٨. ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

٩. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

١٠. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر].

**ونأخذ من هذه الآيات المباركات، الحقائق العشر الآتية:**

**<u>الأولى</u>: دعاءُ الله تعالى والإستعانة به، صِنو العبادة لله، وأخصُّ صورها:**

والدليل على هذه الحقيقة، هو قوله تعالى على لسان عباده المُصَلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، حيث جعل الله تعالى حَصْر الإستعانة به ودعائِه، قرينَ العبادة المحصورة وصِنْوَها وأخصَّ صورها، وهذا

يعني أن عدم جواز دعاءِ غير الله والإِستعانة به، في قوَّة عدم جواز عبادة غيره ودَرَجته.

ومما يَدلّ أوضح الدلالة على أن الدعاء وطلب العون، هو العبادة بعينها، أو أخصُّ صورها، هو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في مخاطبته لأبيه وقومه: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم]، إذ جعل الله تعالى جملة: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بدلاً لجملة: ﴿وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كي نفهم أنهما شيء واحد.

وَقَدْ قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»**، أَخْرَجَهُ أَحْمَد برقم: (١٨٤١٥)، وَالبُخَارِيُّ في الأدب المفرد برقم: (٧١٤)، وَأَبُو دَاوُدَ برقم: (١٤٧٩)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢٩٦٩) وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالنَّسَائِيُّ في (الكبرى) برقم: (١١٤٦٤)، وَابْنُ مَاجَه برقم: (٣٨٢٨)، وَابْنُ حِبَّانَ برقم: (٨٩٠)، وَالحَاكِمُ برقم: (١٨٠٢) وَقَالَ: صَحِيح الإسناد، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما وَصَحّحَهُ الألباني.

**الثانية: ولا يكون الإنسانُ مُوحّداً لله في ألوهيّته، ومُخلِصاً له في الدين، إلّا إذا حصَر دعاءَه في الله تعالى وحده:**

ويدل على هذه الحقيقة بوضوح، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر]، حيث وصف سبحانه نفسه بالحياة المطلقة، ثم عرَّف نفسه بأنه هو الإله والمعبود الوحيد، وبعد ذلك أمر عباده بأن يدعوه هو وحده، مجرِّدين له الطاعة والدِّينونَة.

**الثالثة: ودعاءُ غير الله تعالى، سبب للردّة عن الدين، والرجوع عن الهدى قهقرياً إلى الضّلالة:**

والدليل على هذه الحقيقة، هو قوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ، وآمراً إيّاه أن يقول للمشركين ما يأمره به ربُّهُ: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

﴿يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأنعام]، كما نرى: جعل تعالى دعاءَ غير الله، سبباً للردّة عن الدين والرجوع إلى الكفر والضلال بعد الإيمان والهداية.

**الرابعة: ولهذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين عموماً، ورسوله الأمين خصوصاً، ألّا يدعوا سواه أحداً:**

كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وقال: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]، كما نرى جعل الله تعالى إقامة الوجه لدين الله باستقامةٍ، ومن دون ميلٍ أو انحراف، مُنقِذاً من الدخول في عِداد المشركين، ثم جعل دعاء غير الله تعالى ـ والذي لا يملك الضرّ والنفع ـ سبباً للدخول في سلك الظالمين، وجديرٌ بالذكر أن كلمتي (الظلم) و(الظالم) إذا ذكرتا في سياق الحديث عن الشرك والمشركين، لا يقصد بهما غير (الشرك) و(المشرك)، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، وقد بيّنا في السابق أن رسول الله ﷺ فسّر الظلم هنا بالشرك، لما استشكل على الصحابة فهم الآية الكريمة، إذ تصوّروا أنّ المقصود بالظلم هو مطلق المعصية، لذا قالوا لا ينجو مِنّا أحدٌ[1]!

**الخامسة: والداعي لغير الله أو المستغيث بغير الله، يُعْتَبر مُشرِكاً في دين الله:**

١) ويدلّ على هذه الحقيقة، قول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا

(١) صحيح البخاري: (٤٦٢٩)، وانظر: (المصباح المنير في تهذيب تفسير إبن كثير)، ص: (٤٣١)، وروى الحديث بطوله الإمام أحمد في مسنده.

دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]، إذْ يبيِّن المولى جلّ وعلا أنَّ أحداً لا يجيب دُعاءَ المضطرِّ ويكشف عنه الضرَّ، إلّا الله وحده، ثم يوبِّخ المشركين العابدين الداعين لغير الله، بهذا السؤال الإستفهاميِّ الإنكاريِّ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾؟! أي فما دام غير الله تبارك وتعالى لا يجيب دعاءَ المضطَرِّ، ولا يقدر على دفع البلاءِ والضرِّ، إذاً: ينبغي أن يكون هو وحده الإله، وبناءً على هذا: فَمَنْ نَسَب إجابَة الدعاءِ، وكَشْفَ الضرِّ إلى غير الله تعالى، فهو قد اتخذ ذلك الغير إلهاً من دون الله، وأشرك بربِّه العظيم!

٢) وكذلك يدل على أن دعاء غير الله تعالى والإستنجاد، به شركٌ، ومَنْ يدعو غير الله، يُعتبر مشركاً، قولُ الله العظيم: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، إذ يعلن ربُّ العزة جل وعلا للمشركين، أنه ليس لهم ربّ سواه، فهو وحده المالك المطلق لكلِّ شيء، وأنَّ المعبودات الباطلة التي يدعونها، لا يملكون حتى الشيء التافه مثل القطمير، وهو الخيط الدقيق في شق نواة التمر[١]! ثم يخبرهم المولى عَزَّ شأنه بأن تلك الآلهة المدّعاة، ولو دعوها لا تسمع دعاءهم، ثم على سبيل الفرض، حتى لو سَمِعَتْ لما استجابت لهم، ويوم القيامة تتبرّأ من شركهم، ثم يقول تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا أحد يستطيع أن يخبرك بهذه الحقائق، مثل الخبير بها، وهو الله تبارك وتعالى.

(١) الأُلفُوفَةُ التي في نواة التمر، وهي القِشْرَة الرقيقة، مختار الصِّحاح، ص٤٧٢، لفظ: ق ط م ر.

والشاهد هو أن الله سَمّى دعوةَ الّذين يدعون غير الله تعالى، شركا: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾!

٣) وكذلك تدل على هذه الحقيقة المذكورة، الآيات (٦٩ إلى ٧٤) من (غافر) والتي تتحدَّث عن المشركين، الّذين يجادلون في آيات الله والّذين يكذبون بكتب الله، وبما أرسل به رُسُلَهُ صلوات الله وسلامه عليهم، عن عاقبتهم الوخيمة في جهنَّم، حيث الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أيديهم وأرجلهم، ويُسْحَبون وسْطَ الماءِ المَغليّ، ثم تُضرَم فيهم النّار!

وهناك يُسألون: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! وهم لا يملكون غير هذه الإجابة: ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ وَيُعَقب الله تعالى على إجابتهم تلك، بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فَيَصِمُهم الله تعالى بالكفر، بعد أن وَصَمَهم بالشرك.

والشاهد هو أنَّ المشركين لما يُسألون: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! يجيبون أولا: بأنهم فقدوا تلك المعبودات وَذَهَبتْ أدراج الرياح، قالوا: ضَلُّوا عنا، ثم يقولون: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: إنَّ معبوداتنا لم يكن لها وجود حقيقي، إذاً: قد كان شركهم بالله يتمثل في دعوة غيره، مِمَّن لا يملكون شيئاً، وكل المخلوقات لا يملكون شيئاً حتى الأنبياء، بل وحتى سيدهم وخاتمهم (محمد) صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، كما بيّنا ذلك في السابق.

**السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة: ولا يوجد أحدٌ أضلّ وأسْفَه ـن الذي يدعو غير الله تعالى، إذْ لا يستجيب لَهُ أبداً، بل هو غافلٌ عنه، ويوم القيامة يُعاديه ويتبرّأ منه ومن عبوديته الباطلة له:**

وهذه الحقائق الخمس بيَّنتها الآيتان (٥ و٦) من (الأحقاف): ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾.

**السادسة: لا يوجد من هو أضلُّ وأسفه وأجهل من الذي يدعو غير الله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾.

**السابعة: وكل الذين يُدْعون من دون الله أياً كانوا، لا يستجيبون لدعاتهم أبداً:** ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ والمقصود بهذا التعبير هو تأْبيد عدم الإستجابة، ولكن جُعِلَ يوم القيامة غاية مُدَّة عدم الإستجابة، لتصوير البعد الزمني المديد، ثم لتذكير المشركين بمصيرهم الذي سيُلاقون فيه ربَّهم الحق ـ والله هو العليم الحكيم ـ.

**الثامنة: بل المدعوون غافلون عن دعاءِ دعاتهم ولا يدرون به:** ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾.

**التاسعة: بَلْ أكثر من ذلك: سيُصْبِحُ المعبودون المدعوون أعداءً لِعُبّادهم ودعاتهم، عندما يجمع الناس ليوم القيامة تمهيداً للحساب والجزاءِ:** ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾.

**العاشرة: وفي النهاية سيتبرؤون من عبادتهم لهم (أي دعائهم إيّاهم):** ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، وأختم هذا الموضوع المهم بقولي:

إن الذريعة المشهورة التي يتذرّع بها المشركون في عبادتهم للأصنام ودعائهم لها، وهي أن تلك الآلهة (المُزَيَّفة) بسبب قربها من الله تعالى ستشفع لهم عند الله وتُقَرِّبُهم إليه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ... ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ... ﴿٣﴾﴾ [الزمر]، نعم إن تلك الذريعة هي نفسها التي يَتَذَرَّع بها أهل القبلة المتلبِّسين بالشرك، إذ يبرِّرون دعاءَهم المشائخ والصلحاء من الناس ـ بظنهم، والله أعلم بعباده ـ بأنهم بسبب قربهم من الله تعالى ومكانتهم لديه، سيشفعون لهم ويتوسَّطون لهم عنده!! سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وليس لهذا الزعم والإِدِّعاءِ أساسٌ سوى الجهل بالله تعالى، وقياسه على البشر الّذين يتوسط ويشفع بعضهم لبعض، وقد ردّ كتابُ الله الحكيم على هذا الزعم الكاذب، في أكثر من آية، وسنفصِّل القول في هذا الموضوع بإذن الله، عند حديثنا عن

المشركين، وذلك في الكتاب الثاني عشر بإذن الله تعالى، وقد أشرنا من قَبلُ إلى الآيتين (٥٦ و٥٧) من (الإسراء) واللَّتَيْن يُدْحِضُ فيهما الربّ الحكيم، تلك الذرائع السخيفة التي يتذرع بها أهل الشرك، لِتبرير شركهم المُتَمثِّل في دعاءِ غير الله تعالى، وغيره من مَظاهر الشرك بالله، سبحانه وتعالى، وهما: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].



### ٣) الذبحُ لغير الله تعالى:

ونوع آخر من الشرك بالله في مجال الشعائر، هو الذَّبْ لغير الله تبارك وتعالى، ولنتأمّلْ هذه الآيات البيِّنات أولاً:

١. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر].

٢. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام].

٣. ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ. . . ۝١٤٥﴾ [الأنعام].

٤. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام].

وبعد التدبّر في هذه الآيات المباركات وفهم مَرامها، يتبيَّن لنا بوضوح تامٍّ: أنَّ الذَّبحَ لغير الله تعالى، شرك به سبحانه، وذلك لأن الذَّبح يجب أن يكون لله فقط، مثله مثل سائر شعائر التعبّد التي لا يجوز صرفها لغيره سبحانه وتعالى، وكيفية دلالة الآيات المدرجة أعلاه على المطلوب، هي كالآتي:

**أولا:** أما قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، فيأمر فيها سبحانه وتعالى رسوله الكريم، أن يَخُصَّ ربَّه العظيم بعملين وهما: الصلاة والذَّبح، وقد قَرَن سبحانه ههنا ـ وكذلك في سورة الأنعام كما سيأتي ـ بين الصلاة والذبح، وبصيغة تدلّ على وجوب حصرهما في الله تعالى، وهذا إيذانٌ بأن النسك (الذبح) في كونه مُختصّاً بالله تعالى وغير جائزٍ صرفه لغيره، كالصلاة والتي هي الشعيرة الكبرى في عبادة الله تعالى.

**ثانيا:** وفي الآية (١٢١) من (الأنعام) ينهى ربُّ العِزّة سبحانه أهلَ

الإيمان بشدّة، عن الأكل من الذبائح التي لم يذكر عليها اسم الله تعالى، بل ذبِحَ لغير الله وذكر اسم غيره عليه، وسمّاها (فِسْقاً)، ثم أخبرهم وحَذَّرهم بأن الشياطين من الجنّ يوسوسون إلى المشركين الذين هم أولياؤهم، ليجادِلوا المؤمنين في مجال الذَّبح لغير الله تعالى، وأنَّ مَنْ أطاعَ المشركين في هذا المجال، فهو مشرك مثلهم! ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

ومن الواضح أن الأكل من المذبوح لغير الله حرام فقط، وليس شركاً، بدليل أن الله تعالى قَرَنَ الأكل من الذبيحة التي تذبح لغير الله بالأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير في أربعة مواضع من كتابه الحكيم، ولا شك أن أكل تلك المذكورات حرام فَحَسْب، وليس شركاً، وعند التأمل في السياق وبعد معرفة سبب نزول الآية[1]، نعلم أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ هو: وإنَّ اتبّعتم المشركين في قضية الذبح لغير الله تعالى، وذبحتم الذبائح لغير الله ستصيرون مشركين مثلهم.

**ثالثاً:** وفي الآية (١٤٥) من (الأنعام) يُسَمِّي سبحانه المذبوح على غير اسمه (فسقاً)، ومعلوم ان كلمة الفسق في أصل اللغة تعني الخروج، يقال: فَسَقت الرُّطْبَة، إذا خَرَجتْ من قِشرها[2]، وإنما سُمِّي المذبوح لغير الله فسقاً، لأنه أُخِرجَ عن وضعه الفطري الشرعي الذي يقتضي ألّا يذبح حيوان ذو حياة، إلّا على اسم فاطره ومحييه.

**رابعاً:** وفي الآيتين (١٦٢ و١٦٣) من (الأنعام) يأمر الله تعالى نبيهُ أنْ يُعْلِنَ بأن كلاً من: صلاته ونُسُكه وحياته وموته لله تعالى بلا شريك يشاركه في شيءٍ منها، والنُسك هنا يعني الذبح، وقوله تعالى على لسان نبيّه: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ يُبيِّن بجلاءٍ أن الذبح لغير الله شرك بالله، مثله مثل إقامة الصلاة

(١) أُنظر: (لباب النقول..) ص١١٠، رقم: ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧. وأسباب النزول، للنيسابوري، ص١٢٤. وانظر: سنن الترمذي: ٣٠٦٩، وسنن أبي داود: ٢٨١٩، والطبراني: ١٢٢٩٥، وسنن ابن ماجه: ٣١٧٣.

(٢) المصباح المنير، للفيومي، ص٢٤٥.

لغيره تعالى، وتقديم الحياة لغيره، واختيار الموت في سبيل غيره.

هذا وبعض العوام والجهلة حاولوا أن يبرِّروا فعلتهم الشركية (الذبح لغير الله) بتأويلات وسفسطات باطلة، لا مستند لها من الشرع الحكيم، إذْ يقول أحدهم الذي يذبح ذبيحة للشيخ الفلاني أو صاحب الضريح الفلاني: إني إنما أذبح ما أذْبَحُ باسم الله، أقصى ما في الأمرِ: أُهدي ثوابَ ما أذْبَحُ لروح فلان!

ولكن بعد التبيّن والتحقيق، نعرف أن تلك الأقوال مجرّد ادِّعاءات وتبريرات واهية، وأنه في الحقيقة ذَبَح ذبيحته لغير الله، إذْ ليس قصده بإهداءِ الذبيحة أو ثوابها لفلانٍ من الناس، سوى التَقَرُّبِ إليه والتوسُّل إليه بها - بدل التقرُّب والتوسّل بها إلى الله! - وذلك بغية الحصول على شفاعته له عند الله.

إذاً: فهو بتصرّفه الجاهلي ذلك، ارتكب نوعين من الشرك بالله في آنٍ واحدٍ، وهما:

١) الذبح لغير الله.

٢) والتوسّل والإستشفاع إلى الله بأحد مخلوقاته!

وقد أمرنا الله تعالى بكل من: التقوى منه، والتوسّل إليه، والجهاد في سبيله، في آية واحدة، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة]، وهذا يعني انه كما أن كلاً من: (التقوى) و(الجهاد) مُختصّانِ به سبحانه، ولا يجوز القيام بهما لغير الله تعالى، كما قال جلّ في علاه: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ... ﴿٤١﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ... ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ... ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

كذلك ابتغاءُ الوسيلة، لا يجوز إلى غير الله تعالى، وَمنْ غَيرُ الله في جَنْبِ الله؟ وماذا يملكون كي نتقرَّب إليهم ونتوسَّل إليهم بأخصِّ أنواع العبادة، أَوَ ما قال رسولُ الله ﷺ: **«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِر، كَلِمَةُ لَبِيدِ بن ربيعة: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الله بَاطِلُ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٣٥٥١)؟!

## ٤) النَّذرُ لغير الله تبارك وتعالى:

والنذر لغير الله تعالى، أيضاً نوع آخر من أنواع الشرك المستحدثة في مجال الشعائر، والنذر لغير الله، هو ما يفعله بعض الجهلة المتلبِّسون بالشرك، إذْ يذهب أحدهم إلى قبر فلانٍ من المشائخ أو الصالحين، ويناديه بلسان المقال أو الحال، فيقول: يا شيخ فلان! إنْ فعلت لي كذا وكذا، فإني نَذَرْتُ لك أن أذبح الذبيحة الفلانية، أو أنفق هذا المقدار من المال، أو أن أفعل الطاعة الفلانية..!

وهذا الفعل لا شك في شركيَّته، بل قد اجتمع فيه أكثر من نوع من أنواع الشرك، كالدعاءِ والنداءِ، والإستغاثة بغير الله، والإعتقاد بأنَّ المدعوَّ يَسْمَعُهُ ـ بَلْ وبعضهم يتصوَّر أن مدعُّوه يعلم خبيئَة نفسه وسِرَّ قلبه، ولو لم يتكلَّم ـ، وجَعْله لِصاحب الضريح المنذور له جَعْلاً، واشتراطه عليه شرْطاً، وكأنه يُعامل تاجراً أو صاحب دكّانٍ!!

وهذه آياتٌ مباركات ذكر الله تعالى فيها النذر:

١) ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة].

٢) ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

٣) ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

ونأخذ من هذه الآيات الحقائق الثلاث الآتية فيما يَخُصُّ النذر:

**الأولى: ان كلا من المنفق والناذر، إذا لم يراع اتِّباع الشرع أسلوباً وقصداً، فَسَينخرِطُ في سلك الظالمين:**

وسياق الآيات التي قبل هذه الآية والتي بعدها، هو الذي يدلُّنا على أن المقصود بالظالمين هنا، هم الّذين ينحرفون عن جادة الشرع في الإِنفاق والنذر، سواءً في أُسلوبهما الذي حدَّده الشرع، أو في القصد والنية فيهما، وذلك لأن هذه الآيات المباركات من الآية (٢٦١) إلى الآية (٢٧٤) من سورة البقرة كلها تدور حول محور الإِنفاق في سبيل الله، مركِّزةً على مسألتين اثنتين:

١) كيفية الإِنفاق وأسلوبه الصحيح الذي يجعل المال يقع موقعه، ويَسُدُّ الثغرة التي يجب أن يسدّها.

٢) النية التي تدفع صاحبها إلى الإِنفاق، والتي ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى، لا تشوبه شائبةٌ أخرى.

وإذا كان انحراف المنفق عن جادة الشرع في الأسلوب يجعله آثماً، وفي النية يجعله مرائياً ـ والرياء نوع من الشرك ـ فإن انحراف الناذر في الأسلوب أو القصد، يجعله متلبِّساً بالشرك، كما بيّناه سابقاً في تعريف (النذر لغير الله تعالى).

**الثانية: النذر من نوع مناسك الحج التي لا يجوز فعلها لغير الله، ومن حرمات الله التي ينبغي تعظيمها:**

والدليل عليها هو الآيتان (٢٨ و٢٩) من (الحج)، حيث يذكر الله تعالى الوفاءَ بالنذر من ضمن مناسك الحج وشعائره، وهذا يدل على أن حكمه هو حكمها، من حيث ارتباطهُ الخاص بالله تعالى، وعدمُ جواز فعله لغيره، والمناسك المذكورة في الآيتين هي على ترتيبها فيهما:

١. **ذكر اسم الله تعالى في أيام معلومات، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام (أي عند ذبحها):** ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج].

٢. **حلق الرأس أو تقصيره، وإزالة الأوساخ:** ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ [الحج]، وهذا يسمّى بالتحلّل الأصغر.

٣. **تنفيذ النذور وتأديتها:** ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج].

٤. **الطواف بالبيت العتيق:** ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج]، ويُسمّى هذا الطواف بطواف الركن، وطواف الإفاضة، لأنه من أركان الحج، ويتم فعله بعد الإفاضة من عرفات.

ثم يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج]، وهذا دليل على أن النذر شعيرة عبادية خاصة كغيرها من شعائر التعبّد، التي لا يجوز تقديمها لغير الله تعالى، وهو من حرمات الله التي يجب أن تعظَّم، ومن تعظيمها حَصْرُها على الله تبارك وتعالى.

**الثالثة: والوفاءُ بالنذر، غير إطعام الطّعام:**

والدليل على هذا، الآيات: (٧ و٨ و٩) من (الإنسان)، حيث أثنى تبارك وتعالى على بعض عباده بأنهم:

أولاً: ينفّذون النذور التي قطعوها على أنفسهم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾.

ثانياً: يخافون يوم القيامة ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

ثالثاً: ويطعمون الطعام الذي يحبّونه ـ بسبب قِلّتِهِ أو جودته، أو لأي سبب آخر ـ المسكين واليتيم والأسير: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾.

والشاهد هو أن الله تعالى ذكر (إطعام الطعام) بعد ذكر (الوفاءِ بالنذر) إذاً: فهما شيئان مختلفان، وإنما وضّحْتُ هذه المسألة ونبّهتُ عليها، لأنَّ بعض الجهّال ينذرون حيواناً أو طعاماً أو مالاً، لأحد المَشائخ أو الأضرحة، ثم يجعلون المنذور طعاماً ويطعمونه الناس، ظناً منهم أنهم طبّقوا هذه الآية وغيرها، من الآيات التي تأمر بإطعام الطعام للناس المستحقين!

ولإبليس اللعين طرق وفنون في إغواءِ الناس وإضلالهم!

## ٥) السّجود والركوع لغير الله تعالى:

بما أنَّ الركوع والسجود هما ركنان عظيمان من أركان الصلاة، إنْ لم يكونا أعظمها، والصلاة أعظم شعائر التعبّد لله تعالى، كما ذكرنا سابقاً، وقال تعالى آمراً نبيَّه الخاتم ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]، نَعَم: إنَّ كلاً من السجود والركوع، يعتبر من شعائر التعبّد الكبرى، التي لا يجوز فعلها لغير الله العظيم جلّ شانه.

وهذا الدليل وحده كافٍ لما نريد إثباته، ولكن علاوةً على ذلك وزيادة في الإيضاح نقول: لقد ذكر الله تعالى الركوع والسجود أو الأمر بفعلهما، في آيات تدل بنفسها وسياقها على أن السجود والركوع لا يجوز فعلهما لغير الله سبحانه، وهي:

١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج].

٢) ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت].

٣) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة].

٤) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [المرسلات].

٥) ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق].

وكيفية دلالة هذه الآيات على أن الركوع والسجود كليهما من شعائر التعبّد، ولا يجوز فعلهما لغير الله سبحانه، وأن من فَعَلهما أو أحدهما لغير الله تعالى، يعتبر متلبّساً بالشرك بالله، هي كالآتي:

**أولاً**: أما في الآية (٧٧) من (الحج) فيأمر الله العظيم جلَّ شأنه، عباده المؤمنين بأربعة أشياء:

أ ـ **السجود** ﴿وَٱسۡجُدُواْ﴾.

ب ـ **الركوع** ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾.

ج ـ **عبادة الرب** ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾.

د ـ **فعل الخير** ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾.

ثم يُرتِّبُ عليها الفلاح ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

ومن الواضح انه إذا وجد سجود مستقل في بعض الحالات، مثل سجدة الشكر، وسجدة التلاوة، فإنَّ الركوع لا وجود له منفرداً أبداً، بل هو إمّا أن يكون جزءاً من الصلاة، أو لا يوجد، وعليه فالمقصود بالسجود والركوع في الآية المباركة، هو الصلاة التي، هما من أعظم أركانها، وبما أن الصلاة لا يجوز فعلها لغير الله تعالى، مثلها مثل سائر شعائر التعبّد، فكذلك الركوع والسجود.

وعبادة الربّ عزَّ وجلَّ مشتملة على الصلاة وغيرها، ولكن ذكرت بعد الركوع والسجود، على قاعدة ذكر العام بعد الخاص، كما ان فعل الخير يشمل العبادة ـ بمفهومها الخاص ـ وغيرها.

**ثانياً**: وأما في الآية (٣٧) من (فصّلت)، فيبيِّن المولى تبارك اسمه أن الليل والنهار والشمس والقمر، كلّها من آيات الله أي آثار ربوبيّته الدالّة على أسمائِه الحسنى وصفاته العُلى، ثم ينهى الناس عن السجود للشمس أو للقمر، ويأمر بالسجود لله الذي هو ربّهما وخالقهما، ويُعَقِّبُ على ذلك النهي والأمر بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾، أي: ان كنتم تريدون أنْ تُحْسَبوا من عباد الله تعالى، فلا تسجدوا لغيره من المخلوقات التي هو ربها وخالقها جميعاً.

ويفهم من هذه الآيات المباركة بوضوح، أن من سجد للشمس، أو للقمر، أو لغيرهما من المخلوقات، فهو لا يُعْتبر عابداً لله تعالى، لأنه أشرك

به غيره في أخصِّ أنواع العبادة اللّازمة له، وهو السجود، وقد ذكر الله تعالى هنا الشمس والقمر ونهى عن السجود لهما، وهما أعظم المخلوقات فائدة على الإنسان، وأقرب الأجرام السماوية إليه، تنبيهاً على أن السجود ـ أو أيَّ نوع آخر من أنواع العبادة ـ لا يجوز لغيرهما بالأَحْرى.

**ثالثاً**: وفي الآية (٥٥) من (المائدة) يعرِّف الله تعالى المؤمنين، بثلاث صفات أساسية لهم، وهي:

**أ ـ إقامةُ الصلاة ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.**

**ب ـ إيتاءُ الزكاة ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.**

**ج ـ الركوعُ ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.**

ومعلوم أن كلاً من الصلاة والزكاة، ركن من أركان الإسلام الخمسة، كما جاءَ في حديث جبريل الذي رواه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وكل منهما شعيرة من شعائر التعبّد الكبرى، والركوع جزءٌ من الصلاة ولا يمكن أن يوجد مستقلاً، ولكن ذكره هنا منفرداً وبعد ذكر الصلاة والزكاة، فيه تنويه بشأنه العظيم، وتنبيه على أنه أيضاً من الشعائر التي لا يجوز فعلها لغير الله تبارك وتعالى.

**رابعاً**: وفي الآيتين (٤٨ و٤٩) من (المرسلات) يعرِّف سبحانه الكفّار بأنهم عندما يؤمرون بالركوع لله تعالى، لا يركعون! ويُعَقِّب على ذلك بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي: ويلٌ لهم على عدم ركوعهم لله، بالإضافة إلى جريمتهم الأخرى وهي التكذيب.

وجلي أنَّه لولا أن الركوع لله تعالى شعيرة كبرى، وعبادة لها خصوصية عظمى، لما حكم الله تعالى على الناكب عنه والرافض لفعله بالويل!

**خامساً**: وفي الآية (١٩) من (العلق) يأمر الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ

---

(١) صحيح مسلم: ٨.

وفي سياق آيات تتحدَّث كلُّها عن مضايقات المشركين له وإيذائهم له، بعدم الإنقياد للكفار، والسجود لله والإقتراب منه جلَّ شأنه، وهذا يدل على أن السجود لله تعالى هي العبادة المُثلى، والوسيلة الفُضلى للتقرب إلى الله تعالى، وكلُّ ما يُعْمَل متقرَّباً به إلى الله تعالى (وهو كل ما اصطلح عليه بالعبادات المحضة) لا يجوز أن يجعل لغيره فيه نصيب، ومن فعل ذلك، فقد أشرك غيرَ الله في عبادة ربِّه جلَّ وعلا.

وبناءً على ما مرَّ ذكره، نقول:

ان السجود أو الركوع لغير الله تعالى يُعَدُّ شركاً بالله تعالى، إذْ ليس الإشراك بالله ـ في معناه الأشهر ـ إلّا تقديم بعض ما يجب أن يُخَصَّ به الله تعالى من أنواع العبادة، لغير الله تعالى، وبما أن الركوع والسجود كلاهما من أنواع العبادة الواجبة لله، ومن شعائرها الكبرى، فمن فعلهما أو أحدَهما لغيره سبحانه، فقد أشرك به غَيْرَهُ، تعالى شأنه.

أَجَلْ هذه هي الشركيات الأساسيَّة التي استُحدثتْ في مجال شعائر التعبّد ـ حسبما أرى ـ ولم أنْسَ كلاً من (الحَلِف بغير الله) وقول (ما شاء الله وشئت) أو (لولا الله وفلان) و(الرِّياء) الذي سمّاه رسول الله ﷺ بالشرك الخفي، نعم لم أنس هذه الأشياء، ولكن لم أُدرِجُها ضمْن الشركيات التي تُعَدُّ كفراً مُخرِجاً من المِلَّة، لأنَّها لم توصف في كتاب الله بأنها شرك، وقد اعتبرت هذه الأشياء في السنة النبويَّة نوعاً من الذنوب والأخطاءِ ولم تعتبر شركاً بالله، بالمعنى المتبادِرِ إلى الذهن لكلمة الشرك، وما اعتبِرَ منها شركاً أو سُمّيَ به، فالمقصود به هو الشرك الجزئي الصغير، وذلك كالحلف بغير الله والذي سمّاه رسول الله ﷺ كفراً أو شركاً: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»** رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ برقم: (١٣٥٣)، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَصَحَّحَهُ الألباني.

ولكن قَبْلَ أنْ نترك موضوع الشركيات المستحدثة في مجال الشعائر، أودُّ التنبيه على مسألة مهمة، وهي:

**ان اعتبار قولٍ أو فعلٍ ما شركاً، شيءٌ، واعتبار صاحبه (قائله أو**

**فاعله) مُشركاً، شيءٌ آخر، إذْ قد يكون قول المرء أو فِعله شركاً أو كفراً (والشرك نوع من أنواع الكفر)، ولكن لا يكون هو مشركاً أو كافراً، وذلك لعدم ثبوت شروط التكفير، أو عدم انتفاءِ موانعه في حقه، ولزوم إعمال هذه القاعدة: (ثبوت الشروط وانتفاء الموانع) في حق مَن يُرى أو يُسْمَع منه الكفرُ والشركُ، قبل الحكم عليه، مما اتفق عليه العلماء كافة.**

**لذا ينبغي أن لا نستعجل بالحكم بالكفر والشرك على أحد من المسلمين المتلبّسين بهما، إلّا بعد البحث والتفحّص والتحرّي الدقيق عن حالِهِ، وتطبيق القاعدة المشار إليها عليه.**

**والمقصود بالقاعدة المذكورة وكيفية إعمالها، هو:**

**أن مَن سُمِعَ منه، أو رؤي فيه، شيءٌ من الأقوال والأفعال الشركية ـ من المسلمين ـ، لا يحكم عليه بكونه مشركاً وكافراً، إلّا إذا:**

**أولاً: تحققت فيه جميع الشروط التي اشْتُرِطَت فيمن يُحْكَم عليه بالكفر والشرك، من: وصول البلاغ المبين إليه، وإقامة الحجة الشرعية عليه، مِمَّنْ هو أهلٌ بأن تقوم به الحجَّة، وكونه عاقلاً بالغاً.**

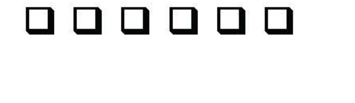
**ثانياً: وانتَفَتْ عنه جميعُ الموانع التي يمنع كل واحد منها إطلاق حكم الكفر والشرك على الإنسان المسلم، وهي: ١ ـ الجهل الذي يُعْذَرُ به، ٢ ـ والعَجْزُ، ٣ ـ والإكراه، ٤ ـ والتأويل، ٥ ـ والخطأ، ٦ ـ والنِّسيان.**

ثم إذا تبيَّن بعد الكشف والتحرِّي، بأن الشروط كلها متوفِّرة فيه والموانع جميعاً منتفية عنه، فهناك ـ وهناك فحسب ـ يمكننا إطلاق الحكم الذي يستحقه عليه.

ومن الواضح أن ما ينبني عليه الحكم بالكفر والشرك على أحد من المسلمين، هو الأقوال المسموعة والأعمال المشهودة فقط، وان كانت المكفِّرات والمشرِّكات في الواقع أعمَّ منهما، وتَشْمُل بالإضافة إليهما،

أعمالَ القلوب المنافية للتوحيد والإيمان أيضاً، ولكن بما أن القلب وما يحتوي عليه من أسرارٍ وخفايا، لا يعلمها سوى عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى، وأحكام التعامل الدنيوي بُنِيَتْ على الظاهر المعلن من الناس (أي المسموع والمرئي منهم) وليس على ما يُخْفونَهُ في قلوبهم، لذا فلا يحكم على شخص، إلّا من خلال ما يُسْمَعُ منه من أقوال، أو يُرى منه من أعمال، وقد اتفقت أئمة الإسلام كلهم في هذا المجال على قاعدة:

(نحن نحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر).





## المطلب الثاني:
## أبرز البِدع التي اسْتُحْدِثَت في مجال الشعائر

قبل الشروع بالحديث عن بعض تلك البدع، أودّ أن نبحث بإيجاز عن مفهوم كلمة (البدعة) ومعناها في الشرع، فأقول:

لَمْ تَرِدْ كلمة (البدعة) بهذا اللفظ في كتاب الله تعالى، ولكن وردت بلفظ (ابتدعوها) في قوله تعالى عن النصارى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد].

وكذلك وردت كلمة (بِدْعاً) في قوله تعالى مخاطباً رسوله النبي الأمي ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف].

ولكن كلمة (بِدعة) وكلمة (مُحْدَثة) كِلْتَيْهما وردتا في السنة النبويّة، كما أشرنا إليه من قبل، وقد استعمل النبيّ الحكيم الكلمتين، بنفس المعنى تقريباً، في الحديث الشريف المشهور بخطبة الحاجة والذي جاءَ فيه: «**إنَّ كل مُحْدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة...**» وكذلك استعمل كلمة (أحْدَثَ) بمعنى (ابتدع) في قوله: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٧١٨).

والمُلاحَظ ان رسول الله ﷺ استعمل كلاً من كلمتي (بدعة) و(مُحْدَثة) و(أحدث) في معرض الحديث عن الدين كلِّه، وليس عن جانبٍ أو أكثر

منه، وهذا واضح في سياق الأحاديث التي وردت فيها الكلمات المذكورة، مثل:

١) **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيرَ اَلْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الْهَدْيِ هَدْي مُحَمَّدٍ، شَرَّ اَلْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.: (٨٦٧).

٢) **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»** رواهُ البُخَارِيُّ برقم: (٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ برقم: (١٧١٨).

٣) **«... وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»** رَواهُ أَبُو دَاوُدَ: برقم: (٤٦٠٧)، وَالتِّرمِذِيُّ: (٢٦٧٦) وَقَالَ: حَدِيثٌ حسَنٌ صحِيح.

**وبناءً عليه: فكل ابتداع واستحداثٍ في الدين مذموم، ولكن إنما قلنا في السابق بأن الإبتداع المذموم يخصُ جانبي العقيدة والعبادة ـ بمفهومها الشعائري ـ لأن دين الله الحق وضع في كل من هذين الجانبين العظيمين، النقاط على الحروف بدقة ووضوح، لِذا يصطدم إحداث أي شيء جديد فيهما، بحكم شرعي واضح فيهما، وهذا هو الإبتداع المذموم المنهي عنه، والمقصود في الحديث الشريف.**

ولكن مجال المعاملات ـ بالمفهوم الشامل، للمعاملات والذي يسع السياسة والإقتصاد والإجتماع ـ، بما أن الشرع الحكيم ترك فيه فراغات كثيرة، كي يملأها العقل باجتهاده المتواصل للقضايا المستجدّة فيها، فالإجتهاد والإحداث والتجديد فيها، وان كان ابتداعاً بالمفهوم اللغوي لكلمة الإبتداع، ولكن بمفهومها الشرعي ـ والمتعيِّن والمقصود في الحديث ـ بمنأى عن البدعة المذمومة، ولهذا سَمَّيْتهُ بالإبداع، أي: (الإبداع في أمور الدنيا)، وذلك تمييزاً له عن الإبتداع الذي هو: (ابتداعٌ في أمور الدين).

وتلخيصاً لما تقدَّم عن مفهوم البدعة، أقول:

ان إحداث أي شيء في دين الله، يصطدم بحكم شرعي صريح وواضح فيه، يعتبر بدعة في أي جانب من جوانب الدين كان، والبدع كلّها سيئة ولا حُسْن في الإبتداع في الدين مطلقاً، وذلك لأن الإحداث والإبتداع

في الدين، إنما يتم على حساب الدين وسُننه القويمة، ولهذا قيل: (ما أُحْدِثَتْ بِدْعةٌ إلّا وأُميت في مكانها سنة)، ولكن راج استعمال كلمة البدعة والإبتداع في مجالي الإيمان والعقيدة، والعبادة بمفهومها الخاص، لأن الغالبية العظمى من البدع استحدثت في هذين المجالين، وقد سمّى العلماء المحققون كلّ المُحْدِثين للبدع في هذين المجالين، بأهل البدع.

والإنسان لا يعرف قَدْر هذا المعروف العظيم، الذي أسْداه دينُ الله الحق للمسلمين خاصة وللبشرية عامة، بتحريمه وتجريمه الإبتداع في الدين، إلّا إذا اطّلع عن كثَبٍ على الويلات والتحريفات التي أصابت اليهودية والنصرانية وغيرهما من الشرائع الربّانية السابقة، من جرّاءِ الإِحداث والإِبتداع في الدين، والذي يفتح دَوْماً باب التحريف والتشويه لدين الله على مصراعَيْه، لكل من هبَّ ودبَّ باسم الدين! والذي يطالع التوراة والإنجيل الحاليين المحرَّفين، واللَّذيْن سُمِّيا بـ(العهد القديم والعهد الجديد) يجد مصداق ما قلته بوضوح.

وقد أشرنا من قبل أن الشيعة والصوفية عموماً هم أكثر الطوائف إحداثاً في الدين وإدخالاً للبدع فيه، في كلا مجالي العقيدة والعبادة، ثم تلقَّفها منهما العوام على مستوى الأمة كلِّها وتَبنَّوْها، واستمرؤوها وروّجوا لها حتى تغلغلت في كل جوانب تديّن المسلمين، بل صارت عند كثير من الجهلة، وحتى بعض أنصاف أهل العلم، جزءاً لا يتجزّأ من دين الله الحق!!

والآن بعد هذا التوضيح لمفهوم كلمة البدعة والإِبتداع، فهذه إشارة مختصرة إلى أبرز أنواع البدعة المستحدثة في مجال شعائر التعبّد، والتي هي من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها:

**١ ـ إضافة أشياء إلى الأذان، قبله وبعده:**

وألفاظ الأذان وكيفيته، معلومة وواضحة في كتب السنّة والسيرة.

**٢ ـ قراءة دعاء «اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَ القَائِمَةِ. . .» إلخ، بعد الإقامة للصلاة:**

والدعاء المذكور وتمامه هو: (**اللّهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة**

**القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)**[1]، إنما محلّه بعد الأذان مباشرة فحسب، لذا فزيادته بعد الإقامة بِدعة، وان كانت بدافع محبة النبيّ ﷺ، ومعلوم أن سُمُوَّ الغرض لا يشفع لعدم شرعية الوسيلة، ويَجِبُ أن يدفعنا حُبُّ رسول الله ﷺ إلى الإتّباع، وليس الإبتداع الّذي يُبْعِدنا عنه ويُبَغضنا إليه!

**٣ ـ التلفظ بالنية ورفع الصَّوت بها، للوضوء والصلاة وغيرهما:**

وهذا أيضاً ابتداع آخر إذ لم يَرِ من رسول الله ﷺ في أحد من كتب السنة، أنّه كان يتلفظ بالنية للعبادات، باستثناءِ نية الإحرام بالحج والعمرة فقط، ومن الواضح أن النية عمل القلب ولا علاقة لها باللسان، وقد فتح إبليسُ اللعين باب وساوس كثيرة على كثير من المسلمين، بسبب التلفظ بالنية، والشروط والشكليات التي زادها عليه بعض أهل العلم، والتي زادت الطين بَلَّةً!

**٤ ـ قراءة أدعية خاصة على الأعضاء، عند غسلها للوضوء:**

والتي زاد أمرَ الوضوء تعقيداً وصعوبة عند كثير من المسلمين، وقد رأيت بأم عيني من كان راغباً في الصلاة، ولكن كان يحجبه عنها تعلُّم تلك الأدعية التي ظن أنها شرط لصحة الوضوء!

وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (المنهاج)[2] ما نَصُّهُ: (وحذفت دُعاءَ الأعضاءِ اذ لا أصل له)، وقد كان النووي فقيهاً ومحدثاً معاً.

**٥ ـ إِبتداع بعض الأنواع من الصلوات التي لا أصل لها في الشرع:**

وذلك مثل: صلاة النصف من شهر شعبان وغيرها...

---

(١) عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»، رواه البخاري: ٦١٤.

(٢) منهاج الطالبين، ص٨.

### ٦ ـ المواظبة على الدعاءِ والذكر الجماعي بعد الصلوات الخمس المفروضة:

وهذه أيضاً من البدع المستحدثة التي لا أصل لها في سنة رسول الله ﷺ، نعم هناك أذكار كان رسول الله ﷺ يواظب عليها بنفسه بعد الصلوات المكتوبة، ويأمر بها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وذلك مثل: (الإستغفار ثلاثاً بعد التسليم، والتسبيح والتحميد والتكبير، كل ثلاثاً وثلاثين مرة، ثم قول: **«لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْك وَلَهُ الْحَمْد يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** تمام المائة، وغيرها من الأذكار، ولكن كان يقرأها في نفسه سِرّاً (أي بصوت خفي) وكذلك الصحابة، ولا يقرؤونها جماعياً.

### ٧ ـ الذكر مع الصياح والهياج والرقص... إلخ:

وهذا أيضاً من البدع القبيحة في مجال تلك الشعيرة الكبرى (ذكر الله تعالى)، والتي لا يليق به غير الخشوع والقنوت، ولا تَجْمُلُ له غير السكينة والوقار! كيف وقد وصف الله تعالى صلاة المشركين عند بيته الحرام، بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال]، والمُكاءُ هو[1] الصَّفير ـ أي إخراج الصوت من الفم والشفتين ـ، والتصدية هي التصفيق باليدين[2]، وبعض من يعتبرون أنفسهم أهل ذكر وتزكية، يفعلون تلك الأشياء وزيادة، من خلال ما يسمونه بذكر الله تعالى، في مختلف الأَقطار الإسلامية!

هذا بالنسبة للشركيات والبدع المستحدثة في مجال شعائر التعبّد، أو أبرزها وأشهرها.

وأما بالنسبة لكيفية إزالة تلك الشركيات والبدع، فسنبحث هذا الموضوع في الفقرة التالية:

---

(١) مختار الصِّحاح، ص٥٤٤، لفظ: م ك ا.

(٢) المعجم الوسيط، ص٣٨٣.

## المطلب الثالث:
## الطريق الصحيح لإزالة الشركيات والبدع، سواءً في مجال الشعائر أو غيرها

**الخطوة الأولى: تفهيم الناس كتاب الله الحكيم:**

نعم إن السّعي لتفهيم الناس كتاب الله تعالى، وإفهامهم أن دين الله تعالى منحصر في كتاب الله الكريم، وليست سنة رسول الله ﷺ سوى بيان وشرح لكيفية اتِّباعِ كتاب الله وتطبيقه، وإقناعهم بأنه يجب أنْ يأخذوا دينهم من معين كتابِ الله الصّافي الزُّلال، وشرحه وبيانه المتمثل في سنة رسول الله ﷺ، هو الخطوة الأولى لمحاربة الشركيات والبدع، وتطهير أذهانِ المسلمين وقلوبهم منها، وذلك لأن السبب الأساسي لضلال المتلبّسين بالشركيات والبدع، هو غفلتهم عن كتاب الله، ذلك المعين الصافي ولجوئهم إلى مصادر أخرى، هي في أفضل حالاتها فهوم للدين، وتجارب في ميدان التديُّن، ليس إلّا، ويحتمل الخطأ والصواب، ومعلوم أنه:

**(ما لم نُصَفِّ للناس موردهم، فلن يَصْفوَ لهم وِردٌ أبداً)**، وقد قال ربّنا ذو الجلال والاكرام، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ . . .﴿٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

**الخطوة الثانية: السّعي لترسِيخ الإيمان والتوحيد في قلوب الناس، حسب المنهج القرآني:**

والمنهج القرآني يعني أشياء كثيرة، ولكن الّذي أردته هنا، هو أن نشرح ونوضح للناس مفهوم ربوبية الله ومالكيته وأسمائه الحسنى وصفاته

العلى، ثم نربط بها ألوهية الله تعالى وولايته وحاكميته، لا أن نعزل مسألة الألوهية عن ربوبية الله وأسمائِه وصفاته، بذريعة أنها هي بيت القصيد، كما فُعِلَ هذا في بعض الكتب المؤلَّفة في العقيدة والتوحيد!

وذلك لأنه وكما قلنا مراراً: قلّما يَحْدُثُ انْحراف في أذهان الناس عن قضيّة الألوهية، إلّا بعد حدوث الخلل في قضايا ربوبية الله تعالى ومالكيته وأسمائِه وصفاته وشؤونه، ولهذا نرى القرآن الحكيم، وعلى الرغم من إقرار المشركين بربوبية الله تعالى وخالقيته، يركّز عند حديثه معهم حول قضية الألوهية: على خالقية الله وربوبيته وأسمائِه وصفاته تركيزاً عظيماً، لأن الله تعالى الخبير بأسرار خلقه، يعلم أين جذور الخلل! وقلّما يوجد من يعرف الله تعالى بِحَقِّ خالقاً وربّاً ومالكاً، ويعرفه بأسمائه وصفاته وشؤونه، من خلال كتاب الله الحكيم، ثم يعبد غيره!

**الخطوة الثالثة: نشر السنة النبوية وتفهيم الناس إياها:**

وهذه الخطوة كذلك خطوة مهمة في طريق إزالة الشركيات والبدع، وغربلة أذهان المسلمين وقلوبهم منها، وتمحيصهم وتهذيبهم من جذورها ورواسبها، التي تراكمتْ على مرِّ السّنين، وشوَّهت كثيراً من جمال الدين الفطري، في نظر من لا يعرفون الدين، من خلال مَعينهِ الصّافي.

وقد فصَّلت السنّة النبويّة المباركة القولَ، في مجال شعائر التعبّد تفصيلاً، لم يُبْقِ مجالاً لتدخل أحدٍ من الناس، وأكثر ما يوجد من السنّة المتواترة هو في هذا المجال، وذلك لأنَّ رسول الله ﷺ وكما قلنا سابقاً، كان يُولِي إقامة الشعائر عناية خاصة ويتولّاها بنفسه، ويُقيمها للمسلمين، إذاً: لا نحتاج إنْ أردْنا إقامة شعائر التعبّد على وضعها الشرعي، الّذي كان يقيمها عليه النبيّ الخاتم ﷺ، سوى قراءة كتب السنة والسيرة، وفهمها فهماً دقيقاً صحيحاً.

**الخطوة الرابعة: قول الحق، ولكن بأسلوب حق، في تصحيح الأخطاءِ وتقويم الإعوجاجات:**

نعم إن الخطوة الرابعة في مسيرة إزالة الشركيات والبدع، وإرجاع الناس إلى جادة التوحيد واتِّباع الكتاب والسنة، هي أن نتصدَّى للمظاهر

الشركية والبدعية المنتشرة في المجتمع، وأن نقول الحق، ولا نخاف في الله لومة لائم، ولكن يجب أن نلتزم في كل هذا بالحكمة والأسلوب الحق، وألّا نغفل عن:

١ ـ مُراعاة التدرّج، إذْ هي سنّة ربانيّة في الخلق والأمر.

٢ ـ ترتيب الأمور حسب أولوياتها التي وضعها الشرع لها.

٣ ـ الموازنة بين المصلحة المرجوّة والمفسدة المتوقعة.

٤ ـ النظر إلى جذور الأشياءِ وخلفياتها، وعدم الإِكتفاء بالنظر إلى ظواهرها.

وبسطُ هذا الموضوع يحتاجُ مكاناً خاصاً، وإنما هنا أردنا التنبيه عليه فقط.

وأُنهي هذا الموضوع وأَخْتُمه بقولي:

لا شك أن السَّعي لنشر التوحيد وترسيخ الإيمان والعقيدة الصحيحة في أذهان الناس وقلوبهم، وبَذْل الجهود لتعليم المسلمين، إقامَةَ شعائر التعبّد طبقاً للسنّة النبويّة، ثم العمل على إزالة الشركيات والبدع المستحدثة في مجال شعائر التعبُّدِ وغيره من المجالات، واجب كل مسلم، أنعم الله عليه بشيء من العلم الشرعي والفهم لدينه، حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب كل مسلم ـ كل حسب قدرته ـ كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران]، ومن الواضح أَنَّ الإيمان والتوحيد أعظم معروف، والشرك والبدع أسوأ منكر، ولكن ينبغي ألّا نغفل عن الحقيقة الآتية:

إنَّ الشرك بالله تعالى ليس محصوراً في ذلك النوع الّذي يُسمَّى في هذا العصر بـ(شرك القبور)، بل هناك ما هو أعظم منه خطراً وأشدَّ ضرراً وأوسع نطاقاً، والناس أكثر إليه استباقاً، وهو النوع الذي أُسمِّيه بـ(شرك القصور) وربّما سمّاه قبلي أهل العلم بهذا الإِسم، وإذا كان شرك القبور

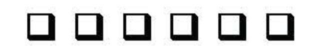
سبباً في إضلال الناس، والإنحراف بهم عن جادة الشرع، بمئات وألوف، فإن هَلْكى وضحايا شرك القصور، بأضعاف أضعاف أولئك!

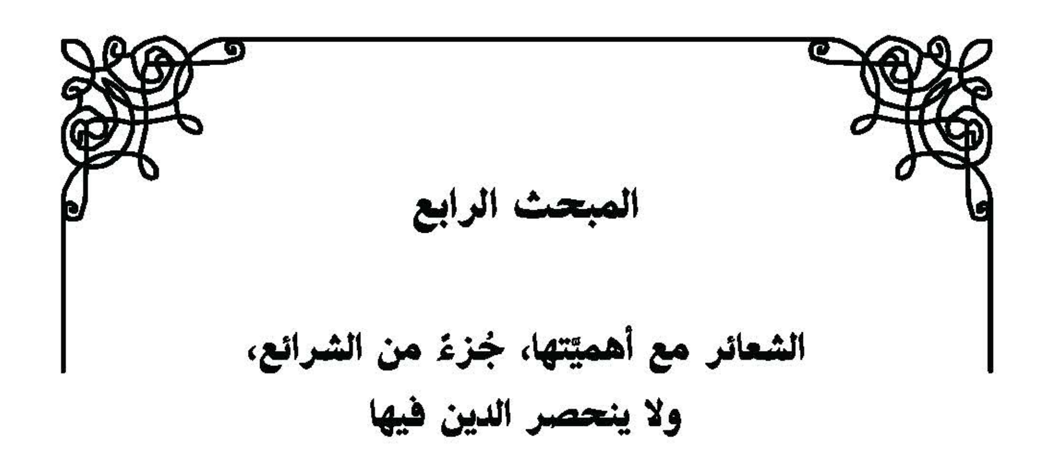
إذاً: لِنَتصد للشرك والمشركين، والبدع والبدعيين، طبقاً للموازين الشرعية، وفي كل المجالات، وعلى كافة الجبهات، وليكن تركيزنا على أنواع الشرك، وأصناف أهل الشرك المتلبِّسين به، وكذلك البدع وأهلها، تركيزاً عادلاً ومتوازناً، لكل نوع ولكل مجال بحسبه، وبمقدار ما يتطلبه.

أما أن نُعْلِنَ حَرْباً شعواءَ لا هوادة فيها، على مجموعة عوام، أو دراويش ومتصوِّفين دَعَوْا شيخاً، أو استغاثوا بصاحب قبر، ثم نَنْسى أو نُغْفِلَ الملايين من العملاء والجنود والجواسيس، الّذين يطيعون صاحب قصرٍ طاعة مطلقة، ويخضعون لطاغوت خضوعاً حتى النخاع! فهذا لا شكَ أنه موقف وتصرّف ما أنزل الله به من سلطانٍ، ويُشَوِّهُ الوجْهَ الحقيقي المشرق لدين الله، ويشوِّش أذهانَ الناس تجاهَهُ، ويفتح لهم مجالاً واسعاً لإساءَة الظن بدين الله الحق، ودعاته والعاملين له، في مُختلف الميادين.

وكذلك في مجال محاربة البِدَع وأصحابها، إذا أَبْصَرْنا بدعة الطّواف بالقبور والأضرحة ـ وقد يكون شركاً أيضاً ـ فلنبصر كذلك إنحراف الدوران في فلك أصحاب القصور، الّذين قد يُسمِّيهم البعض بولاة الأمور!

وبهذا ننهي الكلام عن المبحث الثالث، وننتقل إلى المبحث الرابع والأخير، والذي نُوجزُ فيه الكلام:





## المبحث الرابع

## الشعائر مع أهميَّتها، جُزءٌ من الشرائع، ولا ينحصر الدين فيها

نعم إنَّ شعائر التعبّد، مع ما لها من مكانة وأهمية خاصة في دين الله فهي في النهاية، ليست إلّا جزءاً من شرائع الله التي يتكوّن منها دينه القيِّم (الإسلام)، ولكن بما أن المكان المخصص للبحث عن الشرائع المنظَّمة لكافة جوانب الحياة (حياة الفرد والمجتمع) هو الكتاب الحادي عشر، نترك الحديث عنه إلى هناك، وإنما هنا أردْنا التذكير فقط، ولأنَّ كثيراً من الناس يتصورون أن الإسلام ليس إلّا الشعائر التعبدية! ونختم هذا المبحث كلَّه بهذه الآية المباركة: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشورى].

وأما الآن فإلى الفصل الثالث والأخير من هذا الكتاب العاشر بإذن الله العلي الكبير.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# الفصل الثالث

# التعامل وفق الآداب الشرعية، والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر


لە تۆڕە کۆمەڵایەتییەکان لەگەڵتانین
Stay in touch on social media
نحن معكم عبر مواقع التواصل الاجتماعي
MediaAmeerOffice
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapirw/عەلی باپیر
AliBapir1
archive.org/details/@alibapir
AliBapir/عەلی باپیر
AliBapir
Google Play
App Store
AliBapir / عەلی باپیر
www.alibapir.net
کوردی - عربي - English
ڕاگەیاندنی مەکتەبی ئەمیر

الخطوة الثالثة لبناءِ مجتمع إسلامي، يريدُ أن يُظْهِرَ دينَ الله الحق في واقع حياته، ويُعْلِنَ عبوديته لله العظِيم جل وعلا، بالمعنى القرآني الواسع لكلمة العبودية، هي تعامل المجتمع فيما بينه بكل أفراده وشرائحه، على أساس الآداب الشرعية، الَّتي أَلْزَمَ الله تبارك وتعالى بها المسلمين جميعاً، والقيام بجِد بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعليه: سنوضِّح بإذن الله، هذا الفصل الثالث في مبحثين:

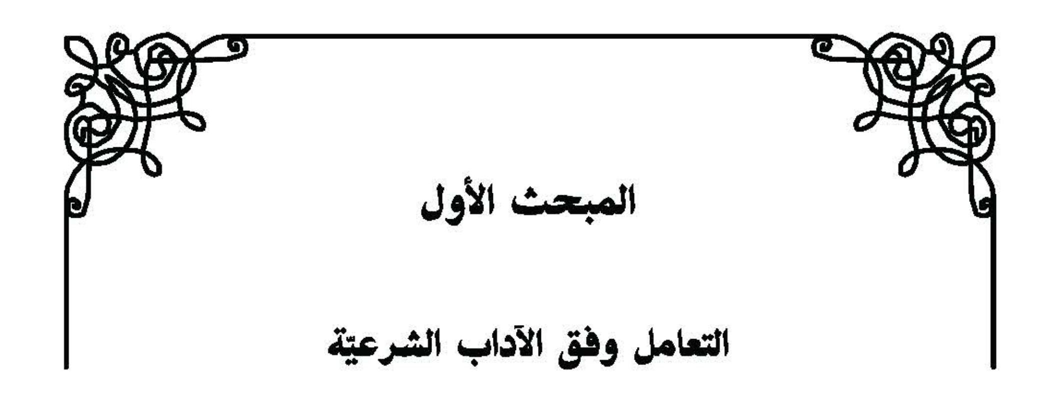
١) **التعامل وفق الآداب الشرعية.**

٢) **القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

ونبدأ بالمبحث الأول:

❋ ❋ ❋





# المبحث الأول

## التعامل وفق الآداب الشرعيّة

كما أنَّ دين الله القيِّم جَعَل الشعائر التعبّدية أُسلوب تعامل المسلمين مع ربِّهم الكريم تبارك وتعالى، كذلك فرض عليهم آداباً محدَّدة في مجال التعامل بينهم، أي إذا كانت الشعائر التعبّدية تُجسِّد توحيد وعبودية المسلمين لربِّهم أحسن تجسيد، فإنَّ الآداب التي أمرهم الله تعالى أنْ يلتزموا ويتحلَّوا بها في تعامل بعضهم بعضاً، تُجَسِّد الأخوة والوحدة بينهم بأعلى صورها، وسَنُلْقي بإذن الله تعالى وتوفيقه أنوار بعض الآيات المباركات على تلك الآداب، ولكن نتوخى غاية الإِختصار، وذلك في المطالب العَشْرَة الآتية:

1) **المجتمع الإسلامي: إيماني من حيث الأساس، ربّاني من حيث الوجهة، إنساني من حيث الدائرة.**
2) **المجتمع الإسلامي وولاة الأمور.**
3) **المجتمع الإسلامي وأهل العلم.**
4) **الزَّوجان.**
5) **الوالدان والأولاد.**
6) **الأقارب.**
7) **الجيران.**
8) **العناصر الضعيفة في المجتمع الإسلامي.**

٩) الضَّيف.

١٠) المجتمع ككلّ (آدابٌ عامة).

ونبدأ بالمطلب الأول والذي هو تمهيد وأساس للمطالب التِّسعَة الباقية، حيث نوضح فيه الخصوصيات الثلاث الأهم، التي تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات، وتجعل له شخصيته الخاصة، وتَصْبَغُهُ بالصِّبغة الفريدة التي لا مثيل لها: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].





## المطلب الأول:
## المجتمع الإسلامي: إيماني من حيث الأساس، ربّاني من حيث الوجهة، إنساني من حيث الدائرة

نعم إن المجتمع الإسلامي، يتميز عن سائر المجتمعات البشرية في أساسه الذي يُبنى عليه ويقف عليه، وفي وجهته وغايته التي يَصْبو إليها ويتوجّه نحوها، وفي دائرته التي تحيط به.

إذ المجتمع الإسلامي أساسهُ الإيمان، الإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، كما عرّف الله تعالى المجتمع الإسلامي الأول والأفضل، المكوّن من رسول الله وأهل الإيمان الذين معه، بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

ولهذا لم ينزل الله تعالى حكماً من أحكام شريعته، أياً كان نوعه سواء كان أمراً أو نهياً، إلّا ووجّهه إلى المجتمع الإسلامي مخاطباً إياهم بصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ تنبيهاً لهم بأنّهم إنما شرّفوا بتوجيه تلك الأوامر والنواهي الربانيّة إليهم، من الله الخالق الربِّ المالك جل شأنه مباشرة!! بسبب إيمانهم، ولولا إيمانهم، لما كانوا أهلاً لذلك التشريف والتكريم العظيم، لِذا: ليعمّقوا الإيمان في قلوبهم، وليرسّخوهُ في أنفسهم، كي يكونوا أكثر أهلية لذلك التشريف والتكريم!

وغاية المجتمع الإسلامي ووجهته التي يُوَجِّه إليها كل طاقاته وكل

اهتمامه، هي ابتغاءُ رضوان الربِّ الكريم وفضله، كما قال تعالى في وصف المجتمع الإسلامي الأول، المتمثِّل برسول الله ﷺ والّذين معه من الصحابة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

نعم يجب أن تسخر كل الطاقات في المجتمع الإسلامي، لإرضاءِ الله تعالى باتِّباع شريعته، وإعلاءِ اسمه العظيم بإظهار دينه.

وأمّا دائرة المجتمع الإسلامي من حيث شموله وسعته، فإنسانية تشمل البشرية كلها، وتسَعُها بكل أجناسها وشعوبها وقبائلها، وهذا يعني أن المجتمع الإسلامي، على الرغم أنه إيماني الأساس والنشأة، إذ هو يتكوَّن بالأساس من أهل الإيمان، ولكنه لا ينحصر وجود مواطنيه في المؤمنين، بل يقبل بمواطنة كل انسان، يرتضي بالإنتماءِ إلى المجتمع والكيان الإسلامي والعيش في ظلِّهما، وهذا ما سنفصِّل فيه القول في الباب الرابع (أي الكتاب الثاني عشر) بتوفيق الله تعالى، ونكتفي هنا بإيراد هذه الآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

❑❑❑❑❑❑



## المطلب الثاني:
## المجتمع الإسلامي وولاة الأمور

ـما أنّنا سنفصّل القول في كيفية تعامل المجتمع الإسلامي، مع أولي الأمر الّذين، يختارهم على أساس الشورى لإدارة أموره، في الكتاب الحادي عشر بتوفيق الله الكريم، نكتفي هنا بإشارة مختصرة، إلى بعض الآداب الأساسية التي يتوجب على كل من المجتمع وولاة الأمور، الإلتزام بها في تعامل بعضهم مع بعض:

فأما ما يجب على المجتمع، تجاه الذين يتولّون إدارة شؤونه على أساس الشريعة، فهو:

**أولاً: السمع والطاعة لهم في حدود الشرع:**

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ. . . ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وسنوضّح فيما بعد ـ في الكتاب الحادي عشر ـ كيفية السمع والطاعة لولاة الأمور، وشروطه ومجاله.

**ثانياً: تقديم التبجيل والإحترام لهم، والنصح لهم:**

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات]، وهذه الآية الكريمة وانْ كانت لها ارتباط خاص بكيفية التعامل مع رسول الله ﷺ، ولكن يؤخذ من فحواها، أنه يجب إكرام كلّ منْ يَنُوب عن رسول الله ﷺ في تبليغ الدين أو تطبيق الشريعة، وذلك

حسب القاعدة المعروفة: (إن خصوص السَّبب لا يمنع شمول المعنى)، وقد قال رسول الله ﷺ بهذا الصَّدد: «**إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ الله تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: (٤٨٤٣) قَالَ الألباني: حَسَنٌ.

وقال أيضاً: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٧٤).

**ثالثاً: الإلتزام بأوامرهم، وعدم الذهاب هنا أو هناك، عند الحوادث التي تقتضي الإجتماع:**

كما قال تعالى شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور].

وأما الذي يجب على ولاة الأمور في تعاملهم مع المجتمع، فيتمثل في:

**أولاً: الإلتزام التام بالشريعة في خاصَّة أنفسهم:**

كما قال تعالى لنبيه الكريم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية].

**ثانياً: الحكم بينهم وعليهم بما أنزل الله فقط:**

كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ... ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة].

**ثالثاً: الحكم بينهم بالعدل:**

كما قال تعالى: مخاطباً نبيّه الكريم ﷺ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ... ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى آمراً رسوله أن يقول: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ... ﴿١٥﴾﴾ [الشورى].

**رابعاً: مشاورتهم إياهم:**

كما قال تعالى لنبيّه الخاتم ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ...﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

**خامساً: العفو عن تقصيراتهم، واستعمال الرحمة واللين والشفقة معهم، ما دام في الأمر مجال:**

كما قال تعالى مُخاطباً رسوله النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

**سادساً وسابعاً: مشاركتهم إياهم في الشدائد والمحن، والإهتمام والحرص عليهم:**

كما قال جل شأنه في وصف رسول الله ﷺ، الّذي هو قدوة كل المؤمنين، وبالأخص الّذين ينوبون عنه في تولية أمور المسلمين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٞ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].



## المطلب الثالث:
## المجتمع الإسلامي وأهل العلم

ونُلَخِّصُ الآدابَ التي يجب أن يتعامل بها المجتمع الإسلاميُّ، وأهلُ العلم بعضهم مع بعض، في البنود التالية:

**أولاً**: يَجِبُ على أهل العلم عامةً، والمتخصصين في الكتاب والسنَّة خاصة، نَشْرُ ما علَّمهم الله تعالى من علوم ومعارف في المجتمع وتبصير الناس بالحقائق، بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، كما قال جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

**ثانياً**: ويجب على أهل العلم، أَنْ يكونوا عاملين بعلمهم، ويكونوا قدوة للناس، كي لا ينطبق عليهم قول الله تعالى الموجَّه لعلماء اليهود: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

**ثالثاً**: وبما أن العلماء هم ورثة الأنبياء، كما قال رسول الله ﷺ: «... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٣٦٤١)، وَالتِّرمِذيُّ برقم: (٢٦٨٢) قال الشيخ الألباني: صحيح، وكان النبيّ الخاتم يشارك أصحابه والمجتمع الإسلامي في مختلف مجالات حياتهم، وخاصة في الشدائد والأزمات التي تعترضهم، وكذلك كل الأنبياء كانوا هكذا مع أُمَمِهم وأقوامهم، لذا يجب على العلماء أن يكونوا متفاعلين مع أحوال المجتمع، ومشاركين للناس في همومهم وأحزانهم، كما كان مورِّثهم الكريم

الحكيم ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ...﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

هذا بالنسبة لكيفية تعامل العلماء مع الناس، وأما بالنسبة لتعامل الناس مع العلماءِ:

**رابعاً**: يجب على المجتمع الإسلامي بكل شرائحه، ألّا يَهْجُموا على أي موضوعٍ من غير علم ودِرايةٍ به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

**خامساً**: ويجب عليهم أن يسألوا العلماء وأهل الإختصاص في كل مجال، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ...﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

**سادساً**: ويجب عليهم أن يؤَمِّروهم ويُكْرِموهم وَيَلْتَزِمُوا بتوجيهاتهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟...﴿٧﴾﴾ [الحشر].

وقد ذكرنا من قبل أن هذه الآيات، وان كانت لها ارتباط خاص بالأدب مع رسول الله ﷺ، ولكن لورّاثه أيضاً نصيب في ذلك، كلٌ بحَسَبِهِ.



## المطلب الرابع:
## الزوجان وآداب التعامل بينهما

بما أننا نتحدَّث في الكتاب الحادي عشر عن الأسرة والأحوال الشخصية - بإذن الله - لِذا نوجِزُ القول في الآداب التي يجب على الزوجين الإلتزام بها، في تعامل بعضهما مع بعض، في البنود السبعة الآتية:

أولاً: الأصل في العلاقة الزوجية في الإسلام هو الحبّ والإحترام المتبادل والتراحم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

والزّوجانِ هما أَلْصَقُ الناس بعضهما ببعض، ولهذا شبَّه الله الحكيم كلاً من الزوجين باللِّباس للآخر، فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ... ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: والحقوق والواجبات بينهما متقابلة، كما قال جلّ شأنه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ... ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة]، وقد يظن البعض أن المقصود بالدرجة في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ هو امتياز وفضلٌ للرجال على النساء، ولكن الأمر ليس كذلك، بل المقصود بها شيء آخر، كما سنوضِّحه في البند التالي.

ثالثاً: والرجل مسؤول أمام زوجته، أن يكون قَيِّماً عليها ومديراً ومدبِّراً لشؤون الأسرة، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ... ﴿٣٤﴾﴾ [النساء]، والمقصود بالدرجة المذكورة في الآية (٢٢٨) من (البقرة)، هو هذه

القِوامة التي هي في الحقيقة مسؤولية وتكليف، وليست امتيازاً وتشريفاً.

رابعاً: وطريقة تعامل الرجل مع زوجته تتمثل في عدة أمور، أهمها:

١ ـ معاشرتها والتعامل معها بالمعروف، وإنْ كره منها بعض الأشياء، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ... ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، وهذا التعبير شامل لكل التصرّفات وفي جميع المجالات.

٢ ـ تأمين السكن والمعيشة اللائقة بها لها، حسب الإمكان، كما قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ... ﴿٦﴾﴾ [الطلاق]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ ... ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة].

٣ ـ وعند اعوجاجها ونشوزها، يحاول تقويمها بالطريقة التي حدَّدها كتاب الله في ثلاث مراحل متدرِّجات، وهي: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ... ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

خامساً: وتَتَمثَّلُ مسؤوليةُ المرأة أمام زوجها، وطريقة تعاملها معه في طاعتها وحفظها له في نفسها وماله، كما قال سبحانه وتعالى في وصف النساءِ الصالحات: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ... ﴿٣٤﴾﴾ [النساء].

وعند اعوجاج الرجل ونشوزه على زوجته، فلها أنْ تحاول إصلاح ذات البين بالصلح والتفاهم، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء].

وقد يتمثّل الصلح والتفاهم المذكور، في تنازل المرأة عن بعض حقوقها التي تُحْرِجُ الرجُل وتُثْقِلُ كاهِلَهُ.

سادساً: وعندما يصلان إلى طريق مسدود في حلِّ مشاكلهما بأنفسهما، يجب على أهليهما أن يَتَدخَّلُوا في الموضوع، وذلك بإرسال (حَكم) من أهل الزوج و(حَكم) من أهل الزوجة، ليبْحثا عن كَثَبٍ مشكلتهما ثم يَضعا

لها الحل المناسب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء].

**سابعاً**: وإذا لم يستطع الحَكَمانِ أيضاً حلَّ مشكلتهما (فآخر الدواءِ الكيّ) حيث للرجل إنْ كان هو المبادِرُ للإنفصال، حَقُّ الطلاق، وللزوجة ان كانت هي المتبرِّمة بزوجها، حق الإختلاع، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ... ﴿١﴾﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ... ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة].

وسنفصِّل القول في الأسرة وبعض ما يتعلق بها من مسائل، في الكتاب الحادي عشر بإذن الله.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## المطلب الخامس:
## الوالدان والأولاد

وفي مجال كيفية تعامل الوالدين والأولاد بعضهم مع بعض، أشير إلى أَهم ما يلزم الطرفين، أن يلتزموا به من آداب، في البنود الثلاثة الآتية:

**أولاً:** يجب على الوالدين كليهما وخاصة الوالد، أن يَبْذُلا قصارى جهودهما في تربية أولادهما تربية إسلامية، وتَنْشِئَتهم نشأة إيمانية منذ نعومة أظفارهم، ويجب عليهما أن يسعيا لإِبعادهم منذ البداية عن كل ما يؤدِّي بهم إلى غضب الله وعقابه، من الأفكار المُضِلَّة، والأخلاق الفاسدة، ورفقاء السوء، والعادات الضارة... إلخ، إذ كل هذه الأشياء من حقوق الأولاد الأكيدة على الوالدين، كما قال جلّ شأنه بهذا الصّدد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ...﴿١٣٢﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم]، وقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

**ثانياً:** ويجب على الأولاد ـ ذكوراً وإناثاً ـ أن يَبرُّوا بوالديهم ويكرموهما غاية الإكرام، في كل الأحوال وخاصة بعد دخولهما في السِّن، وأن يتجنَّبوا كل ما يؤذيهما ويسوؤهما، صغيراً كان أو كبيراً، حتى وان كان عبارة عن إبداء تضجّر وتبرّم! كما قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل

لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء]، وقد شرحنا هاتين الآيتين في مناسبات سابقة.

**ثالثاً:** وهناك آداب ينبغي أن يلتزم بها الأولاد، ويجب أن يربّوا عليها داخل البيت مع أبويهم، وأهمّها عدم الدخول عليهما في أوقات الإستراحة ليلاً كانت أو نهاراً، كما قال جل وعلا في هذا المجال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ [النور].



## المطلب السادس:
## الأقارب

بما أننا نتحدَّث عن (أولي الأرحام) في الكتاب الحادي عشر بشيء من التفصيل، نكتفي هنا بإيراد بعض الآيات المباركات فقط:

١) ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ... ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

٣) ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم].

٤) ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ... ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب].



## المطلب السابع:
## الجيران

وتتمثل طريقة التعامل الإسلامي مع الجيران، في الإحسان إليهم قولاً وفعلاً، وسِرّاً وعلانية، ومعنوياً ومادياً، وذلك لأن كلمة الإحسان تشتمل على كل هذه المفاهيم وغيرها، وقد أمرنا الله تعالى ورسوله بالإحسان إلى الجار، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ... ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

وقال نبي الرحمة ﷺ: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار، حتى ظننْتُ أنه سيُورِّثُهُ**» رواه البخاريُّ: ٦٠١٤، ومسلم: ٢٦٢٤. وقال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: من يا رسول الله؟! قال: «**من لا يأمَنَ جارُهُ بوائِقَهُ**» رواه البخاري مُعَلَّقاً: ٦٠١٦.



## المطلب الثامن:
## العناصر الضّعيفة في المجتمع الإسلامي

والطريقة الشرعية للتعامل مع العناصر الضعيفة والمنكوبة في المجتمع الإسلامي، تَتَلَخّصُ في إعانتهم والأخذ بأيديهم، ولكن بأسلوب صحيح، وبأدب رفيع، يشعرون معه بكرامتهم الإنسانية، إذ الإنسان قبل أن يكون جسداً، تُدْفَعُ سَوْرَةُ جوعه بالطعام، روحٌ، يحتاج إلى الإكرام والتوقير والإحترام!

وهذه بعض الآيات في هذا المجال، وقد تحدّثنا عن هذا الموضوع في مناسبات أخرى:

١) ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ... ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

٢) ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان].

٣) ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ... ﴿٦١﴾﴾ [النور].

٤) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ... ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة].

٥) ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء].

٦) ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة].

٧) ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ... ٢٧١﴾ [البقرة].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## المطلب التاسع:
## الضيف

ويتمثل التعامل الشرعي مع الضَّيف في إكرامه، والإكرام يشمل كلا الجانبين المادي والمعنوي: المادِّي بِخدِمته وإِحضار الطعام والشراب وغيرهما له، والمعنوي باستقباله والترحيب به، وإِبداء السرور والفرح بلقائِه وقدومه، وتَطييب الكلام معه، والبِشْرِ في وجهه... إلخ، ويتبيَّن في الآيات (٢٤ إلى ٢٨) من (الذاريات) والتي تتحدَّث عن قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع مجموعة نزلوا ضيفاً عليه، أَدَبُ تعامل المُضِيفِ مع ضيفه، في أرفع مستواه وأسمى صوره: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات].

ونأخذ من هذه الآيات، الآداب الثمانية الآتية، في التعامل مع الضَّيف:

**أولاً:** إكرام الضيف في أول اللِّقاءِ به: ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ويتَمثَّلُ هذا الإكرام في أشياء كثيرة، مثل الإستقبال والترحيب الحار، وإظهار السرور والبشر، وإِنزال الضيف في المكان اللائق به.

**ثانياً:** جواب سلام الضيف بأبلغ وأكمل منه: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾، والجملة الإسمية تَدُلُّ على الثبوت والدوام، فهي أبلغ من الجملة الفعلية في إيصال المراد.

**ثالثاً:** وسواء كان الضيف معروفاً لك أم لا، فإكرامه واجبٌ: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، فإبراهيم عليه السلام بالرغم من أنَّهُ لم يعرف ضيوفه، وكانوا مجهولين له، أكرمهم غاية الإكرام.

**رابعاً**: ومن أدب التعامل مع الضيف، ألّا تُشْعِرَهُ بأنك تتكلّف له وتُحضِّر له طعاماً، لئلّا ينحرجَ ويمنعك من القيام بما يلزمك القيام به له: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ إذ الرَّوَغانُ عبارة عن الذهاب بخفية ولطف، بحيث لا يَشعُرُ به الضيفُ، ولهذا سميت مشية الثعلب بالروغان، يقال: يروغُ رَوَغانَ الثعلب[1].

**خامساً**: وكذلك من آداب الضِّيافة أن تُحضِّر له أحسن ما تجدُ من الطَّعام من حيث النوعية، ومن حيث المقدار أن يكون أزيد من الكفاية: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ﴾، إذ العِجْلُ السمين المشويُّ[2] ﴿حَنِيذٍ﴾ من أحسن الطّعام، وقد وصف العجل الذي هيأه إبراهيم عليه السلام بالحنيذ، في (هود) في الآية (٦٩).

**سادساً**: وكذلك من الآداب الرَّفيعة في مجال التعامل مع الضَّيف، ألّا تُؤَخِّر عنه الخدمة بالطعام والشراب وغيرهما، بل تَسْتَعْجِلُ بها حسب الإمكان، وهذا ما تدل عليه الآية (٦٩) من (هود) في سياق نفس القصة: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هود].

**سابعاً**: ومن الآداب في الضِّيافة، أن يُؤتى الضَّيفُ بالطَّعام، وتُقرِّبه إليه بلُطفٍ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

**ثامناً**: ثم أن يطلب منه باحترام أن يباشر بالأكل: ﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾! وهذا التعبير في معنى قولنا المتعارف عليه اليوم: (تَفَضَّلْ).

وقال رسول الله ﷺ في مجال التعامل مع الضَّيف: «**مَن كَانَ يُؤمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ: البُخَارِيُّ برقم: (٦١٣٦)، وَ سلِمٌ برقَم: (٤٧).

هذا، وهناك أحاديث كثيرة في مجال الضِّيافة وآدابها، ولكن لم يكن قصْدنا الإستقصاء، بل التنبيه على ما نحسبه الأهم من الآداب، في المجالات التي أشرنا إليها.



(١) المصباح المنير، ص١٢٨، ١٢٩.

(٢) مختار الصِّحاح، ص١٥١، لفظ: ح ن ذ (حَنَذَ ـ يَحْنِذُ: شوى يشوي).

## المطلب العاشر:
## المجتمع ككلّ (آدابٌ وأصول عامة في تعامل المجتمع بعضه مع بعض)

سنُدْرِجُ ٱثنين وعشرين (٢٢) أدباً رفيعاً من الآداب التي يجِبُ أن يتعامل بها المجتمع الإسلامي، في (٢٢) بنداً:

١ ـ كل من كان مسلماً في المجتمع الإسلامي، فقاعدة التعامل معه هي: الموالاة معه على أساس الأخوة الإيمانية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات]، وسنفصّل القول في توضيح مفهوم الأخوّة الإيمانية والموالاة، في الكتاب الثاني عشر بإذن الله.

٢ ـ وأهل الإيمان متساوون وبعضهم أكْفاءٌ لبعضٍ، ولا ٱمتياز لأحد منهم على آخر، بسبب عرقٍ أو لون أو لغة أو قوم أو عشيرة أو جاه أو مالٍ... إلخ، كما قال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

٣ ـ والمواطنون غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يكرمون كإنسان، أحياءً وأمواتاً، إذ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء]، وقد قام رسول الله ﷺ لجَنَازَةِ يَهُودِيٍ ولما سئل عن ذلك وأُخْبِر أنه يهودي، قال: «أَلَيسَتْ نَفْساً؟!» رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (١٣١٢)، وَمُسْلِمٌ: (٩٦١). ويجب أن يعاملوا على أساس البرِّ بهم والإقساط إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

وسنبسط الحديث عن هذا الموضوع في الفصل الثالث من الكتاب الثاني عشر بإذن الله وتوفيقه.

٤ ـ تحية أهل الإسلام هي السلام، أي: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً... ﴿٦١﴾﴾ [النور]، وصيغة السلام جاءت في أكثر من حديث نبوي، مما روته أئمة الحديث أمثال البخاري ومسلم وغيرهما رحمهم الله تعالى[1].

٥ ـ وينبغي أن تُجاب التحِيَّة من أي كانت، بصيغة أفضل منها أو على الأقل بمثلها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء].

٦ ـ ولا تَجوز إساءةُ الظن بمن سلَّم علينا واتِّهامُهُ بعدم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء]، ولكن من عرفناه حق المعرفة بالكفر والنِّفاق، نعامله كما يليق به، ولكل مقام مقال.

٧ ـ ويجب على أفراد المجتمع الإسلامي أنْ يتجنَّبوا السخرية بالآخرين وتعييبهم ونَبْزهم بالألقاب، وكذلك سوء الظن بهم، والتجسّس عليهم، واغتيابهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

---

(١) صحيح البخاري: ٣٢١٧، وصحيح مسلم: ٢٤٤٧، وسنن الترمذي: ٢٦٩٨، وسنن أبي داود: ٥١٩٥.

٨ ـ ولكي يظلَّ المجتمع الإسلامي مجتمعاً طاهراً نظيفاً، فقد حرَّم الله تعالى فيه النظرة الشهوانية، لكل من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، وحفظ الفروج من كل ما هو حرام، وكذلك أَلْزَمَ النِّساءَ بسترِ زينتهن باستثناءِ الوجه والكفين، وعدم إبدائها إلّا لأزواجهنَّ ومحارمهن، أو من هم في حكمهم، وأن يجتنبن أية حركة لافتةٍ لإنظار الرِّجال، كضرب القدم بالأرض لِتَصوِّتَ الخَلاخِلُ، وكذلك أمر النساءِ بالإحتشام والتحوّط بسبب لبس الجلابيب والتَّلَفُّفِ بها، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... ﴿٣٠﴾﴾ [النور]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ... ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

٩ ـ واحتياطاً لعدم اطِّلاع الناس بعضهم على عورات بعض، وعدم رؤية بعضهم بعضاً في حالاتٍ تسوؤهم، فقد فرض الله تعالى على المسلمين آداب الزيارة المتمثلة في الإستئذان والتسليم، قبل دخول بعضهم بيوت بعض، وفي حالة عدم تواجد أهل البيت فيه، عدم دخوله إلّا بعد الإذن، والرجوع قهقرياً عند عدم السماح بالدخول، وتَلَقيه ـ أي عدم السَّماح بدخول البيت ـ بصدر رحب، لأنه من أحكام شرع الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [النور].

١٠ ـ ولكن الأماكن العامة التي يرتادُها الناسُ، مثل المطاعم والفنادق والمحلات التجارية وما شابَهَها، مستثناة من الحكم السابق، ويجوز لهم دخولها بدون مراعاة الآداب السابقة كلّها أو بعضها، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور]، والمقصود بقوله تعالى: ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ أي: لكم فيها حاجة، ولكم غَرَضٌ يتحقَّقُ فيها، والمقصود بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي: غير مسكونة بالعائلة التي يَجبُ التحفّظ في الدخول عليها، وليس المقصود به أنها لا يوجد فيها أحدٌ من البشر!

١١ ـ ويجب على أعضاء المجتمع الإسلامي عموماً وولاة الأمور خصوصاً، أن يَتَثبّتوا ويتحققوا من الأخبار والمعلومات التي تأتيهم عن الناس، قبل القيام بأي ردّ فعلٍ، أو إجراء قد يعقبه النَّدَمُ ويترتب عليه العقاب الأخروي والعقوبة الدنيوية، بسبب عدم صحّة الخبر أو المعلومة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

١٢ ـ وكذلك يجب على كل فردٍ من أفرادِ المجتمع الإسلامي، يصله خبرٌ مهم في مجال الأمن أو الخوف ـ كأخبار السلم والحرب مثلاً ـ ألّا يُذيعوا الخبر تلقائياً، بل يوصلوه إلى الجهات المختصّة وولاة الأمور الّذين يقرؤون ما وراءَ الأخبار، ويميّزون صحيحها من سقيمها، وما يصلح للنشر وما لا يصلح، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء].

١٣ ـ ويجب على المجتمع الإسلامي ككل، أن يتحلّى بالقول الحسن والفعل الحسن في جميع الحالات وكافة المجالات، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. . . ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

١٤ ـ وبخلافه يجب على المجتمع الإسلامي كلّه، أن يَتَجنَّب كلَّ أنواع قالة السوء، وإشاعة الفحش والتفحش، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، والمقصود بإشاعة الفاحشة هنا هو: نشرُ الكلام البذيء، وذكر الفواحش والآثام، وليس المقصود بالفاحشة هنا: الزنى، لأن هذه الآية وردت في سياق آيات، كلّها نزلت بمناسبة حادثة الإفك المشهورة.

١٥ ـ الحَذرُ واجتناب استعمال كلِماتٍ ومصطلحاتٍ مُوهِمةٍ لمعانٍ غير لائقة، أو مضادّة لمفاهيم إسلامية، أو حاملة لمضامين غير منسجمة مع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة]، وكلمات: الليبرالية، والإِشتراكية، والعَلْمانية، والرأسمالية، والعولمة.. في عصرنا هذا، من هذا القبيل.

١٦ ـ توسيع المجالس عند مجيء وافدين جدد، وإفساح المجال للآخرين، وقيام من يشار له بالقيام من دون تثاقل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟... ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

١٧ ـ عدم فعل النّجوى إلّا إذا اقتضته مصلحة شرعية واضحة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة].

والنجوى هو كلام السِرِّ بين اثنين أو ثلاثة أو أكثر، وفي حالة اعتزالٍ عن مجلس أو مجموعة[١].

١٨ ـ سعي المجتمع الإسلامي والكيان الإسلامي، لحلِّ مشكلة الشباب غير المتزوجين والشابات غير المتزوجات خاصة، والعزّاب عامة

---

(١) مختار الصِّحاح، ص٥٥٨، لفظ: ن ج و.

بتسهيل الزواج لهم مادياً وأدبياً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور].

١٩ ـ ومن لم يتيسّر له الزّواج، ولم تَتهيأْ له أسبابه، ينبغي أن يُعِفَّ نَفْسَه ويضبط شهوته، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ... ﴿٣٣﴾﴾ [النور]، وهذا الخطاب وان كان مختصّاً بالشباب، ولكن لا شك أن كُل الذكور والإناث الذين لم يتيسَّرْ لهم الزواج، مُلْزَمون بالإستعْفاف وضبط النفس، وقد أمر الله تعالى الرجال والنساء بالغضّ من البصر، وبحفظ الفرج، كما قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ... ﴿٣٠﴾﴾ [النور]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وقد أرشد رسول الله ﷺ الشباب إلى أفضل وسيلة للعفاف، وهي الصيام، حيث قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (١٤٠٠).

ولا شك أن الإنشغال بالعلم، وخاصة العلم الشرعي، والإشتغال بالكسب والعمل، أو بالرياضة، وأمثال هذه الأشياء التي هي بين واجب ومندوب ومباح، عامل مهمّ في طريق الإستعفاف، وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلم، وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ في (الأوسط) برقم: (٢٦٦٣) وَحَسَّنَهُ الألباني.

وقال: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيرِ لا أَدَّخِرْه عَنْكَمْ، وَإِنَّه مَنْ يَسْتَعِف يُعِفه الله، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْه الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ برقم: (٦٤٧٠).

٢٠ ـ عدم تولي الكفّار وعدم اتخاذ البطانة من غير المسلمين، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ

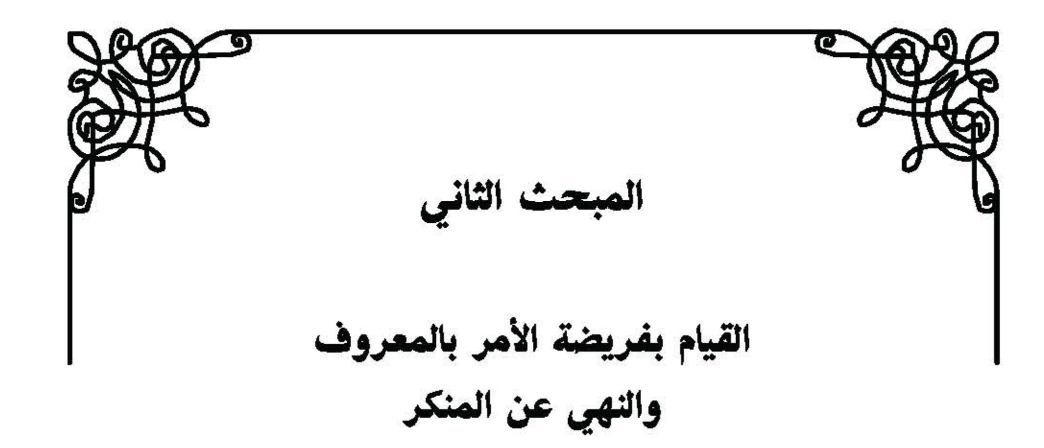
﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ... ١١٨﴾ [آل عمران].

٢١ ـ وعند حدوث شجار ونزاع بين طرفين من المسلمين، سواء كان على مستوى الأفراد أو المجموعات، يجب على المجتمع الإسلامي القيام بالصلح بينهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ... ١﴾ [الأنفال].

٢٢ ـ وإذا تطوَّر النزاع إلى اصطدام واقتتال بين طرفين مسلمين، يجب على المجتمع الإسلامي على كافة مستوياته، وخاصة على مستوى السلطة العليا، التدخل الفوري لإنهاءِ الإقتتال وَرأبِ الصّدع وإصلاح ذات البين، وإنْ تطلَّب ذلك استعمال القوة ضدَّ الطرف الّذي لا يُوقِفُ القتال، ولا يستجيب لنداءِ الصلح، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات].

وهُنا نُنهي الكلام عن المبحث الأول من هذا الفصل الثالث، وننتقل إلى المبحث الثاني المخصص لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بتوفيق الله.





## المبحث الثاني

## القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إِنما قدَّمْنا المبحث الأول على هذا الموضوع المهم، وان كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام، بالمقام الرفيع الذي لا يَخفى على أحدٍ له إِلماٌ بالشريعة، لأن الأصل في المجتمع الإسلامي، هو أن يتعامل بعضهم مع بعضٍ وفق الآداب الشرعية، في كل المجالات، ولكن بما أن البشر معرَّضون دَوْماً لارتكاب الأخطاءِ، بترك مأمورات معروفة، أو اقترافِ محظورات منكرة، لِذا أوجب الله الحكيم على المجتمع الإسلامي كلِّه، أن يقوم بهذه الفريضة العظيمة، لإصلاح الأخطاء وتدارك النواقص.

وسُنلَخِّصُ القول في هذه الفريضة الجليلة التي هي بحقٍ شعار المجتمع الإسلامي، في المطالب السَّبعة الآتية:

**١) معنى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.**

**٢) مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

**٣) مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

**٤) تعريف القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

**٥) تعريف الّذين يؤمرون بالمعروف ويُنهون عن المنكر.**

٦) **الصفات التي تشترط في القائمين بهذه الفريضة.**

٧) **تنبيهات مهمة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

ونبدأ بالمطلب الأول بتوفيق الله الكريم:

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## المطلب الأول:
## معنى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

**أما كلمتا (الأمر) و(النَّهي) فمَعروفتا المعنى، فالأمر إلْزامٌ بفعلٍ، والنَّهي منعٌ عنه، وأمّا كلمتا (المعروف) و(المنكر) المعرَّفتان بألِفٍ ولام التعريف التي تُغطي هنا معنى الإِستغراق، فالأولى منهما (المعروف) تَشمُل كل قول أو فعل حسن نافع صالح، والثانية (المنكر) تشمل كلّ قول أو فعلٍ قبيح ضارٍّ سيء.**

ومن الواضح أن المقصود بالحَسَنِ النّافع الصّالح، من الأقوال والأفعال، هو كل ما استحسنه الشرع واعتبره نافعاً صالحاً، وكذلك المقصود بالقبيح الضار السّيء، هو كل ما استقبحه الشرع واعتبره ضارّاً سيئاً، ومن المؤكّد أن العقل الصحيح والفطرة السليمة، يَسْتَصْوبان كلَّ ما قرّره الشرعُ، وحَكَم به على الأقوال والأفعال والأشياء والأشخاص، تحسيناً أو تقبيحاً، وهذه الحقيقة واضحة وثابتة لا تقْبَلْ التشكيك والجدل، وقد بيَّنها العلماء المحقِّقون بعد الإِستقراء الدقيق والشامل لأحكام الدين، وهذه هي نصوص الكتاب والسنّة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بين أيدي الجميع، فلْيتأمَّلوها وليستقرؤوها، وسَيَشْهدون للشريعة الربّانية الحكيمة بالنتيجة ـ كما شهِدَ لها كلُّ المنصفين على مَرِّ التاريخ، حتى غير المسلمين منهم ـ بِأَنَّها لم تأمر بشيء، فيقول العقلُ: ليْتَ لم تأمر به، ولم تنه عن شيء، فيقول: لَيْتَها لم تَنْه عنه!

وسبب هذا واضح، وهو أن كلاً من الشريعة والفطرة، أو الدين الحق والعقل السليم، وجهان لحقيقة واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

﴿حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم].

نعم إن الدين الحق أمرُ الله والفطرة السَّليمة خَلْقُهُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف]، ولا يمكن أنْ يتصادم أَمرُ الله ودينُه، مع خَلْقه وفطرته، بل ينبغي أن تكون بينهما الأُلْفة والإِنسجام والتوافق في أرفع صورها.

وعليه:

فمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو إِلزامُ الغير بما أمر به الشرعُ، ومنعه عمّا نهى عنه الشرعُ.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



## المطلب الثاني:
## مكانة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

بعد تأمل هذه الآيات المباركات، نعرف المكانة الرفيعة التي تتبوّؤها فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتي هي بحق شعارُ الأمة الإسلامية الذي تمتاز به بين الأمم:

١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

٢ ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ... ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

٣ ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

٤ ـ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

وسَنُدْرِجُ الحقائق التي تُجلِّيها هذه الآيات، عن مكانة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في البنود الأربعة الآتية:

**أولا: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، من خصال النبي الخاتم ﷺ، بل أوّل خصاله الحميدة:**

وهذا ما بيَّنته الآية (١٥٧) من (الأعراف)، حيث عرَّف الله تعالى فيها

نبيّه الخاتم صلوات الله وسلامه وعلى آله أجمعين، من الصّحب والأزواج والقرابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، بمجموعة خصال حميدة، فجعل أوَّلها: قيامَهُ بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

**ثانياً: وخيريّة أمة النبي الخاتم وفضلها، مشروطة بقيامها بتلك الفريضة الجليلة:**

وهذا ما صرَّحت به الآية (١١٠) من (آل عمران) حيث وصف الله تعالى (أمة محمدٍ) ﷺ بأنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم أرجع تلك الخيرية إلى صفتين أساسيتين جامعتين، هما: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، ومعلوم أنَّ الإيمان بالله العظيم تبارك وتعالى، هو ينبوع الفضائل كلِّها، ولكن أُخِّر ذكره عن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقُدِّمَ ذكرُ تلك الفريضة عليه ـ حسبما أرى ـ لثلاثة أسباب، هي:

**أ ـ إقتضاءُ السياق لذلك، لأن الآيات السابقة كلِّها أو جُلِّها، تتحدَّث عن تلك الفريضة.**

**ب ـ تنبيهاً على مكانة تلك الفريضة، وتنويهاً بشأنها الرفيع.**

**ج ـ تبياناً لحقيقة أن الإيمان الذي لا يُثْمِرُ في صاحبه القيام بتلك الفريضة، ليس بِشيء!**

**ثالثاً: والفلاح المطلق محصور لمن يقومون بالدعوة إلى الخير، والقيام بتلك الفريضة:**

وهذا ما بيَّنتهُ الآية (١٠٤) من (آل عمران) حيث أمر الله تعالى الأمة الإسلامية، بأن تكون أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ثم حصر الفلاح فيهم دون غيرهم من الناس، بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وإنما قدّم ذكر الدعوة إلى الخير (أي: الدعوة إلى كلِّ ما هو نافع

ومفيد للناس، في دنياهم وأخراهم، والإسلام أساسُ كل خير) على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن من لم يعرف الخير الّذي يحتوي عليه الإسلامُ أو يَسْتَلْزِمُهُ، لا يمكنه التمييز بين المعروفات والمنكرات، وبالتالي الإِلتزام بالأولى والإِجتناب عن الثانية، كما أن الإِلتزام بالشريعة، ثمرة الإيمان وإعلان العبودية الإِختيارية لله تعالى.

وكلمة (من) في قوله تعالى (منكم) وإنْ كانت تحتمل أن تكون تبعيضية، ولكن احتمال كونها بيانية أقوى، والآيات الأخرى التي تصف كل الأمة، وكل المؤمنين والمؤمنات، بالقيام بهذه الفريضة، تؤيّده.

**رابعاً: والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو ما تُثْمِرُه موالاةُ أهل الإيمان (ذكوراً وإناثاً) بعضهم لبعض:**

وهذا ما بيَّنته الآية (٧١) من (التوبة) حيث أعلن سبحانه وتعالى ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾، ثم ذكر الأعمال التي يقوم بها أهل الإيمان المتولّين بعضهم لبعض، وجعل أوّلها: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، ثم ذكر كلاً من: إقامة الصّلاة، وإيتاءِ الزكاة، وإطاعة الله ورسوله ﷺ.

وأرى أَنَّ الحكمة في تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على إقامة الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وإطاعة الله ورسوله، مع أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، إلّا مَنْ كان قبل ذلك مقيماً للصلاة، ومؤتياً للزكاة، ومطيعاً لله ورسوله، هي ـ بالإضافة إلى التنويه بشأن تلك الفريضة العظيمة ـ أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحوج إلى موالاة المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض وتساندهم وتعاضدهم، من بقية الخصال المذكورة، وهذا واضح حيث لا يتمكن من القيام بهذه الفريضة، إلّا مجتمع مؤمن تربط بعضهم ببعض ولاية إيمانية قوية.

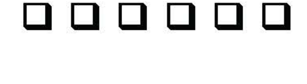
ونقول في ختام هذا الموضوع:

فى بفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر شرَفاً ورفعةً وسمواً،

أن تكون الصفة الأولى للنبيّ الأمي ﷺ، ومعيارَ خيْريَّة أمته المؤمنة، وسبَب فلاحهم، والثَّمَرةَ الأولى لموالاة المؤمنين والمؤمنات، الّذين حصر الله تعالى فيهم رحمته!

وأستنتجُ مِمّا تقدّم ذكره، وأقول:

يمكننا القول: أن فريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، هي أعظم الفرائض الجماعية التي يقوم بها المجتمع الإسلاميّ داخل إطاره، كما أن الجهاد في سبيل الله، هو أعظم الفرائض الجماعية التي يقوم بها خارج إطاره، بل ما الجهاد في سبيل الله تعالى، إلّا نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقوم به الأُمة الإسلامية مع البشرية التي جعلها الله شاهدة عليها، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة].





## المطلب الثالث:
## مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بما أن كلمتي المعروف والمنكر المعرَّفتين بالألف واللّام، تشملان كلَّ حسَنٍ وقبيح، وجيِّد ورديء، وكلَّ نافع وضارٍّ، وكل صالح وطالح، وكل حلالٍ وحرام، لِذا: مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي كل المجالات بلا ٱستثناء، أي مجال المعرفة والإيمان، والفكر والثقافة، والعبادة والتقوى، والأخلاق، والتزكية، والمال، والإِقتصاد، والعادات والمعاملات، والسياسة والحكم، والدفاع والجهاد، والفنِّ والأدب... إلخ.

وبما أننا قد ضرَبْنا أمثلة لكل من المعروف والمنكر، في أكثر هذه المجالات، وذلك في المطلب الثاني المعنون بـ(ميزان التمييز بين المعروف والمنكر) من المبحث الثالث (الموازين) من الفصل الأول، من هذا الكتاب العاشر، لذا أكتفي هنا بالقول مختصراً:

إنه يجب أن يؤمر في المجتمع الإسلامي، بكل معروفٍ أَمرَ به الشرعُ واعتبره معروفاً، وأن يُنْهى عن كل منكر، نهى عنه الشرعُ، وحَسَبُه منكراً، في أي مجال كانا، ذانك المعروف والمنكر.

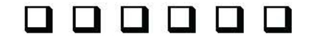


## المطلب الرابع:
## تعريف القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن القائم الأول بهذه الفريضة العظيمة، كان رسول الله النبيّ الأمي صلوات الله وسلامه عليه، كما دلّت عليه الآية (١٥٧) من (الأعراف)، ثم جميع المؤمنين والمؤمنات من أمته، كما دلت عليه كل من الآية (١٠٤) و(١١٠) من (آل عمران)، والآية (٧١) من (التوبة)، وقد أوردنا تلك الآيات المباركات في المطلب الثاني من هذا المبحث، لهذا اكتفينا هنا بالإشارة إليها.

ولكن مما يجب التنبّه له هنا:

أن القيام بهذه الفريضة، وإنْ كان في الأصل واجباً على جميع أهل الإيمان، ولكن تختلف درجات الوجوب حسب اختلاف درجات التمكُّن - من المكلَّفين - على القيام بها، من حيث القدرة والعلم والجاه، فكلَّما كان المرءُ عليها أقدر، كانت عليه أوجَب، وكان بها ألْزَم، وذلك لأن التكليف ليس إلّا بالمقدور الميسور، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴿١٦﴾﴾ [التغابن]، وقد استنبط العلماء من هاتين الآيتين وأمثالهما من النصوص القرآنية والنبوية، قاعدة: (لا تكليف إلّا بمقدور).



## المطلب الخامس:
## تعريف الّذين يؤمَرون بالمعروف ويُنهَونَ عن المنكر

كل المسلمين من أعلاهم إلى أذناهم، تُقام بحقهم فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، إذا ما أتوا ما يستحقون عليه الأمر أو النهي، ولا يُسْتثنى أحد البتة، من أن يؤمر بمعروف أضاعه، أو ينهى عن منكر فعله، أيّاً كان، والدليل على هذا هو أن الله تعالى أطلق القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يقيِّده بأناس معيّنين، ولم يستثنِ منه مجموعة من الناس، لذا يجبُ أن يُعمَّ بهذه الفريضة، المجتمعُ كلُّه مبدئياً، وعملياً كلُّ مَنْ رُؤيَ منه، ما يستحق عليه الأمر أو النهي.

ودليل آخر هو قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

هنا يخبرنا المولى عزَّ شأنه، أن الكافرين من بني إسرائيل لعنوا على لسان كلٍّ من داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام، ثم يُرجِعُ سبَبَ ملعونيتِّهم إلى عصيانهم واعتدائِهم، وإلى كونهم أنَّهم ما كان ينهى بعضهم بعضاً، عن المنكرات التي يقترفونها، اذ معلوم أن صيغة (التفاعل) تدلّ على مشاركة أكثر من طَرَفٍ، في فعل أو شيء ما، فقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾ أي: كان المجتمع المشار إليه من بني إسرائيل، لا يقومون فيما بينهم بالتناهي عن المنكر، وردْعِ بعضهم بعضاً عن المخالفات والإنحرافات.

هذا وقد أشار النبيّ الكريم ﷺ إلى رفعة درجة من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ولاة الأمور الجائرين خاصة، في أكثر من حديث، منها قوله: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدل عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٤٣٤٤)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢١٧٤)، وَقَالَ: حَدِيث حَسَن، وَصَحَّحَهُ الألباني، وقوله: (**خَيْرُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَة ثُمَّ رَجُل قَامَ إِلَى إِمَام فَأَمَرهُ وَنَهاه فِي ذَاتِ الله، فَقَتَلهُ عَلَى ذَلِكَ**)، رَوَاهُ الحَاكِمُ.

ويدل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال]، على أن المجتمع الّذي يسكت عن ظلم الظالمين وإفساد المفسدين، يستحق العقوبة الربّانية، وان لم يشارِكِ الظلَمَةَ في الظلم، والمفسدين في فسادهم مباشرة!

وكذلك تدل على نفس المطلب، الآية (١٠٥) من (المائدة): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، وقد ذكرنا من قبل أن أبي بَكْر الصِّدِّيق ﷺ قَالَ عَلَى المنبَر يَوماً: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، يُوشِكُ أَ ْ يَعُمَّهُمُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ مِنْهُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد برقم: (٤٣٣٨)، وَالتِّرمِذِيُّ برقم: (٢١٦٨) وَالنَّسَائِيُّ برقم: (١١١٥٧) وَصَحَّحَهُ الألباني.

إذ يبدو جلياً من قول أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه، واستشهاده بحديث الرسول ﷺ، أن المقصود بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ أي: التزمتم بالشريعة التزاماً تاماً، ومن ضمنه الأَخْذُ على يد الظالم ونهيه عن الظلم ومَنْعِه منه.

هذا ويبدو من قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾ [الأعراف]، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب القيام به، حتى مع الّذين الرَّجاءُ والأمَلُ في إصلاحهم ضعيفٌ، وذلك لأن تلك الفريضة لها جانبان، كما يبدو من قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فالجانب الأول منها مرتبط بالله تعالى، وهو كونها فريضة من فرائض الله المحكمة، والقائم بها يعتبر معتذراً إلى ربِّه، ومتبرِّئاً مِمّا يفعله مَنْ حوله من سوء: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، والجانب الثاني مرتبط بالمجتمع وهو الأمل في إصلاحهم بسببها: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، وعليه: فهي على أي حال وظيفة شرعية، ويجب القيام بها، قَل الرَّجاءُ في جَدْواها وأثرها في الناس أو كثر، لِأَنَّها حتى وإِنْ خَلَتْ من الفائدة الدنيوية المرتبطة بالمجتمع، ففائدتها الأخروية المرتبطة بالله تعالى، كأي واجب شرعي آخر، مضمونة ومحققَّة بإذن الله.

وقد سجل لنا التأريخ الإسلامي أروع المواقف وأبدعها، في قيام أهل الإيمان والتقوى، بالأمر بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، وخاصة أهل العلم منهم، مع شرائح المجتمع الإسلامي عموماً، ومع الخلفاءِ والملوك والحكام خصوصاً، وقد أشرت إلى نبذة منها في كتابي: (من هم علماءُ الإسلام وما هي صفاتهم؟!).



## المطلب السادس:
## الصّفات التي تُشترط في القائمين بهذه الفريضة

والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان في الأصل فرضاً على أهل الإسلام كلهم ذكورا وإناثاً، كل حَسْبَ طاقته وبِقَدر ما يتيسّر له منها، ولكن هناك صفات يُشْتَرَطُ وجودُها، فيمن أراد أن يقوم بهذا الواجب الشرعي حق القيام، أهمُّها:

١ العلم:

والتحلّي بالعلم ـ أي العلم الشرعي[1]، والعلم بالمعروف والمنكر ـ هو أوّل الصفات اللازمة، لمن يريد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن من لم يعرف المعروف والمنكر، كيف يمكنه الأمر بالأول والنهي عن الثاني؟! ومن الواضح أن البصيرة في الدِّين والفقه فيه، أساس التديّن كلِّه، سواءٌ في مجال الإلتزام الذاتي بالدِّين، أو في مجال العمل له دعوة وتعليماً وتزكية، وأمراً بمعروف، ونهياً عن المنكر وجهاداً، كما قال تعالى مخاطباً نبيّه الخاتم ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

ولكن ليس المقصود بالعلم هنا، هو الإحاطة بالأحكام الشرعية كلِّها، إذْ هذه لا تتيسّر إلّا للأفذاذ من الناس المتخصِّصين في الشريعة (الكتاب

---

(١) هكذا جَرى العُرفُ في استعمال هذا المصطلح، وإلّا فالعلوم كلُّها شرعية، ثم هي تنقسم الى عقلية ونقلية، والمقصود بالعلم الشرعي، هو العلم النَّقْلِيُّ المأخوذ من الوحي.

والسنة)، بل المقصود هو ألّا يأمر المرءُ إلّا بمعروفٍ له به معرفة، وألّا ينهى عن منكرٍ، إلّا على أساس العلم بكونه منكراً وحراماً ومرفوضاً في الشرع.

ولكن يجب أن يُعْلَم أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالإضافة إلى العلم الشرعي، فهو بحاجة ماسة أيضاً إلى الفقه بالواقع والخبرة الجيدة بأحوال الناس، ومن لم يعرف الواقع لا يمكنه التحرك فيه.

## ٢ ـ الصَّبْر:

والصبر أيضاً صفة ضرورية للمتصدِّي للقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن من لم يتحلَّ بالصَّبْر، لا يمكنه لا القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تَحَمُّل النتائج المترتبة عليهما! ولهذا وصّى لقمانُ الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابنه بالصَّبر على ما أصابه، بعد توصيته إياه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى فيما قصّه لينا بهذا الصَّدد على لسان (لقمان): ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

ومن الجلي أنَّ الإنسان لا يتمكَّن من الصَّبر على الأذى، إلّا إذا كان متَحلِّياً بمجموعة خصال حميدة، مثل: سعة الصَّدر، الحِلْم، كظم الغيظ، ضبط الأعصاب، العفو والصفح، الرحمة والشفقة... وعليه: فالأمر بالتحلي بالصَّبر للقائم بهذه الفريضة العظيمة، أمرٌ بالتحلِّي بتلك الخصال الحميدة أيضاً، إذْ ليس الصبر إلّا حصيلة وثمرة تلك الخصال!

## ٣ ـ الإئتمار بالمعروف والإنتهاء عن المنكر، قبل أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

وهذه الصفة أيضاً من الصفات اللّازمة المؤكَّدة عليها، في القائم بتلك الفريضة الجليلة، وإلّا فكيف يسمع الناسُ قولَ مَنْ يخالِفُ حالُهُ وعملُهُ كلامَهُ! وقال تعالى موبِّخاً اليهود على الإزدواجية بين القول الحسن والفعل القبيح: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[البقرة]، وكذلك وبّخ بعض أهل الإيمان الَذين تلبّسوا في إحدى حالات ضعف الإيمان عندهم، بتلك الحالة الكريهة (مخالفة الفعل للقول): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وقد صوَّر لنا رسولُ الله ﷺ عاقبة أولئك الصنف من الناس في القيامة بقوله: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، البُخارِيُّ: (٣٢٦٧)، وَمُسْلِمٌ: (٢٩٨٩).

**٤ ـ وبقدر ما يكون المرءُ كاملاً في تديُّنه، وجدّياً في التزامه بالشريعة، يُضمَن له النَّجاح في القيام بتلك الفريضة:**

وذلك لأن الإنسان يؤثِّر في الناس بلسان حاله وسلوكه العملي، أكثر من لسان قالِهِ ووعْظِهِ القولي المجرد، ولقد أحسن من قال: (**عَمل رجُل في ألفِ رجل، أبلَغُ من قول ألْفِ رجلٍ في رجل**) وكذلك قد أصاب من قال: (**مَن وعظ بقوله ضاع كلامُهُ، ومن وعظ بعمله نفذتْ سهامُهُ**).

وهذه هي الحكمة ـ والله هو العليم الحكيم ـ في أن الله تعالى جعل ترتيب صفة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وحفظ حدود الله في نهاية الصفات التي وصف بها عباده المجاهدين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة].

وذلك لأن من لم يكن تائباً وعابداً وحامداً لله، وسائحاً وراكعاً وساجداً له، أنّى يتسنّى له الأمر بالمعروف الذي تركه في نفسه، والنهي عن المنكر الذي ارتكبه في ذاته، وحفظ تلك الحدود التي انتهكها بفعله!! ولقد صدق من قال: (مَن لم يكن لنفسه، فكيف يكون لغيره!).

## المطلب السابع:
## بَعَةُ تنبيهاتٍ مهِمَّة،
## في مجال الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

**أولاً: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وإجراءُ العقوبات الشرعية على مستحقيها، شيئان مختلفان:**

وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظيفة كل مسلم، كل حسب إمكانه كما بيَّناه سابقاً، ولكن إجراء العقوبات الشرعية على مستحقيها، وظيفة صاحب السلطة الشرعية العليا في المجتمع، ولا يجوز لأفراد المجتمع القيام بها، وهذا مجمعٌ عليه بين العلماء، وسنبيّنه في محلِّه في الكتاب الحادي عشر، بإذن الله بأدلته، ولكن إذا عُطِّلت الأحكام الشرعية، ومنْ ضمنها تطبيق العقوبات الشرعية التي سمّاها العلماء بـ(الحدود)، ولم يكن للمسلمين كيان سياسي وسلطة شرعية للقيام بهذه الوظيفة، ففي تلك الحالة يلزم المسلمين أن تقوم كل مجموعة، أو يقوم أهل كل بلدة أو منطقة منهم، بتولِّي تلك المسؤولية الشرعية حسب الإمكان، ـ ولكن بشرط توفُّر الشروط اللازمة والجوّ المناسب لتنفيذ كل من تلك العقوبات، وبَسْطُ هذا الموضوع يحتاج مكاناً آخر ـ.

وذلك لأن الله تعالى خاطب المؤمنين بشأن تلك الأحكام عموما، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ . . .﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة]، لذا فهم مسؤولون تجاهها جميعاً، كلٌّ حسب طاقته، ومن القواعد الشرعية المتفق عليها أن: (الميسور لا يسقط بالمعسور).

وإنما وضَّحت هذه المسألة كي لا يُخطيء بعضُ الشباب المتحمِّس للدين، فيقوم بضرب الناس أو قتلهم، بذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! وقد بيَّنت في السابق أن أوَّل شروط القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، هو العلم: العلم والفقه بالحكم الشرعي تجاه المسألة التي يتصدّى لها آمِراً أو ناهياً، والعلم والخبرة بواقع من يريد أن يمنعه من المنكر أو يأمره بالمعروف، سواء من حيث مكانته الإِجتماعية، أو مستواه الفكري وغير ذلك، وذلك بغية اختيار أسلوب متناسب مع مكانته ومستواه، لأن قاعدة (إنزال الناس منازلهم) كما أمرنا بها نبي الله الحكيم ﷺ حيث قال: «**أنزِلوا النَّاسَ منازِلَهُمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ برقم: (٤٨٤٢)، وَقَال الألَباني: ضعيف، وقالت عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما وعن أبيها وأرضاهما: (**أَمَرَنا رسولُ الله ﷺ أنْ ننزل الناس منازلهم**)، رواه الحاكم، ورواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه[(١)]، وقالت ذلك لما مرَّ بها سائلٌ فأعطته كِسْرةَ خبزٍ، ثم جاءَها رجلٌ له هيئة فأَجْلَسَتْه في مكان يليق به وأمرت له بطعامٍ، فسُئِلتْ في ذلك، فقالت قولتها المذكورة.

أو من حيث ردود فعله المحتملة، إذْ لا يجوز القيام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في حالة تَتَرتَّبُ عليه نتائج سلبية، أسوأ من المنكر الذي تُراد إزالته، أو المعروف الذي يراد تثبيته، كما سنذكر هذا في البند الخامس من هذا المطلب، بإذن الله ولنضربْ لتوضيح هذه المسألة مثلاً:

عندما يرى مسلم غيور على دينه، صاحِب مطعم أو فندق في مدينتِهِ، يضع أمام زوّاره الخمر، أو يشاهد صاحب دكّان يبيعها، وذلك في ظِلِّ دولة مُنْحرِفَةٍ تُبيح بيع الخمرة وشربها، ففي مثل هذه الحالة يكون تغيير ذلك المنكر أصعب وأعمق من أن يتم بعمل فرديٍّ، وتصدّي شابٍ أو مجموعة شبابٍ، لمنكر أصبح ظاهرة متفشية ترعاها حكومة

---

(١) أُنظر: صحيح مسلم، مقدِّمة الكتاب، ص٤٦، ط٢/ ١٤٢٨هـ، دار المعرفة.

جاهلية بقوانينها اللاّشرعية، لا يُجدي فحَسْبُ، بل قد تترتب عليه منكرات أسوأُ وأفظع! ومن الواضح أنَّني لا أقصد بكلامي هذا أن نسكت عن المعروفات المهملة، والمنكرات المتفشية، في مجتمع يعتبر أفراده أنفسهم مسلمين، كلاّ، ولكن لكلِ مقام مقالٌ، ولكل داءٍ دواءٌ، ولحكمة ما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، كما سنبين هذا في البند السادس إن شاءَ الله، وما لم تكن الوسيلة المستعملة لتحقيق هدف ما متكافئة معه، وما لم يكن الأسلوب في مستوى الغرض، فلا يُجْنى غير التعب، وحدوث ما لا يُحمد عقباه.

هذا وهناك فرق جوهري آخر بين تطبيق العقوبات الشرعية ـ في ظل كيان إسلامي ـ على المتجاوزين على حياة الناس وحرماتهم وأعراضهم وأموالهم وأمْنِهِمْ، وبين القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخاصة إنكار المنكر، وهو أن القائم بإنكار المنكر، لا يجوز له غير الأخذ على يد المسيء الشرِّير، ومنعه من الإثم أو العدوان، ويجب أن يتدرج لتحقيق هدفه هذا من الشديد إلى الأشدِّ، في الأساليب والوسائل، فمثلاً لا يجوز له سب وشتم المتلبِّس بالإثم أو العدوان أو المشارف لهما، ولا ضَرْبُه وإيذاؤه، بل يجب عليه منعه فقط، ولكن إجراءَ العقوبة الشرعية يَختلف عنه في عدة وجوه:

١ ـ فهو أولاً من اختصاص صاحب السلطة الشرعية، وليس للأفراد والقيام به.

٢ ـ وما لم ترفع المسألة إلى السلطة الشرعية، فالجاني بمنأىً عن إنزال العقوبة عليه، بل وعن تجريمه والكلام عن فعلته والتشهير به، لأن المتهم بريء ما لم تثبت إدانته.

٣ ـ ثم لا بُدَّ من الإثبات الشرعي لما يُرمى به الجاني، ودرء الحدود بالشبهات، وبعد كل ذلك يتم إجراء العقوبة.

**ثانياً: يجب أن يكون المعروف الذي يؤمر به، أو المنكر الذي يُنهى عنه، مقطوعاً به من الناحية الشرعية:**

والدليل على ذلك، هو أنَّ الله تعالى رتَّب الأمر بالمعروف على (المعروف)، والنَّهي عن المنكر على (المنكر)، فمثلاً قال تعالى في وصف المؤمنين والمؤمنات: ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴿٧١﴾**﴾ [التوبة]، وكذلك في بقية الآيات التي تتحدَّث عن هذا الموضوع، لِذا: فما لم يكن المأمور به، معروفاً بيِّناً شرعاً، وكذلك المنهي عنه، منكراً جلياً، لا يجوز أن يُجْعلا موضعاً للأمر والنهي، ولهذا منع العلماء القيامَ بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في المسائل الخلافية التي وقع فيها خلاف بين العلماء والأئمة المعروفين، الّذين يُعتدّ بآرائهم واجتهاداتهم.

**ثالثاً: وينبغي أن يكون المعروف أو المنكر، مرئياً ومعلوماً وملموساً من حيث الواقع، لأن التجسُّسَ وتتبع العورات حرامٌ:**

والدليل على هذا بالإضافة إلى الآيات المباركات التي تتحدَّث عن مسألة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والتي بألفاظها وسياقها تدلّ على أنَّ المعروف الذي يؤمر بالإتيان به، والمنكر الذي يُمنع منه، هما واضحان ومكشوفان وغير مستورين ومجهولين، هو الحديث النبوي الشريف الذي رَوَاهُ مُسْلِم رَحِمَهُ الله تَعَالَى وَنَصُّهُ: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» رَوَاهُ مُسْلِم برقم: (٤٩).

حيث نرى أن الحديث الشريف يصف المنكر الّذي يأمر بتغييره وإزالته بكونه مرئياً: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَراً...**»، أي: إذا لم يكن المنكر مرئيا ومعلوماً، بأن كان مستوراً ومخفياً، فلا يجوز التجسُّس عليه وكشف الأَستار للوصول إليه.

**رابعاً: تَجِبُ مَراعاةُ قاعدتي (التدرّج) و(تقديم الأهمّ على المهمّ) عند القيام بتلك الفريضة:**

والمقصود بقاعدة التدرج في هذا المجال، هو أن من استقام في

الإِتيان بالمعروف المطلوب، أو ترك المنكر الممنوع، بالوعظ، فلا يجوز استعمال التوبيخ، معه - إلّا إذا اقتضاه المقام -، وكذلك من انصلح بالتوبيخ لا يجوز أن يستعمل معه الضَّربُ، وهكذا، وذلك لأن الغرض هو الإتيان بالمعروف، والإمتناع عن المنكر، وليس إيذاءَ الطرف المأمور أو المَنهِيِّ!

والدليل على وجوب رعاية قاعدة التدرج، علاوة على دلالة بداهة العقول، هو أن كتاب الله الحكيم راعى هذه القاعدة في أحكامه، فمثلاً حرَّم الخمر بأربع مراحل، كما سنبين ذلك لاحقاً في الكتاب الحادي عشر، وقالت عائشة ﵂: **«مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً»** رَواهُ البُخَارِيُّ برقم: (٣٥٦٠) وَمُسْلِمٌ برقم: (٢٣٢٧).

وربّما يتصوَّر البعض أن مراعاة قاعدة التدرج تُخالف حديث رسول الله ﷺ الذي يأمر أولاً بالتغيير باليد **«فليغيِّره بيده»**، ثم ينتقل إلى اللّسان **«فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»**، وأخيراً إلى القلب **«فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»!** ولكن الأمر ليس كذلك، وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يقصد بحديثه الشريف هذا، أن يُبيِّن لنا آلية (ميكانيزم) تغيير المنكر وأسلوبه، بل قصد به توضيح درجات ومواقف المؤمنين، أمام تغيير المنكر والتصدِّي له، فَبَيَّن أن أعلى درجة، وأفضل موقف تجاه المنكر، لأهل الإيمان، يتمثل في تصدِّيهم للمنكر وإزالته وإزاحته فِعلياً، ثم السعي لتغييره بالكلام، وأخيراً رفض المنكر بالقلب والباطِن، من دون مواجهته لا بالفعل ولا بالقول، وقد اعتبر رسولُ الله ﷺ الموقِفَ الأخير، تجاه المنكر، موقف من يملك أضعف أنواع الإيمان الذي لا يدفع صاحبه تجاه المنكر، حتى إلى الإنكار القولي! ولهذا قال رسول الله ﷺ في إحدى روايات الحديث الأخرى، وذلك بعد ذكره الانكار القلبي المجرّد: **«وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ برقم: (٥٠).

وأما المقصود بقاعدة **(تقديم الأهمِّ على المهمِّ)**، فهو مراعاة الأولويّة والأحقية بين المعروفات التي يراد الأمر بها، والمنكرات التي يراد النَّهي عنها، فمثلاً: الذي يحتاج إلى كلٍّ من: تعلّم الإيمان، والصّلاة، والزكاة،

يجب أن يقدَّم له تعليم الإيمان، ثم الصلاة، ثم الزكاة..، وكذلك مَن هو متلبِّسٌ بكل من الشرك والبدعة، يُنهى عن شركِهِ، ثم عن بدعته، وهذه القاعدة بالإضافة إلى دلالة بداهة العقول والفطر عليها، نصَّ عليها أيضاً الرّسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال لـ(مُعاذ بن جبل) ﷺ لما أرسله داعياً إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ...» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: البُخَارِيُّ برقم: (١٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ برقم: (٣١).**

**خامساً: وتجب الموازنة الدقيقة بين المصلحة المرجوّة والمفسدة المتوقعة، من جرّاءِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قبل الإقدام عليهما:**

وإيضاحاً لهذا الموضوع نقول:

لقد اتفق العلماء جميعاً على عدَّة قواعد شرعية في هذا المجال، مثل: (**يُقدَّمُ جَلْبُ مصلحة كبيرة، على دفع مضرة صغيرة**) أي: ينبغي تحمّل ضررٍ قليل، من أجل نفع كثير، ومثل: (**غضُّ الطَّرف عن مصلحة صغيرة، من أجل دفع مفسدة كبيرة**) أي: إذا لم نتمكَّن من تجنّب مضرة ومفسدة عظيمة إلّا بالتغاضي عن مصلحة أو مصالح صغيرة، وجب التغاضي عنها، ومثل: (**دفع المضارِّ مقدَّم على جلب المنافع**)...، وغيرها من القواعد الشرعية التي ـ بالإضافة إلى دلالة بدائه العقول والفطر ـ تدلُّ عليها كذلك نصوص شرعية كثيرة، مثل:

أولاً ـ خرق الرّجل الصالح (صاحب موسى عليه السلام ومُعَلمه) سفينة المساكين التي كانت تعمل في البحر، كي لا يستولي عليها الملك الغاصب، كما قال تعالى على لسان ذلك الرّجل ﷺ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

[الكهف]، وهذا هو تحمُّل ضرر صغير، من أَجل إبعاد ضرر كبير.

ثانيا ـ إباحة الأكل من المحرَّمات الأربعة (الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والمذبوح لغير الله) في حالة الإضطرار، وعدم وجدان غيرها، تجنباً من الموت جوعاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة]، وهذا أيضاً فرارٌ من الأسوءِ إلى السَّيئ.

ثالثا ـ عدم إعادة النبي ﷺ بناء الكعبة إلى أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حذراً من حدوث بلبلة فكرية في قلوب الناس وخاصة حديثي العهد منهم بالشرك (أي: المسلمون الجُدَد)، كما قال رسول الله ﷺ لزوجته الكريمة عَائِشَة رضي الله عنها: «**لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ، لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، وَلَجَعَلْتُهَا عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ...**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: البُخَارِ ُ برقم: (١٥٨٥)، و ُسْلِمٌ برقم: (١٣٣٣).

وهذا من باب غضِّ الط ْفِ عن المصلحة، من أجل إبعاد المفسدة.

## سادساً: ويجب التجمُّع والتكتّل، إذا لم يمكن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فَرْدياً:

والدليل على هذا بالإضافة إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، والذي هو صريح في أن المسلمين الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر، ينبغي أن يكونوا جماعة مجتمعة ومتعاونة، هو: أن الله تعالى ـ وكما بيّناه في السابق ـ قد أوجب القيام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، على أهل الإيمان كافة، أي: أن الله تعالى أَلْزم جميع المسلمين بأن يتصدَّوا لتثبيت كلِّ ما هو معروف، وإزالة كل ما هو منكر، وبما أَن هذا المقصد الشرعي العظيم، لا يتحقق إلّا إذا كان المسلمون مجتمعين ومنظمين ومتَّحدين ومتعاونين، لِذا يجب عليهم أن يجعلوا أنفسهم بحيث يتمكنون من القيام بذلك الواجب، الّذي يتحقق من جرّاءِ القيام به، ذلك المقصد

العظيم، ومن القواعد الشرعية المجمع عليها بين كافة العلماء أنَّ: **(مالا يتم الواجب إلّا به فهو واجب)** وكذلك مثلها قاعدة: **(للوسائل حكم مقاصدها)** أي حكم الوسائل تابع لحكم المقاصد، التي يتوقف الوصول إليها عليها.

وبناءً على ما مرَّ ذكره، يمكننا القول باطمئنان:

إن تشكيل الجماعات والجمعيات والنقابات والمؤسَّسات في عصرنا الحالي، والتي يكون هَدَفُها تثبيت الحق وإزالة الباطل، في أي مجال من مجالات حياة المجتمع المسلم، وكذلك تحقيق مصالح الناس والدفاع عن حقوقهم، وإبعاد المفاسد عنهم وإسعادهم، والوقوف بوجه كل من يريد الإضرار بهم، بأي وجه من الوجوه، ليس يكون جائزاً فحسب، بل ويكون واجباً، مادام أن تحقيق تلك الأهداف الشرعية يتوقف عليه، ثم تكون شرعيتها بمقدار التزامها بالشريعة، وصدقها مع المجتمع، ونجاحها في مهمَّتها التي أُنشأت من أجلها، أي: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

**سابعاً: وفي ختام هذه التنبيهات، أقول: يجب أن يُختار لكل من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أحسن الطرق وأفضل الأساليب:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء]، أجَلْ إن كتاب الله، كما أنه في ذاته حق ومحتوٍ على الحق كلِّه، كذلك تم إنزاله بكيفية حقة، وكذلك ينبغي أن نكون نحن التابعين لكتاب الله الحق، في كل شؤوننا فاعلين للحق، ولكن بأسلوب حق وبطريقة صحيحة، نعم لا يكفي قول الحق، بل لا بدَّ وأن يرافقه أسلوب حق وصحيح، وإلّا فكيف يمكن تثبيت المعروف، بأسلوب منكر، أم كيف يمكن إزالة المنكر، بطريقة غير معروفة! ولقد أحسن الذي قال: **(أْمُر بالمعروف، بالمعروف، وانْهَ عن المنكر لا بالمنكر)**.

وبهذا البند السابع نختم المطلب السابع، وبه نختم المبحث الثاني من الفصل الثالث، من هذا الكتاب العاشر من هذه الموسوعة.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



# المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



هذه قائمة بكل الإنتاج الفكري للشيخ علي باپـير، كتباً وكتيبات وباللغتين العربية والكوردية

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| | أ - باللغة الكوردية (بعد ترجمة عناوينها إلى العربية) | | |
| | القرآن والسنة | | |
| 1 | خلاصة عن الإسلام في ضوء سورة الفاتحة | ط الأولى/1984<br>ط الثانية/2006 | |
| 2 | لنكن في خدمة القرآن | ط الأولى/2008<br>ط الثانية/2015 | |
| 3 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الأول، سورتي: (الفاتحة) و(البقرة) | ط الأولى/2012 | |
| 4 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثاني، سورة: (آل عمران) | ط الأولى/2012 | |
| 5 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثالث، سورة: (النساء) | ط الأولى/2013 | |
| 6 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الرابع، سورة: (المائدة) | ط الأولى/2014 | |
| 7 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الخامس، سورة: (الأنعام) | ط الأولى/2015 | |
| 8 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد السادس، سورة: (الأعراف) | ط الأولى/2016 | |
| 9 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد السابع، سورة: (الأنفال) | ط الأولى/2016 | |
| 10 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثامن، سورة: (التوبة) | ط الأولى/2017 | |
| 11 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد التاسع، سورة (يونس) | ط الأولى/2018 | |
| 12 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد العاشر، سورة: (هود) | ط الأولى/2018 | |
| 13 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الحادي عشر سورة: (يوسف) | ط الأولى/2019 | |
| 14 | إتباع سنة النبي h بين التفريط والإفراط | ط الأولى/2015 | |
| 15 | القرآن والتطهير والإصلاح في إقليم كوردستان | ط الاولى/2018 | |
| 16 | طريقة النبيِّ "صلى الله عليه ورسلم": تعريفها، أهمّيتُها، ضرورتها | ط الأولى/2017 | |
| | العقيدة والفكر الإسلامي | | |
| 17 | صراع الإسلام والإيدولوجيات | ط الأولى/1985<br>ط الثالثة/2006 | |
| 18 | مشروع: المنهج الفكري للعمل الإسلامي | ط الأولى/1996 | |
| 19 | شرح الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية | ط الأولى/2001<br>ط الثالثة/2014 | ترجم للعربية |
| 20 | مسائل عصرية رائجة: نظرة واقعية وتقييم شرعي | ط الأولى/2002<br>ط السادسة/2016 | ترجم للعربية والتركية والفارسية |
| 21 | معرفة الله، الإيمان، الدين، حقائق الإسلام تتبلور، وأباطيل السُّبُل تتدهور | ط الأولى/2002<br>ط الثانية/2009 | |
| 22 | أسماء الله الحسنى "سبحانه وتعالى" | ط الأولى/2013 | |
| | موسوعة: التفكير الإسلامي بين الوحي والواقع | | |
| 23 | الكتاب الأول: توضيع: مفهوم وقصته وأسس وأهمية التفكير الإسلامي | ط الأولى/2018 | |
| 24 | الكتاب الثاني: الخطوط العامة لمنهج جمهور المسلمين | ط الأولى/2018 | |
| 25 | الكتاب الثالث: التيارات الفكرية في تأريخ المسلمين | ط الأولى/2019 | |
| 26 | الكتاب الرابع: أصول التفكير الإسلامي | ط الأولى/2019 | |

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| 27 | الكتاب الخامس:مسائل فكرية عصرية متنوعة | ط الأولى/2019 | |
| | موسوعة: الإيمان والعقيدة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، في ستة مجلدات | ط الأولى/2006-2008<br>ط الثانية/2016 | |
| 28 | المجلد الأول: ماهو الإيمان والعقيدة الإسلامية؟ | | |
| 29 | المجلد الثاني: توحيدالله في الخالقية والربوبية | | |
| 30 | المجلد الثالث: توحيدالله في الأسماء والصفات والألوهية | | |
| 31 | المجلد الرابع: الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله | | |
| 32 | المجلد الخامس: الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر | | |
| 33 | المجلد السادس: خصائص وآراء أتباع الطريق الحق | | |
| 34 | ماهي طريق النبي "صلى الله عليه وسلم"؟! | ط الأولى/1989 | أدخل فيمل بعد في كتاب (المسلم الكامل: القسم الأول: عقيدة المسلم) |
| 35 | المسلم الكامل/ عقيدة المسلم | ط الأولى/1997 | أدخل فيما بعد في كتاب: (الإيمان والعقيدة الإسلامية) |
| 36 | التيار الإسلامي والعلماني، نقاط الوفاق والإختراق | ط الأولى/2008<br>ط الثالثة/2015 | نشر معظمها ب(24) حلقة في أسبوعية (المواطن) والبقية (9) حلقات في أسبوعية (المرآة) |
| 37 | شرح الأصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية | ط الأولى/2014<br>ط الثاتية/2015 | |
| 38 | الترجمة الكوردية لمتن العقيدة الطحاوية | ط الأولى/2014 | |
| 39 | شرح العقيدة الطحاوية | ط الأولى/ 2015<br>ط الثانية/2017 | |
| 40 | العلمانية والديمقراطية في تجربة كوردستان (مناظرة العام) | ط الأولى/2016 | ترجم للعربية |
| | الفقه الإسلامي | | |
| | موسوعة: العبادة الإسلامية | ط الأولى/2000<br>ط الثانية/2009 | |
| 41 | المجلد الأول: العبادة بصورة عامة، المسائل الخلافية، الطهارة | | |
| 42 | المجلد الثاني: إقامة الصلاة أولى شعائر العبادة | | |
| 43 | المجلد الثالث: الزكاة والإنفاق | | |
| 44 | المجلد الرابع: الحج والعمرة، ذكرالله | | |
| 45 | قواعد مهمة في التعامل الشرعي الحكيم مع المسائل الفرعية الخلافية | ط الأولى/1999 | ترجم للعربية |
| 46 | الأعياد والمناسبات: تقييم شرعي وعقلي | ط الأولى/2013 | |
| 47 | موضوعات فنية في ضوء القرآن والسنة | ط الأولى/2009<br>ط الثانية/2015 | ترجم للفارسية |
| 48 | أصول مهمة في مجال الإنفاق في سبيل الله | ط الأولى/2013 | |

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| | تزكية النفس والأخلاق والسلوك | | |
| 49 | ذكر الله تعالى، أهمية ذكر الله في حياة الإنسان | ط الأولى/1987 | |
| 50 | طريق الصلاح والسير الى الله: تزكية النفس في ضوء القرآن والسنة | ط الأولى/1990<br>ط الخامسة/2012 | ترجم للعربية والفارسية |
| 51 | مساجد كوردستان بين التعمير والتدمير | ط الأولى/1999 | |
| 52 | التوبة الى الله: الإقبال على الله، وترك الذنوب، والمعاصي، والتغيير الجذري في الذات | ط الأولى/2001<br>ط الخامسة/2010 | |
| 53 | من هو الشهيد وماهي منزلته؟ | ط الأولى/2002 | |
| 54 | بحث حول رؤية الله "عز وجل" في الدنيا والآخرة | ط الأولى/2015 | |
| 55 | حياة الروح: إحسان العبادة والتزكية | ط الأولى/2015 | |
| 56 | موسوعة: الخلق، والسلوك الإسلامي في ضوء القرآن والسنة | ط الأولى/2016 | |
| | الدعوة والعمل الإسلامي | | |
| 57 | حزب الله | ط الأولى/1988 | |
| 58 | من هو البيشمركة المسلم، أو المسلم المجاهد؟ | ط الأولى/1988<br>ط الثالثة/1998 | |
| 59 | داء ودواء الحركة الإسلامية | ط الأولى/1990 | |
| 60 | الحركة الإسلامية بين البقاء والفناء | ط الأولى/1993 | |
| 61 | الحركة الإسلامية ومرحلتها الجديدة | ط الأولى/ 1994 | |
| 62 | توجيهات لإسلاميي كوردستان | ط الأولى/ 1997 | |
| 63 | الحركة الإسلامية وأفق مشرق: الأصول الشرعية والأسس الأخلاقية | ط الأولى/ 1997 | |
| 64 | الإسلام والقضايا الراهنة | ط الأولى/ 1998 | |
| 65 | علماء الإسلام من هم وماهي صفاتهم؟ | ط الأولى/ 2002<br>ط الثالثة/ 2011 | ترجم للعربية |
| 66 | الجماعة الإسلامية: أهدافها ومواقفها | ط الأولى/ 2002 | |
| 67 | كيف نتعامل مع الناس؟ | ط الأولى/ 2002 | ترجم للعربية |
| 68 | كيف نفهم الجهاد؟ | ط الأولى/ 1998 | |
| 69 | ملاحظات وتنبيهات حول الجهاد في سبيل الله | ط الأولى/ 2002 | |
| 70 | لكيلا نتضرّر من جهادنا! | ط الأولى/ 2002 | |
| 71 | ماهو الجهاد في سبيل الله، هدفُه وكيفته | ط الأولى/ 2002 | |
| 72 | توجيهات لإخوتنا في المهجر | ط الأولى/ 2002 | |
| 73 | الإسلام والتدين والعمل الإسلامي في ضوء القرآن والسنة | ط الأولى/2006 | |
| 74 | التحالف في ضوء القرآن والسنة | ط الأولى/ 2009 | |
| 75 | المشاركة في الإنتخابات والبرلمان / تقييم شرعي وعقلي | ط الأولى/ 2009<br>ط الثانية / 2013 | |
| 76 | نقض أفكار وتصرّفات داعش المتطرفة | ط الأولى/ 2015<br>ط الثانية/2017 | ترجم للفارسية |
| 77 | لايجوز أن تشككّنا إنحرافات وجرائم داعش في الإسلام | ط الأولى/2015 | ترجم للفارسية |
| 78 | التطرف: التعريف، وعلامات المتطرفين، أسباب التطرف، آثار التطرف، علاج التطرف | ط الأولى/ 2015 | ترجم للفارسية |
| | سلسلة: الأصول الشرعية للجماعة الإسلامية | | |
| 79 | الحلقة الأولى: الأدلة الشرعية لتأسيس الجماعة الإسلامية | ط الأولى/ 2001 | |

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| 80 | الحلقة الثانية والثالثة: حكم عزل الخليفة والحكام المسلمين عند الظلم والإنحراف | ط الأولى / 2001 | |
| 81 | الحلقة الرابعة: الشيخ أبو بصير وفتواه: تقييم شرعي وعقلي | ط الأولى / 2001 | |
| | خطب مؤتمرات الجماعة الإسلامية | | |
| 82 | العمل والمشروع الإسلامي (خطبة المؤتمر الأول للجماعة الإسلامية) | ط الأولى/2005<br>ط الثانية/ 2006 | |
| 83 | التقرير الإيماني والفكري والسياسي للجماعة الإسلامية (خطبة المؤتمر الثاني) | ط الأولى/2010 | |
| 84 | نظرة الى واقعنا الداخلي والخارجي (خطبة المؤتمر الثالث) | ط الأولى/2016 | |
| | القومية ومسألة الكورد | | |
| 85 | لماذا دُمّرت كوردستان وكيف تُعَمّر؟ | ط الأولى / 1989 | |
| 86 | حكم العودة إلى نير الطاغوت | ط الأولى/1990<br>ط الثانية/2005 | |
| 87 | العاطفة القومية والفكر الناسيونالي في ميزان الإسلام | ط الأولى/1990<br>ط الرابعة/2018 | |
| 88 | حلّ قضية الكورد بين الإيمان والبرلمان | ط الأولى/1992 | |
| | السياسة والحكم | | |
| 89 | موضوعات سياسية راهنة في ضوء العقل والوحي | ط الأولى/ 2010 | |
| | موسوعة: الإسلام والدولة (4 مجلدات) | ط الأولى/ 2014 -2016 | |
| 90 | المجلد الأول: الكيان السياسي في الإسلام: أدلة وجوبه، كيفية تأسيسه، طبيعته وأساسه الفكري، تعريف مصطلحات | ط الأولى/ 2016 | |
| 91 | المجلد الثاني: أسس نظام الحكم في الإسلام | ط الأولى/ 2014 | |
| 92 | المجلد الثالث: السلطات الثلاث: التشريع، التنفيذ، القضاء | ط الأولى/ 2015 | |
| 93 | المجلد الرابع: غير المسلمين في المجتمع والدولة الإسلاميين | ط الأولى/ 2015 | |
| 94 | نظرة إسلامية حول واقعنا المعاصر | ط الأولى/ 2016 | |
| | المرأة والأسرة | | |
| 95 | المرأة الكوردية المسلمة: حقوقها الشرعية ووظائفها المهمة | ط الأولى/ 2003 | |
| 96 | موسوعة: المرأة والأسرة في ظل الشريعة | المجلد الأول:<br>طالأولى/2002<br>المجلد الأول والثاني:<br>ط الثالثة/2013 | |
| | التأريخ | | |
| 97 | خلاصة سيرة رسول الله "صلىالله عليه ةسلم" عبرها ودروسها | ط الأولى/2009<br>ط الثالثة/2013 | |
| 98 | باقات من بيدر عمري (ذكرياتي) القسم الأول: 1961-1991 | ط الأولى/2015 | |
| 99 | خلاصة أحداث حياتي ونشاطاتي الفكرية والسياسية (1961-2017) | ط الأولى/2018 | ترجم للعربية والأنجليزية |
| | الحوارات والمقابلات | | |
| 100 | لاتتجاوزوا الحدود (مقابلة د. حسين محمد عزيز) | ط الأولى/2001<br>ط الثانية/2004 | |

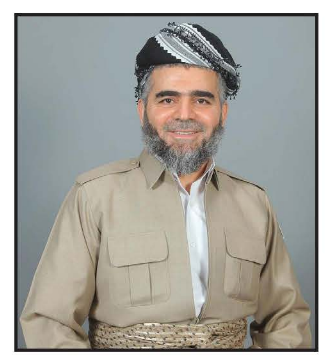
| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| 101 | التعذيب والسجن، بيشمركة أمضى اثنين وعشرين شهراً في سجن المحتل | ط الأولى/ 2005<br>ط الثالثة/ 2009 | ترجم للعربية والفارسية والإنجليزية |
| 102 | الشباب في المفاهيم المعاصرة | ط الأولى/2010 | |
| | سلسة: الموضوعات الراهنة | | |
| 103 | شبابنا بين الأصالة والتقليد (1) | ط الأولى/ 2006 | ترجم للفارسية |
| 104 | الإنهيار الأخلاقي يهوي بمجتمعنا، فالحذر الحذر! (2) | ط الأولى/ 2002<br>ط الثانية/ 2006 | |
| 105 | الأضرار التي نجنيها بإبعاد المرأة عن الإسلام (3) | ط الأولى/ 2007 | |
| 106 | كيف نكون قدوة وكيف نبني القاعدة الجماهيرية؟ (4) | ط الأولى/ 2007 | |
| 107 | توضيحات عن السياسة الإسلامية (5) | ط الأولى/ 2007 | |
| 108 | أسس مهمة لكيفية إلقاء الخطبة (6) | ط الأولى/ 2006 | ترجم للفارسية |
| 109 | طلبة العلم الشرعي، ملاحظات وإرشادات (7) | ط الأولى/ 2007 | |
| 110 | الأخلاق الفاضلة معيار الإلتزام بالإسلام (8) | ط الأولى/ 2007 | |
| 111 | الدعوة الى الله، ماهيتها وكيفيتها، والهدف منها، ومن يقوم بها؟ (9) | ط الأولى/ 2007 | ترجم للفارسية |
| 112 | كيف ينبغي أن يكون الطلاب في هذا الواقع، وماهي واجباتهم؟ (10) | ط الأولى/ 2008 | |
| 113 | واقع إقليم كوردستان: نظرة إسلامية (11) | ط الأولى/ 2008 | |
| 114 | طبيعة الأسرة وأركانها، ومسالة تعدد الزوجات في ميزان الشرع والعقل (12) | ط الأولى/2009 | |
| 115 | العمل الإسلامي وتقشيع ضباب الشكوك (13) | ط الأولى/ 2011 | |
| 116 | تقييم قضية الإرتداد عن الإسلام (14) | ط الأولى/ 2011 | |
| 117 | تفسير الملاّ الكبير الكوي، نظرات سريعة (15) | ط الأولى/ 2011 | |
| 118 | تقييم وجود النسخ أو عدمه في القرآن (16) | ط الأولى/ 2012 | |
| 119 | ابتلاء الله لعباده، ماهو وكيف يكون؟ (17) | ط الأولى/ 2003<br>ط الثانية/ 2012 | |
| 120 | إرشادات لإخواننا وأخواتنا في المهجر (18) | ط الأولى/ 2012 | |
| 121 | أم محمد: إمرأة كفوءة وزوجة نادرة (19) | ط الأولى/ 2012 | |
| 122 | الشباب والأزمة الروحية (20) | ط الأولى/2017 | |
| 123 | الحياة في ظلّ الإيمان ودحض الشبهات (21) | ط الأولى/ 2017 | |
| | ب/ الكتب العربية | | |
| | موسوعة: الإسلام كما يتجلّى في كتاب الله | ط الاولى/2015 | كانت في الطبعة الأولى في ثمانية مجلدات، وستكون في الطبعة الثانية اثني عشر كتاباً بالصورة الآتية |
| 124 | الكتاب الأول: الإسلام: معرفة صحيحة بالخالق عز وجل والخلق | ط الثانية/2016 | |
| 125 | الكتاب الثاني: تعريف الإيمان | ط الثانية/2017 | |
| 126 | الكتاب الثالث: الإيمان بالله تبارك وتعالى: الخالق الرب المالك الإله ذي الأسماء الحسنى والصفات العلى | ط الثانية/2017 | |
| 127 | الكتاب الرابع: الإيمان بالملائكة و بالجن | ط الثانية/2017 | |

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| 128 | الكتاب الخامس: الإيمان بكتب الله الحكيم | ط الثانية/2017 | |
| 129 | الكتاب السادس: الإيمان برسل الله تعالى وأنبيائه الكرام | ط الثانية/2017 | |
| 130 | الكتاب السابع: خاتم النبيين محمد صلى الله علية وسلم: موجز سيرته وبراهين نبوّته | ط الثانية/2018 | |
| 131 | الكتاب الثامن: الإيمان باليوم الآخر وموجز عن القدر | ط الثانية /2018 | |
| 132 | الكتاب التاسع: إهتداء الإنسان بهدى الله، أو الإلتزام الفردي بشريعة الله | | |
| 133 | الكتاب العاشر: إلتزام المجتمع بشريعة الله تعالى | | |
| 134 | الكتاب الحادي عشر: تطبيق المجتمع للشريعة و معالم الدولة في الإسلام | | |
| 135 | الكتاب الثاني عشر: الإسلام: نظرة سديدة تجاه الناس وتعامل صحيح معهم | | |
| 136 | نقض فكرة التطرف | ط الاولى/2016/ لندن<br>ط الثانية/ 2017/ القاهرة (نقض التطرف ودحض أفكار المتطرفين) | |
| 137 | ضيف و قضية (مقابلة مع قناة العربية) | ط الاولى/2006 | |
| 138 | لقاء خاص (مقابلة مع قناة العالم) | ط الاولى/2006 | |
| 139 | حديث مختصر حول مايجري على الساحة العراقية | ط الاولى /2016 | |
| 140 | طريق الصلاح والسير الى الله: تزكية النفس في ضوء القران والسنة | ط الاولى/2012 | |
| 141 | أمير وراء القضبان | طالأولى/2006<br>ط الثانية/2009 | |
| 142 | مسائل عصرية رائجة | ط الثانية/2014 | |
| 143 | قواعد مهمة في التعامل الشرعي الحكيم مع المسائل الفرعية الخلافية | ط الاولى/ 2011 | |
| 144 | علماء الإسلام من هم وماهي صفاتهم؟ | ط الاولى/ 2005<br>ط الثانية/2018 | |
| 145 | الاصول الشرعية والخطوط العامة للجماعة الإسلامية | ط الاولى/ 2012 | |
| 146 | كيف نتعامل مع الناس؟ | ط الأولى / 2002 | |
| 147 | حوارات ساخنة حول قضايا راهنة، في ميادين الفكر والفقه والدعوة والسياسة | ط الأولى و الثانية/2018 | |
| 148 | الديموقراطية والعلمانية في تجربة كوردستان | ط الأولى/ 2018 | |
| | الكتب التي تحت الطبع | | |
| 149 | تفسير القرآن العلي المبارك، المجلد الثاني عشر، سورة: (الرعد، إبراهيم، الحجر) | | |
| 150 | موسوعة: لَئْلَئَةُ الإيمانِ وَزَيْفُ الإلحادِ في ضَوْءِ: الفِطْرَةِ والعَقْلِ والعِلْمِ والوَحي | | |
| 151 | أهمية الأخلاق في السياسة | | |

| ت | الكتب | التأريخ والطبع | ملاحظة |
|---|---|---|---|
| 152 | نظرات فاحصة في قضايا شاخصة: الإسلام والأمة، القضية الكوردية، الوضع العراقي | | |
| 153 | مراجعة للعمل الإسلامي | | |
| 154 | الأمة وواقعها الصّعب: الأسباب والعلاج | | |



## محطات من السيرة الذاتية للمؤلف



• الشيخ علي بابير من مواليد: ١٩٦١م في قضاء بشدر التابع لمحافظة السليمانية.

• بعد إكماله الإبتدائية دخل المعهد الإسلامي عام: ١٩٧٤، وتخرج من ثانوية المعهد الإسلامي عام: ١٩٨٠، وأتمَّ حفظ القرآن العظيم في العام نفسه.

• دخل كلية العلوم والشريعة الإسلامية، وفي المرحلة الثانية من الكلية اضطر لترك الدراسة والهجرة عام: ١٩٨١ بسبب صدور الأمر بالقبض عليه من قبل النظام البعثي البائد.

• في سنة: ١٩٨٣ عاد إلى كوردستان العراق وأدّى امتحان الإمامة في مديرية أوقاف أربيل، وبعد نجاحه المتفوّق، تعيَّن بصفة إمام في مسجد النورسي في مدينة رانية.

• ألّف أول مؤلفاته باللغة الكوردية سنة: ١٩٨٣ بعنوان: (خلاصة عن الإسلام) ثم تتابعت مؤلفاته والتي جاوز عدَدُها المائة (١٠٠) بين موسوعةٍ وكتابٍ وكُتيّب، باللغتين الكوردية والعربية، في مجالات: الفكر الإسلامي، والإيمان والعقيدة، والفقه، والحكم والسياسة، وتزكية النفس، والأخلاق، ونقض الأفكار المستوردة...الخ، وترجم بعض مؤلَّفاته إلى اللغات: الفارسية، والتركية، والإنجليزية.

• في سنة: ١٩٨٧ دفاعاً عن مظلومية الشعب الكوردي من قبل النظام البعثي البائد، انخرط في العمل الجهادي المسلّح في صفوف (الحركة الإسلامية) السابقة، والتي كان الشيخ من أبرز قادتها، وذلك بعد سنوات من النِّضال الفكري والدعوي المخفي والعلني مع نوعٍ من الإرتباط بـ(حركة الرابطة الإسلامية) والتي تأسّست نواتها التنظيمية في نهاية السبعينيات من القرن الماضي.

وكانت للحركة آنذاك مقرات عسكرية في مناطق عدة من كوردستان، ضد نظام حزب البعث، وأسَّس الشيخ قوة: سيد الشهداء حمزة في سفوح جبال قنديل.

• في سنة: (١٩٨٨)م أصبح عضوا المكتب في الحركة الإسلامية.

• وكان له دور بارز في انتفاضة آذار (١٩٩١)م، وتوْعِيَةِ جماهير كوردستان حول أهداف الإنتفاضة الشعبية، والتعريف بالحركة الإسلامية.

• واستمرَّ في العمل داخل الحركة الإسلامية، ثم حركة الوحدة الإسلامية، إلى سنة: (٢٠٠١)م والتي أعلن فيها بتأريخ: (٢٠٠١/٥/٣١)م مع الأغلبية الساحقة لمراكز وكوادر ومجاهدي الحركة، وذلك من جرّاء أسباب منهجية عن: الجماعة الإسلامية الكوردستانية، وانتخب هو أميراً للجماعة.

• في: ٢٠٠٣/٧/١٠ اعتقل الشيخ من قبل القوات الأمريكية وبقي في سجن كروبر قرب مطار بغداد (٢٢) شهراً في زنزانة انفرادية، وألَّف أثناء تلك المدة، موسوعة: (الإسلام كما يتجلى في كتاب الله)، في أكثر من أربعة آلاف (٤٠٠٠) صفحة، وفي اثني عشر كتاباً في طبعتها الثانية، وأطلق سراحه في: ٢٠٠٥/٤/٢٨، واستقبل بحفاوة من قبل الآلاف من مختلف شرائح المجتمع.

• شارك في انتخابات مجلس النواب العراقي (٢٠١٤-٢٠١٠) كمرشح للجماعة الإسلامية في دائرة محافظة أربيل، فكان الفائز الأول على القوائم كلها، وكسب أكثر من (٦٠,٠٠٠) صوت.

• عقدت الجماعة الإسلامية إلى حدِّ الآن، ثلاث مؤتمرات في سنوات: (٢٠٠٥) و (٢٠١٠)و (٢٠١٥) وأعيد انتخابه أميراً فيها جميعاً.

• والآن هو مستمر في الأنشطة الفكرية والسياسية والإجتماعية المختلفة، وخاصة في الكتابة والتأليف لاسيما: مشروع تفسيره للقرآن الكريم، بعنوان: (تفسير العليّ المبارك)، والذي طُبِعَتْ منه لحدِّ الآن، عدة مجلدات.

للمزيد من الإطلاع على السيرة الذاتية للمؤلف يراجع الرابط الآتي:

www.alibapir.net

